

مَقَالَاتُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ

وَأَثَرُهُ فِي الْفِرْقَةِ الْأَسْلَامِيَّةِ

تَأَلَّفَ
يَاسِرُ قَاضِي

الْجُلَّةِ الْبَاقِي

أَضَاءُ السَّلَفِ

افصل ثانى

اثر هذه المقالات في الفرق الإسلامية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أثرها على المعتزلة ومن وافقهم

المبحث الثانى : أثرها على الأشاعرة والماتريدية

المبحث الأول

أثرها على المعتزلة ومن وافقهم

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بها في الصفات عموماً
المطلب الثاني : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بها في صفتي العلو
والاستواء .

المطلب الثالث : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بها في صفة الكلام
المطلب الرابع : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بها في صفة الرؤية

* * * *

المطلب الأول

مدى تاثر المعتزلة ومن وافقهم بها في الصفات عموماً

إنّ مذهب المعتزلة في باب الأسماء والصفات مذهبٌ معروفٌ ، حيث سلّموا للجهمية أصولهم في هذا الباب ، ولكي يسلموا من شناعة مقالة الجهمية ظاهراً ، ابتدعوا القول بإثبات الأسماء دون الصفات ، وعلّلوا ذلك بقولهم إنّ هذه الأسماء أعلام لا أوصاف ، بمعنى أنّها لا تدلّ على معانٍ ، وبناء على ذلك أنكروا قيام صفات الله تعالى بالذات ، إلا أنّه اختلفت عباراتهم في كيفية استحقاقه تعالى لهذه الصفات .

فقال بعضهم : هو عالم لذاته ، قادر لذاته ، حيّ لذاته ، وهذا قول أبي علي الجبائي وأتباعه^(١) .

وقال بعضهم : إنّ الله عالم لما هو عليه في ذاته ، حيّ لما هو عليه في ذاته ، وهذا قول أبي هاشم وأتباعه^(٢) .

وقال آخرون منهم : إنّ الله عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، قادر بقدرته ، وقدرته ذاته ، حيّ بحياة وحياته ذاته ، وهلم جراً ، وهذا رأي أبي الهذيل العلاف^(٣) .

وقال بعضهم : إنّ هذه الصفات عائدة إلى معنى السلب والنفي المحض

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص ١٨٢) .

(٢) انظر : نفس المصدر (ص ١٨٢) .

(٣) انظر : الانتصار للخياط (ص ٨٠) ، والمقالات للأشعري (ص ٢٥٥) ، ونهاية الإقدام للشهرستاني (ص ١٨٠) .

بمعنى أن كل صفة تثبت لله تعالى فإنهم يفسرونها بنفي نقيضها ، فمثلاً يقولون : الحي بمعنى إثبات ذاته ونفي الموت عنه ، والعليم بمعنى إثبات ذاته ونفي الجهل عنه ، وهكذا . وهذا هو قول النظام والجاحظ وغيرهما^(١) .

والفرق بين هذه الأقوال هو في صياغة النفي فقط ، وإلا فمضمون كلامهم كله هونفي وجود معانٍ حقيقية قائمة بالذات .

ولهم في نفي هذه الصفات شبهات عديدة ، من أهمها :

١ - شبهة تعدد القدماء . ويشرح هذه الشبهة القاضي عبد الجبار فيقول : « والأصل في ذلك : أنه تعالى لو كان يستحق هذه الصفات لمعانٍ قديمة ، وقد ثبت أن القديم إنما يخالف مخالفه بكونه قديماً ، وثبت أن الصفة التي تقع بها المخالفة عند الافتراق بها تقع المماثلة عند الاتفاق ، وذلك يوجب أن تكون هذه المعاني مثلاً لله تعالى ، حتى إذا كان القديم تعالى علماً لذاته قادراً لذاته ، وجب في هذه المعاني مثله ، ولوجب أن يكون الله تعالى مثلاً لهذه المعاني - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » إلى أن قال : « وإذا ثبت هذا ، فالقديم تعالى لو استحق هذه الصفات لمعانٍ قديمة ، لوجب أن تكون مثلاً لله تعالى ، وهذا يوجب إذا كان العالم تعالى عالماً قادراً لذاته ، وجب أن تكون هذه المعاني أيضاً قادرة عالمة ، وذلك محال ، وأن تكون بعض هذه المعاني بصفة البعض ، وأن يقع الاستغناء بأحدها عن الباقي ، وذلك محال ، وما أدى إليه وجب أن يكون محالاً »^(٢) .

(١) انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٤٧/١) .

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص ١٩٦-١٩٧) .

وبيّن أنّ الله تعالى - في زعمه - قادرٌ وعالمٌ لذاته^(١) ، حيّ لا بحياة ، وقادر لا بقدرة ، وعالم لا بعلم^(٢) ، وهذا النفي تأكيد منه لقول المعتزلة من أنّهم لا يثبتون معاني هذه الصفات لله تعالى .

وبيّن الخياط مذهب المعتزلة في الصفات ، وقال : إنّ الله عالم بذاته ، ليس بعلم زائد على ذاته ، لأنّه لو كان عالماً بعلم فإما أن يكون ذلك العلم قديماً أو محدثاً ، فإن كان قديماً لزم وجود قديم مع الله تعالى ، وهذا فاسد ، وإن كان محدثاً ، فإما أن يحدثه في نفسه ، أو في غيره ، أو في محلّ . وهذه الاحتمالات باطلة ، فإنّ الحدوث في ذاته يستلزم منه أن يكون محلاً للحوادث أنّه جسم ، والحدوث في غيره يلزم أنّ ذلك الغير عالم بعلم الله ، ولا يعقل أن يحدثه لا في محلّ . فلا يبقى إلا حال واحد وهو أنّ الله عالم بذاته^(٣) .

ويظهر من هذا النص عن الخياط شبهة أخرى يعتمدون عليها لنفي الصفات ، وهي :

٢ - قولهم بدليل الأعراض وحدوث الأجسام . يقول الشهرستاني عن المعتزلة إنّهم نفوا الصفات بقولهم : « لو قامت الحوادث بذات الباري تعالى ، لاتصف بها بعد أن لم يتصف ، ولواتصف لتغير ، والتغير دليل الحدوث ، إذ لا بدّ من مغير^(٤) » . وحكى الغزالي عن المعتزلة أنّهم

(١) انظر : نفس المصدر (ص ١٦٢) .

(٢) نفس المصدر (ص ٢٠٠-٢٠١) .

(٣) انظر : الانتصار (ص ١١١-١١٢) .

(٤) نهاية الإقدام (ص ١١٥) .

ينكرون صفتي السمع والبصر فقال : « وجه استحالته أنه إن كان سمعه وبصره حادثين ، كان محللاً للحوادث ، وهو محال . وإن كان قديمين فكيف يسمع صوتاً معدوماً ، وكيف يرى العالم في الأزل ، والعالم معدوم ، والمعدوم لا يُرى » (١) .

ومن شبهاتهم في نفي الصفات :

٣ - إن إثباتها يستلزم التجسيم . فقد عقد القاضي عبد الجبار فصلاً كاملاً في الكلام عن نفي كون الله تعالى (جسماً) (٢) ، ثم ردّ على شبهات من يثبت لله (جسماً) ، ومن شبهاتهم - حسب زعمه - آيات الصفات ، خاصة الصفات الذاتية ، ثم شرع في تأويل جميع هذه (الشبهات) فأول صفة (العين) بأن المراد منها العلم ، وأريد بـ (الوجه) الذات ، وبـ (اليد) و (اليمين) القوة ، وبـ (الساق) شدة الهول يوم القيامة ، وهلمّ جرا (٣) . فيظهر أنه أول جميع هذه الصفات لأن إثباتها - عنده - يستلزم التجسيم .

كما نفى الصفات الذاتية المعنوية بهذه الشبهة كذلك ، فقال : « وجملة القول في ذلك : هو أنه تعالى لو كان حياً بحياة ، والحياة لا يصح الإدراك بها إلا بعد استعمال محلّها في الإدراك ضرباً من الاستعمال ، لوجب أن يكون القديم تعالى جسماً ، وذلك محال . وكذلك الكلام في القدرة ، لأن القدرة لا يصح الفعل بها إلا بعد استعمال محلّها في الفعل أوفي سببه

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٧١) .

(٢) انظر : نفس المصدر (ص ٢١٦-٢٢٠) .

(٣) انظر : نفس المصدر (ص ٢٢٦-٢٣١) .

ضرباً من الاستعمال ، فيجب أن يكون الله تعالى جسماً محلاً للأعراض ، وذلك لا يجوز» (١) .

ويقول في كتاب آخر : « كل ما كان ممّا لا يجوز إلا على الأجسام يجب نفيه عن الله تعالى ، وإذا ورد في القرآن آيات تقتضي بظاهرها التشبيه ، وجب تأويلها ، لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال » (٢) .

ونقل الأشعري إجماع المعتزلة على نفيهم (الجسم) لله تعالى (٣) .

ومن شبهات المعتزلة في نفي الصفات :

٤ - شبهة التركيب . يقول شيخ الإسلام : « ادّعت المعتزلة أن صفات الباري تعالى ليست زائدة على ذاته . . . » ثم بين شبهتهم بأن ذلك يؤدي إلى التركيب ، والتركيب في حق الله تعالى محال ، ثم شرع في الرد على قولهم هذا وبين بطلانه من عدة وجوه (٤) .

فالمعتزلة لم يفرّقوا بين الصفات الذاتية المعنوية ، كالعلم ، والسمع ، والبصر ، وبين الصفات الاختيارية ، كالنزول والاستواء والمجيء ، وبين الصفات الذاتية الخبرية ، كاليد والعين ، لأنهم اعتبروا كلّ هذا من الأعراض الزائدة على الذات . إلا أنه يمكن أن يقال - بالاستقراء - أن

(١) شرح الأصول الخمسة (ص ٢٠٠-٢٠١) .

(٢) المحيط بالتكليف (ص ٢٠٠) .

(٣) مقالات الإسلاميين (٢٣٥ / ١) .

(٤) انظر : بيان تلبيس الجهمية (٦٠٥-٦٠٧) . ولم آت بعبارات المعتزلة في

التركيب لأن هذه الشبهة لا علاقة لها بالجهم بن صفوان .

عامتهم ينكرون الصفات الذاتية المعنوية اعتماداً على شبهة تعدّد القدماء ، وينكرون الصفات الاختيارية بناء على القول بدليل الأعراض وحدوث الأجسام ، وينكرون الصفات الذاتية الخبرية بناء على نفي التشبيه والجسمية عن الله تعالى ، وهذا لا يعني أنّهم لا يستعملون هذه الشبهات إلا لإنكار تلك الصفات ، فالنقولات السابقة عنهم تدلّ على أنّ جميع هذه الشبهات لها حظّ في إنكار جميع الصفات ، إلا أنّ الاعتماد الأول على ما ذكرْتُ ، والله أعلم .

أما الإباضية ، فوافقوا المعتزلة في جميع أصولهم في هذا الباب . قال أبو عَمَّار الإباضي : « إنّ الاسم والصفة جميعاً ما بان به الشيء عن غيره على ما هو به في ذاته ونفسه ، وصفه الواصفون أولم يصفوه »^(١) ، فلم يفرّق بين الاسم والصفة ، وصرّح بأنّ الاسم ليس عبارة عن تسمية المسمّى لصفة توصف به ، وإنما هي أمور ذاتية موجودة في الأزل . وينشد السالمي في منظومته^(٢) :

فهو عليم بلا علم جلبا وهو السميع لا بسمع رُكبا
وهو بصير لا بعين نظرت وهو قدير لا بقدرة عرت
وهكذا في سائر الصفات لأنّها في الأصل عين الذات
إلى أن قال :
صفاته لذاته هي ذاته لا غيرها دلّت بهذا آياته
وشرح هذا البيت الخليلي فقال : « هذا هو المقصد الرابع من هذا

(١) الموجز (٢٤٧/١) .

(٢) مشارق أنوار العقول - مع شرح الخليلي (ص ٢٣٤) .

الفصل ، وهو أنَّ صفاته تعالى الذاتية عين ذاته ، أي مدلول صفاته الذاتية هي ذاته العلية ، ليس غيره عزَّ وجلَّ . . . وما قررناه هنا هو مذهبنا ومذهب المعتزلة والشيعة ^(١) .

ويقول السالمي أيضاً : « ذهب أصحابنا رحمهم الله إلى أنَّ أسماء الله وصفاته الذاتية هي عين ذاته ، أي ليس هناك أمر ثان غير ذاته العلية » ^(٢) . وقال آخر منهم : « والمذهب أنَّ صفاته تعالى معان اعتبارية وصف بها الحق تعالى ، كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والحياة والكلام ، وأنها مغايرة للمعاني الحقيقية القائمة بخلقه الموصوفين بها ، وأنها ليست زائدة على ذات الحق ، قائمة به كزيادة ، نحو علم المخلوق وقدرته على ذاته وقيامه بها ، بل هي في حق الله سبحانه عين ذاته ، بمعنى أنَّ المقتضيات لتلك الصفات عند الإشارة يكفي عندنا في وجود ذاته جلَّ جلاله وتقدَّس كماله ، ولا حاجة إلى دعوة معان زائدة عليها قائمة به توجد تلك المقتضيات ، فوجوده سبحانه كاف في انكشاف جميع المعلومات له ، ولا حاجة إلى دعوة صفة أزلية قائمة بذاته تنكشف بها المعلومات مسماة بالعلم كما تقول الأشاعرة ، وكاف في التأثير في جميع المقدورات ولا حاجة إلى دعوة صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد الممكنات وإعدامها على وفق الإرادة المسماة بالقدرة كما يقولون (يقصد الأشاعرة) . . . إلخ كلامه » ^(٣) .

(١) نفس المصدر (ص ٢٣٤) .

(٢) مشارق أنوار العقول - مع شرح الخليلي (ص ١٧٧)

(٣) نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر ، للرواحي (٣١/١) - نقلاً عن : الإباضية للطعيمة (ص ٩٢-٩٣) .

وَقَرَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ أَطْفِيشُ أَنَّ صِفَاتَ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ هُوَ ، بِمَعْنَى أَنَّ صِفَاتَ اللَّهِ ذَاتَهُ ، فَهُوَ عَالَمٌ بِالذَّاتِ ، قَادِرٌ بِالذَّاتِ ، لَا عَالَمٌ يَعْلَمُ زَائِدًا عَنِ الذَّاتِ ، وَلَا قَادِرٌ بِقُدْرَةٍ زَائِدَةٍ عَنِ الذَّاتِ ، وَلَا عَالَمٌ بِمَعْنَى مِنْهُ يَقْتَضِي عِلْمَهُ ، وَلَا قَادِرٌ بِمَعْنَى مِنْهُ يَقْتَضِي قُدْرَتَهُ ^(١) .

كَمَا أَوَّلَ الْإِبَاضِيَّةُ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ ، فَأَوَّلُوا الْوَجْهَ بِالذَّاتِ ، وَالْيَدَيْنِ بِقُدْرَتَيْنِ ، وَالْيَدَ بِالنِّعْمَةِ ، وَالْعَيْنَ بِالْعِلْمِ ، وَالسَّاقَ بِالْأَمْرِ الشَّدِيدِ ، وَكَذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الصِّفَاتِ ^(٢) .

وَأَنكَرُوا (الْجَسْمِيَّةِ) فِي حَقِّهِ تَعَالَى ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ صَاحِبُ (قَنَاطِرِ الْخَيْرَاتِ) : « وَقَدْ ثَبَتَ اسْتِحَالَةُ كَوْنِهِ تَعَالَى جَوْهَرًا أَوْ جَسَمًا » ^(٣) .

بِهَذَا كُلِّهِ ، يَظْهَرُ أَنَّ الْإِبَاضِيَّةَ اسْتَدَلُّوا لِنَفْيِ الصِّفَاتِ بِأَدْلَةٍ عَقْلِيَّةٍ هِيَ عَيْنُ أَدْلَةِ الْمَعْتَزَلَةِ .

وَمِنَ الْأَدْلَةِ النِّفْيَةِ الَّتِي اعْتَمَدُوا عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [النَّحْلُ: ١١] ، فَقَالُوا إِنَّ إِبْثَابَ الصِّفَاتِ يُوْدِي إِلَى الشَّيْءِ ، وَالْآيَةُ نَفَتْ ذَلِكَ ، كَمَا اسْتَدَلُّوا بِأَنَّ إِبْثَابَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ ^(٤) .

(١) كَشَفُ الْكَرْبِ لِأَطْفِيشِ (ص ٣٤-٣٥) - نَقْلًا عَنْ : تَأْثِيرُ الْمَعْتَزَلَةِ فِي الْخَوَارِجِ وَالشَّيْعَةِ لِلْحَفْظِيِّ (ص ٣٥٨) .

(٢) انْظُرْ : مَسْنَدُ الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ (٣ / ٣٣٤-٣٣٦) - نَقْلًا عَنْ : تَأْثِيرُ الْمَعْتَزَلَةِ فِي الْخَوَارِجِ وَالشَّيْعَةِ لِلْحَفْظِيِّ (ص ٣٦٠) .

(٣) قَنَاطِرِ الْخَيْرَاتِ لِلْجَيْطَالِيِّ (١ / ٢٩٤) - نَقْلًا عَنْ : الْإِبَاضِيَّةُ لِلطَّعِيمَةِ (ص ٩٧) .

(٤) انْظُرْ : مَسْنَدُ الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ (١ / ٣٣٩) - نَقْلًا عَنْ : تَأْثِيرُ الْمَعْتَزَلَةِ فِي الْخَوَارِجِ وَالشَّيْعَةِ لِلْحَفْظِيِّ (ص ٣٦٠) .

وفي هذا المعنى يقول أحدهم (١) :
 بيانه إن كان ربّ العزة متصفاً سبحانه بصفة
 وغيره مشابهه فيما وصف فذلك الغير يقيناً يتصف
 بما لتلك الصفة المذكورة يلازمن من جميع الجهة
 مثاله قال الذي قد جسما بأن جسماً ربنا تجهما
 لكنه ليس كأجسام ترى جوابهم عن الذي منهم جرى
 بأنه لو كان جسماً للزم يتصفن بصفات الجسم ثم
 فالبيتان الأولان يقتضيان نسبة من يصف الله تعالى إلى المشبهة ، وفي
 الآخرين نسب من يصف الله تعالى بصفاته المشتركة لفظاً مع صفات
 خلقه إلى التجسيم .

ولقد قسم أبوعمار الإباضي المشبهة إلى ثلاثة أقسام : قسم قالوا
 بالتجسيم المحض ، وقسم قالوا إنه تعالى جسم لا كالأجسام ، وقسم
 ثالث غلطوا في تأويل متشابه كتاب الله تعالى ، وحرفوا كلامه ،
 وتعلقوا بأحاديث رسول الله ﷺ ، وهم أهل الحديث المسمون
 بالحشوية ، وهؤلاء - وإن استنكفوا عن إطلاق لفظ (الجسم) - إلا
 أن قلوبهم طافية إلى التصريح بغاية التشبيه ، حتى إن عوامهم يبوحدون
 بأفحش التشبيه وأقبحه أحياناً (٢) . ثم شرع في تأويل الصفات ، من

(١) سلاسل الذهب للبلاشي - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة
 للحفظي (ص ٣٥٥) .

(٢) الموجز (٣٥٢-٣٥٣) . وانظر - رحمك الله - كيف أطلق لسانه على أهل
 السنة ، ورماهم بما رماههم ، وسلم من لسانه المشبهة والمجسمة المحضة !

الاستواء والعلو^(١) ، والمجيء^(٢) ، والعين^(٣) ، والصورة ، واليدين واليمين والقبض والبسط^(٤) ، بتأويلات المتكلمين المعروفة ، بحجة أنّ إثباتها يستلزم إثبات الجسم لا محالة ، وتكون غاية في التشبيه .

وبعد إirاده لهذه الآيات وتأويلها ، أورد على أهل السنة تساؤلاً فقال : « على ماذا تحملون هذا كلّ من قول الله ؟ وعلى أي وجه تتأولونه ؟ أعلى ما يعقل من الجوارح المركبة في الأبدان ، من اليد التي هي مركبة في الساعد ، والساعد في مرفق ، والمرفق في عضد ، والعضد في المنكب ، والمنكب في الكتف ؟ وعلى ما يعقل من اليمين التي هي ليست بيسار ؟ وعلى ما يعقل من العين التي مركبة في وجه ، والوجه في الرأس ، والرأس في القفا . . . » ثم ادّعى أنّه لا بدّ من حمل هذه الصفات على هذه المعاني أو تأويلها كما ذكر هو آنفاً^(٥) .

والزيدية على عقيدة المعتزلة في هذا الباب ، سواء بسواء . يقول إمامهم الهادي : « إنّ علم الله وقدرته صفتان قديمتان أزليتان ذاتيتان ، وليس قولنا صفتان قديمتان أنّ مع الله صفة يوصف بها ، ولا أنّ ثم صفة ولا موصوف ، ولا أنّ شيئاً سوى الله عند ذوي العقول . . . »

(١) نفس المصدر (٣٧٧-٣٧٢) .

(٢) نفس المصدر (٣٧٧-٣٧٤) .

(٣) نفس المصدر (٣٨٥/١) .

(٤) نفس المصدر (٣٨٨-٣٨٩) .

(٥) نفس المصدر (٤١٥-٤١٦) . وفي هذا النص مثال واضح لما قرره علماء السلف من أنّ المعطلة في الحقيقة مشبهة ، لأنهم ما عطلوا إلا لتصوّرهم التشبيه في آيات الصفات .

وإنما نريد بقولنا صفتان أنهما غير محدثتين ولا مكونتين ، وإنما هما الذات والذات هما ، فهو سبحانه العالم بنفسه القادر بنفسه «^(١) .

ويقول الدصا ص إن الله تعالى قادر ، عالم ، حي ، سميع ، بصير ، وأنه تعالى قديم ، وحقيقة القديم هو الموجود الذي لا أول لوجوده ، « وإذا ثبت أن الله تعالى قادر ، عالم ، حي ، موجود ، فإنما يستحق هذه الصفات لذاته ، فلا يحتاج في ثبوتها له إلى فاعل ، ولا إلى معانٍ توجب هذه الصفات . . . ولا يجوز أن يستحقها لمعانٍ قديمة ، لأنه كان يجب أن تكون أمثالا لله تعالى لمشاركتها له في التقديم الذي به فارق سائر المحدثات . وقد ثبت أن الله تعالى لا مثيل له ، فثبت أن الله تعالى يستحق هذه الصفات لذاته «^(٢) . ونفى أن يكون الله تعالى يشبه شيئا من المخلوقات ، وأنه تعالى جسم «^(٣) .

وبيّن يحيى بن الحسين - إمام الزيدية في وقته - مذهبه في الصفات قائلاً : « وأما ما ذكر من العلم ، فإنه لا يخلو من أن يكون الله العالم بنفسه ، ويكون العلم من صفاته في ذاته ، لا صفته لغيره ، فقد جعل مع الله سواه ، ولو كان مع الله سواه لكان أحدهما قديماً والآخر محدثاً ، فيجب على من قال بذلك أن يبين أيهما المحدث لصاحبه ، فإن قال : إن العلم أحدث الخالق ، كفر ، وإن قال : إن الله أحدث العلم ، فقد زعم

(١) مسألة في العلم والقدرة (ص ٢٥٠) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٣١) .

(٢) الثلاثون مسألة للدصا ص (ص ١٠-١١) .

(٣) نفس المصدر (ص ١١-١٢) .

أَنَّ اللَّهَ كَانَ غَيْرَ عَالَمٍ حَتَّى أَحْدَثَ الْعِلْمَ ، وَمَتَى لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ ، فَضَدَّهُ لَا شَكَّ ثَابِتٌ ، وَهُوَ الْجَهْلُ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، وَإِنْ رَجَعَ هَذَا الْقَائِلُ الضَّالُّ إِلَى الْحَقِّ مِنَ الْمَقَالِ فَيَقَالُ : إِنَّهُ الْعَالَمُ بِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ لَا عِلْمَ وَلَا عَالَمَ سِوَاهُ «^(١)» . وَقَوْلُهُ هَذَا هُوَ قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ مِنْ أَنَّ الصِّفَاتِ هِيَ عَيْنُ الذَّاتِ ، لَا أَنَّ هُنَاكَ صِفَاتٍ قَائِمَةٌ بِالذَّاتِ .

وَيَقُولُ الْحُسَيْنُ بْنُ بَدْرٍ الدِّينِ فِي (الْعَقْدِ الثَّمِينِ) : « وَهُوَ تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ ، لِأَنَّ الْأَجْسَامَ مُحَدَّثَةٌ . . . [وَ] لَا يَشْبَهُ الْأَشْيَاءَ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ سِوَاهُ جَوْهَرٍ وَعَرَضٍ وَجِسْمٍ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا وَلَا عَرَضًا لِأَنَّهُمَا غَيْرَ حَيِّينَ وَلَا قَادِرِينَ ، وَهُوَ تَعَالَى حَيٌّ قَادِرٌ ، وَلَأَنَّهُمَا مُحَدَّثَانِ ، وَهُوَ قَدِيمٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا لِأَنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ خَالِقُ الْأَجْسَامِ ، وَالشَّيْءُ لَا يَخْلُقُ مِثْلَهُ ، وَلِأَنَّ الْجِسْمَ مُؤَلَّفٌ مُصْنُوعٌ يَفْتَرَقُ وَيَجْتَمِعُ وَيَسْكُنُ وَيَتَحَرَّكُ وَيَكُونُ فِي الْجِهَاتِ وَتَسْبِقُهُ الْأَوْقَاتُ وَكُلُّ ذَلِكَ شَوَاهِدُ الْحُدُوثِ . . . «^(٢)» . وَأَوَّلُ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَةِ الْوَارِدَةِ فِي النُّصُوصِ ، فَيَدَاهُ نِعْمَتَاهُ ، وَيَدُهُ قُدْرَتُهُ ، وَالْأَيْدِي الْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ ، وَالْوَجْهَ الذَّاتِ ، وَالْعَيْنَ الْحِفْظَ^(٣) ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ .

وَيَقُولُ الْمُرْتَضَى : « إِنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى قَادِرٌ لِدَاثِهِ لَا بِقُدْرَةٍ »^(٤) ، وَقَالَ :

(١) رسائل العدل والتوحيد لعمارة (١٣٧/٢ - ١٣٨) .

(٢) العقد الثمين لبدر الدين (ص ٢٢ - ٢٣) .

(٣) انظر : نفس المصدر (ص ٢٨ - ٣٠) .

(٤) الدرر للمرتضى (ورقة ٢٣ أ) - نقلاً عن : الإمام المهدي أحمد المرتضى

للكاملي (ص ٢١٥) .

« وصحة الفعل دليل كونه قادراً ، وصحة الأحكام دليل كونه عالماً ، والقدرة والعلم دليل كونه حياً ، وتعلّق الفعل به دليل وجوده ، إذ لا تأثير لمعدوم كالإرادة ، ثم لو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث ، فيتسلسل ، فلزم قدمه »^(١) ، ويعلّق عليه ناقل هذا الكلام : « ونحن إذا تأملنا هذا النصّ ، نجد الإمام قد ذكر ست صفات ، هي القدرة والعلم والحياة والوجود والإرادة والقدم ، وهذه الصفات عند الإمام هي عين الذات ، كمذهب المعتزلة تماماً »^(٢) .

ويحكي أحد الباحثين المعاصرين عن الزيدية أنهم يقولون إنّ لله تعالى صفات ذاتية ، مثل العلم والقدرة والحياة ، وهذه الصفات هي التي متى عُلِمَ موصوفها عُلِمَ عليها ، أي أنّها تُعَلَمَ بمجرد العلم بالموصوف ، « فإذا سمع أحد المؤمنين كلمة : الله ، عُلِمَ بأنّ المقصود هو الواحد الأحد القيوم ، بدون ذكر هذه الصفات أونحوها ، وهذا يعني أنّ إثباتها لله لا يحتاج إلى إثبات معانٍ زائدة على الذات لتكون سبباً لوجود الصفة الذاتية . . . كما أنّه يؤدي في آخر المطاف للمناظرة إلى القول بالتجسيم ، وبتعدّد القدماء »^(٣) .

ويقول أحد أئمتهم : « فإنّ المعلوم من لغة العرب أنّ الوصف والصفة هو المعنى القائم بالجسم ، كالعلم القائم بالإنسان . ولما كان هذا

(١) القلائد في صحيح العقائد للمرتضى (ص ٥٣) - نقلاً عن : الإمام المهدي أحمد المرتضى للكاملي (ص ٢٠٩) .

(٢) الإمام المهدي أحمد المرتضى للكاملي (ص ٢٠٩) .

(٣) الزيدية : نظرية وتطبيق لشرف الدين (ص ٤٩) .

مستحيلاً في حقّ الله تعالى لاستحالة كونه تعالى حالاً أو محلولاً ، وقد ثبت أنّه تعالى قادر وعالم وحي وموجود ، كانت صفاته هي ذاته تعالى ، لا غير ^(١) . فنفي الصفات بناء على شبهة التجسيم .

ومن شبهاتهم النقلية : قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] . ^(٢) .

فيظهر ممّا سبق أن شبهات الزيدية في ردّ الصفات هي عين شبهات المعتزلة : شبهة تعدّد الواجب ، وشبهة التجسيم والتشبيه ، وشبهة حلول الأعراض بالذوات .

أما الرافضة ، فقد خالف متقدّموهم متأخريهم مخالفة تامة ، فإنّ المتقدّمين منهم كانوا من غلاة المجسّمة ، وهم المشبّهة الحقيقية الذين أنكر السلف عليهم . ثم من بعد عهد بني بويه الديلمي ، نشأ في الرافضة التجهّم ^(٣) ، وتأثروا بالاعتزال في باب الصفات والأسماء والأحكام . يقول شيخ الإسلام : إنّ التشبيه في الروافض أعظم فيه من غيرهم ، فهذه المقالات التي نقلت في التشبيه والتجسيم لم يُنقل عن المسلمين أعظم ممّا نُقل عن قدماء الرافضة ، فهم حرّموا الصواب في توحيد الله تعالى ، فقدماءهم يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة المجسّمة ، ومتأخروهم

(١) عدة الأكياس للشرقي (١١٩/١) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفطي (ص ٤٣٢) .

(٢) انظر : أصول الدين ليحيى بن حسين (ص ٧٦) ، وينايع النصيحة في العقيدة الصحيحة (ص ٣٢) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفطي (ص ٤٣٢) .

(٣) انظر : التسعينية لابن تيمية (٢٦٢/١) .

يقولون بالتعطيل موافقة لغلاة المعطلة من المعتزلة ونحوهم^(١) .
 ينقل أحدهم عن علي رضي الله عنه - وهو من افتراء الرافضة عليه
 حتماً - أنه سُئل : « بم عرفت ربك ؟ » فقال : « بما عرفني به » .
 فقيل له : « وكيف عرفك ؟ » . فقال : « لا تشبهه صورة ولا يحسّ
 بالحواس الخمس ، ولا يقاس بقياس الناس »^(٢) . وهذه هي عين شبهة
 جهم وأصله .

كما نقلوا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنه قال على المنبر :
 « وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه . . . والشهادة كل صفة إنها
 غير الموصوف ، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله
 سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه
 فقد جهله »^(٣) ، وهذه شبهة تعدد الصفات عند المعتزلة . وذكر أحد
 معاصريهم أنّ هذه الشبهة هي عمدة الرافضة في نفي الصفات^(٤) .
 ويروون عن إمامهم الرضا أنه قال : « أول عبادة الله معرفته ، وأصل
 معرفة الله جلّ اسمه توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه . . . ولا

(١) انظر : منهاج السنة لابن تيمية (٧٥ / ١) . وقد استقصى الباحث جابر
 إدريس جميع هذه الفرق في رسالته : مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها
 (ص ٢٣٣-٢٦٤) .

(٢) أمالي المرتضى (١٤٩ / ١) - نقلاً عن : أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة
 الإمامية للمناعي (ص ١٩٨) .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٧٥ / ١) - نقلاً عن حاشية المحقق لكتاب :
 تلخيص البيان للفخري (ص ١٨٩)

(٤) انظر : العقائد الإسلامية لجواد (ص ٢٨٨) .

تحذّر الصفات»^(١) .

يقول المفيد : « إنّ الله عزّ وجل اسمه ، حيّ لنفسه لا بحياة ، وأنّه قادر لنفسه ، وعالم لنفسه ، لا بمعنى كما ذهب إليه المشبهة من أصحاب الصفات »^(٢) .

وأول متأخروالرافضة الصفات الذاتية . قال أحد متأخريهم : « قال الشيعة الجعفرية الاثني عشرية : إنّ ما ورد في القرآن من نسبة الوجه ، واليد ، والاستواء لله تعالى ، كلها مجازات استعملت في غير معانيها الحقيقية . . . وإنّ استعمال اليد والوجه والساق والاستواء في وصف الله تعالى على معانيها الحقيقية يوجب التجسيم »^(٣) .

وقد نفى ابن المطهر الحلبي عن الله تعالى (الجسمية)^(٤) ، وبين المرتضى أنّ الله تعالى يجب أن يكون غنياً غير محتاج ، لأنّ الحاجة تقتضي أن يكون ينتفع ويستصغر ، ويؤدي إلى كونه جسماً ، فلا يجوز عليه ما يجب على الجسم^(٥) .

(١) الأمالي للمفيد (ص ٢٥٣) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٨٤) .

(٢) أوائل المقالات للمفيد - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٨٤) .

(٣) عقائد الإمامية الاثني عشرية للزنجاني - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٨٦) .

(٤) نهج الحق وكشف الصدق للحلي (ص ٥٥) - نقلاً عن : أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية للمناعي (ص ١٩٨) .

(٥) انظر : أمالي المرتضى (١ / ١٤٩) - نقلاً عن : أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية للمناعي (ص ١٩٧) .

كما اعتمدوا على قولهم هذا بنفي الصفات بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]. (١) .
وبهذا ثبت أنَّ متأخري الرافضة وقعوا في تعطيل المعتزلة وأخذوا
شبهاتهم في هذا الباب .



(١) انظر : العقائد الإسلامية لجواد (ص ١٢٤) .

الخلاصة

مما سبق ، تبين أن المعتزلة والفرق التي وافقتهم وافقوا حقيقة قول جهم في هذا الباب وإن لم يوافقوه لفظاً . وفي هذا المعنى يقول ابن حزم : « وأما المعتزلة ، فعمدتهم التي يتمسكون بها : الكلام في التوحيد ، وما يوصف به الباري تعالى . . . وقد يشارك المعتزلة في الكلام فيما يوصف به الباري تعالى جهم بن صفوان . . . والأشعرية »^(١) . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات ، ويقاربون قول الجهم »^(٢) . وقال أيضاً إن كل معتزلي جهمي ، ولكن ليس كل جهمي معتزلياً ، فالجهم أشد تعطيلاً لأنه ينفي الأسماء والصفات ، والمعتزلة تنفي الصفات دون الأسماء^(٣) .

ويمكن توضيح أثر جهم على هذه الفرق في النقاط التالية :

* إن الجهم بن صفوان - مع شيخه الجعد - أول من فتح باب التعطيل في أسماء الله تعالى وصفاته ، فدخل المعتزلة والزيدية والإباضية ومتأخروالرافضة هذا الباب معه ، وهم ، وإن لم يصلوا إلى ما وصل إليه ، فقد قاربوا قوله جداً ، فكانوا بذلك قاب قوسين أو أدنى .

* أنكر المعتزلة والزيدية والإباضية ومتأخروالرافضة جميع الصفات الذاتية المعنوية والصفات الفعلية ، فوافقوا جهماً على مقالته .

(١) الفصل (٢٦٩/٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠٤/٣) .

(٣) انظر : منهاج السنة (٤٨٤/٢) .

* أنكر المعتزلة والزيدية والإباضية ومتأخروالرافضة جميع الصفات الذاتية الخبرية ، كما فعل جهم .

* وافق المعتزلة والزيدية والإباضية ومتأخروالرافضة جهماً في إنكاره قدم أحكام الصفات ، بمعنى أن الله تعالى لم يكن متصفاً بالصفات في الأزل ، كما وافقوه في أصله لهذا القول ، وهو القول بدليل الأعراض وحدوث الأجسام .

* وافق المعتزلة والزيدية والإباضية ومتأخروالرافضة جهماً في شبهاته في نفي الصفات : شبهة التشبيه ، وشبهة التجسيم ، وشبهة نفي حلول الحوادث في ذات الله تعالى .



المطلب الثاني

مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بها في صفتي العلو والاستواء

أنكر جميع المعتزلة علو الله تعالى على خلقه ، وأولوا الاستواء بالاستيلاء ، وادّعوا بأن الله تعالى لا يوصف بالجهة والمكان ، وأنه ليس في مكان دون مكان .

قال القاضي عبد الجبار في (شرح الأصول الخمسة) إنّ الله تعالى لا يشبه الأجسام ، ومن صفات الأجسام : التحيز ، والحركة ، والمجيء ، وغير ذلك من الصفات ، وكل هذه الصفات منفية عن الله تعالى لكونه ليس بجسم^(١) . وذكر أنه لا يجوز الاستدلال بقوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] في مسألة العلو والاستواء ، لأنّ الاستدلال بالسمع غير ممكن في مسائل الاعتقاد ، « وهل هذا إلا استدلال بالفرع على الأصل ؟ . . . ثم يقال لهم : الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء والغلبة ، وذلك مشهور في اللغة . . . فإن قالوا : إنّ الله تعالى مستول على العالم جملة ، فما وجه تخصيص العرش بالذكر ؟ قلنا : لأنه أعظم ما خلق الله تعالى ، فلهذا اختصه بالذكر . وقد قيل : إنّ العرش ههنا بمعنى الملك ، وذلك ظاهر في اللغة »^(٢) .

وذكر في كتابه (مختصر أصول الدين) أنّ الآيات التي توهم أنه تعالى

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص ٢١٩-٢٢١) .

(٢) نفس المصدر (ص ٢٢٦-٢٢٧) .

جسم ، كقوله ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ، و ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] ، و ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلْبُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ، وغير ذلك من الآيات ، أنه لا يمكن بوجه من الوجوه حمل هذه الآيات على ظاهرها بعد ما تبين بالدلالة العقلية عدم مشابهة الله تعالى للأجسام ، فيجب تأويل جميع هذه الآيات ، « فتأويل قوله تعالى ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أنه استوى واقتدر وملك ، ولم يرد تعالى بذلك أنه تمكن على العرش جالسا ، وهذا كما يقال في اللغة : استوى البلد للأمير ، واستوت هذه المملكة لفلان ، وقال الشاعر : قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق ولم يرد جلوسه ، وإنما أراد استيلاءه واستعلاءه . . . وتأويل قوله تعالى ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] أنه عالم بهما ، حافظ عليهما عن التغير والزوال . . . وتأويل قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ﴾ أنه يرتفع إلى حيث لا حاكم سواه ، كما يقال في الحادثة : ارتفع أمرها إلى الأمير ، إذا صار لا يحكم فيها سواه »^(١) .

ويذكر الزمخشري عدة تفاسير لمعنى (الكرسي) ، أولها : « أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطه وسعته ، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخيل فقط ، ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد . . . وإنما هو تخيل لعظمة شأنه وتمثيل حسي . والثاني : وسع علمه ، وسمي العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم . والثالث : وسع ملكه تسمية بمكانه

(١) مختصر أصول الدين للقاضي عبد الجبار ، ضمن رسائل العدل والتوحيد
لعمارة (ص ١٨٦-١٨٧)

الذي هو كرسي الملك . . . »^(١) . كما أول قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] بقوله : « لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك ، جعلوه كناية عن الملك ، فقالوا : استوى فلان على العرش ، يريدون ملك ، وإن لم يقعد على السرير البتة ، وقالوه أيضاً لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه ، وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر »^(٢) . كما أول الآيات الدالة على علو الله تعالى على خلقه ، بعضها بأنها دالة على الملائكة لأن مسكنهم السماء^(٣) ، وبعضها بأن المراد نزول الرحمة أو العذاب من فوق^(٤) ، وبعضها بأن المشركين كانوا يعتقدون التشبيه وأن الله في السماء ، فخطبوا بحسب اعتقادهم^(٥) ، وغير ذلك من التأويلات الفاسدة .

ولقد نهج الإباضية منهج المعتزلة كما هي عادتهم فنفوا العلو والاستواء . يقول صاحب (قناطر الخيرات) : « وقد ثبت استحالة كونه جوهرًا أو جسمًا ، فاستحال كونه مختصاً بجهة ، وثبت أنه تعالى في كل مكان »^(٦) . ونسب الإمام الربيع بن الحارث في (مسنده) - وهذا المسند أهم كتاب

(١) انظر : الكشف للزمخشري (٣٢٨ / ١) ، عند تفسير سورة البقرة ، آية ٢٢٥ .

(٢) نفس المصدر (٥٤ / ٣) ، عند تفسير الآية السابعة من سورة طه .

(٣) انظر : نفس المصدر (٥٨٥ / ٤) ، عند تفسير سورة الملك ، آية ١٦ .

(٤) انظر : نفس المصدر (٥٧٠ / ٢) ، عند تفسير سورة النحل ، آية ٥٠ .

(٥) انظر : نفس المصدر (٥٨٥ / ٤) ، عند تفسير سورة الملك ، آية ١٧ .

(٦) قناطر الخيرات للجيطالي (٢٩٤ / ١) - نقلاً عن : الإباضية للطعيمة

(ص ٩٧) .

حديثي لديهم - إلى الحسن البصري تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٩] بأنه « استوى أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه ، ولا يوصف الله بصفات الخلق ، ولا يقع عليه الوصف كما يقع على الخلق »^(١) . ويقول صاحب (منهج الطالبين) : « الاستواء في لغة العرب على معنيين ، أحدهما : الجلوس على الشيء ، والمماسه له ، كما يستوي الفارس على فرسه ، والملك على سريره ، وهذه صفة من يستوي بعد أن كان مائلاً ويعتدل بعد أن كان أعوج ، والله سبحانه منزّه عن هذه الصفة . والوجه الثاني عنده هو استواء الملك والقدرة والتدبير ، وهو معروف عند العرب »^(٢) .

وذكر صاحب (الموجز) أن الحشوية يثبتون لله عرشاً حقيقياً وأنه جسم ، وأن الله تعالى استوى عليه حقيقة ، وأنه تعالى في السماء ، ثم ذكر صفات عديدة يثبتها أهل السنة ، وبعد ذكره لها ، شرع في الرد على هذه الصفات ، وادّعى أنها كلّها على سبيل المجاز ، وجاء بشواهد لغوية ليستدل بها . وبين أن معنى قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] أي : غلب الخلق وقهرهم ، فالاستواء هنا بمعنى (الاستيلاء) ، وهذا هو تأويل ابن عباس رضي الله عنه لهذا اللفظ - على حدّ زعمه^(٣) . كما ردّ على (الحشوية) في قولهم إنّ الله تعالى في السماء ، فقال إنّ الله تعالى

(١) مسند الربيع بن حبيب (٣٥ / ٣) - نقلاً عن : الإباضية للطعيمة (ص ٩٨) .

(٢) منهج الطالبين للرساقي (١٠٩ / ١) - نقلاً عن : الإباضية للطعيمة (ص ٩٨) .

(٣) انظر : الموجز لأبي عمار الإباضي ، ضمن : آراء الخوارج الكلامية (١ / ٣٥٣-٣٧٢) .

كذلك بَيَّن في كتابه أَنَّهُ فِي الْأَرْضِ ، إِذْ قَالَ : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٣] ، وَقَالَ كَذَلِكَ : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة: ٧] ، « فَيَقَالُ لَهُمْ : عَلَى مَا تَحْمِلُونَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كَوْنِهِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . . . فَإِنْ أَوَّلُوا هَذِهِ الْآيَاتِ وَقَالُوا إِنَّهَا مُجَازٌ ، فَلَمْ لَا يُوَلِّدُونَ الْآيَاتِ الْآخِرَ ؟ » ^(١) .

وَيَقُولُ السَّالِمِيُّ : « ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] وَنَحْوُهَا مِنَ الْآيَاتِ هُوَ بِمَعْنَى الْمَلِكِ . وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي قَالَ بِهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ ، وَعَبَّرُوا عَنْهُ بِالْإِسْتِيلَاءِ . . . وَتَخْصِيصِ ذِكْرِ الْعَرْشِ بِالْإِسْتِيلَاءِ مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى مُسْتَوٍ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّ الْعَرْشَ أَعْظَمُهَا ، وَإِذَا كَانَ مُسْتَوِيًّا عَلَى أَعْظَمِهَا فَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى أَحَقِّهَا بِطَرِيقِ الْأُولَى » ^(٢) . وَصَرَّحَ بَعْضُهُمْ فِي تَفَاسِيرِهِمْ بِهَذَا الْمَعْنَى كَذَلِكَ ^(٣) .

وَبَوَّبَ فِي كِتَابِهِ (مُشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ) بِأَبَا بَعْنَوَانِ : « فَصَلْ : فِي الْأَلْفَاظِ الْمَمْتَنِعِ بِهَا السُّؤَالُ عَنِ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا » ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ ، لَفْظُ : أَيْنَ ، ثُمَّ قَالَ : « وَأَمَّا أَيْنَ ، فَسُّؤَالٌ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي حُلَّ فِيهِ الشَّيْءُ . . . وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، بَلْ كَانَ وَلَا زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ » ^(٤) .

(١) نفس المصدر (٣٧١ / ١) .

(٢) مشارق أنوار العقول (ص ٢١١) .

(٣) انظر : تفسير هيمان الذات إلى دار المعاد للوهبي (١٦١ / ٦) - نقلاً عن : الإباضية للطعيمة (ص ٩٩) .

(٤) مشارق أنوار العقول (ص ٦٧) .

وأما الزيدية ، فقد اتبعوا أسلافهم من المعتزلة نحو القذة بالقذة .
ففسّروا (الاستواء) بـ (الاستيلاء) في قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
أَسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، ونفوا علو الله تعالى على خلقه ، وأولوا (العرش)
بأنه الملك ، وقالوا بأن المراد من (الكرسي) هو العلم ^(١) .

يقول الأمير الحسين بن بدر الدين : إنّ الله تعالى لا يشبه الأشياء بوجه
من الوجوه ، فإنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ، ومن صفات الأجسام :
الافتراق والاجتماع والحركة والسكون ، وأن يكون في جهة ، فكلّ هذه
الصفات منفية عنه جل وعلا ، وأنه تعالى « لم يوصف بالكيف ، ولا
الآين ، ولا الحيث . . . ليس في الأرض ولا في السماء ، ولا في حل
في متحيّز أصلاً ، ولا حده فوق ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال ، ولا
خلف ولا أمام . . . كان قبل خلق العالم ولا مكان ، ويكون بعد فناء
العالم ولا مكان ، وهو خالق المكان مستغني عن المكان » ^(٢) .

ونقل أحد الباحثين المعاصرين إجماع الزيدية على قولهم : إنّ الله
تعالى ليس له مكان يشغله ويتمكّن فيه ، كما أجمعوا على تأويل الكرسي
بأنه علم الله ، وأنّ العرش مجاز ، وهو عبارة عن ملك الله تعالى ^(٣) .

وأما الرافضة ، فقد تابع متأخروهم المعتزلة في هذا الباب ، بخلاف
المتقدمين منهم ، فإنهم - كما بيّنت سابقاً - كانوا من المجسّمة ^(٤) .

(١) انظر : عدة الأكياس للشرفي (١ / ١٣٧) ، وينايع النصيحة لمحمد (ص ٤٩) -

نقلًا عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٣٤) .

(٢) العقد الثمين في معرفة رب العالمين (ص ٢٣-٢٥) .

(٣) انظر : تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن : الزيدية ، لشرف الدين (ص ٧٦) .

(٤) انظر : (ص ٥٤٠) من الرسالة .

فقد عقد الطوسي فصلاً لبيان ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز - على حدّ زعمه - وفي هذا الفصل نفى عن الله تعالى أن يكون جسماً ، أو جوهرًا أو عرضاً ، كما نفى عنه الحلول ، والجهة ، والاحتياج^(١) .
ويقول في قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، « معناه استولى عليه لما خلقه ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دمٍ مهراق »^(٢) .
وقد نفى ابن المطهر الحلبي عن الله تعالى (الجهة) و (الجسمية) و (الحلول في الغير) و (الاتحاد بالغير) ، واعتقد كلّ من أثبت لله تعالى جهة أنّه من المشبهة ، ومنهم - على حدّ زعمه - الحنابلة^(٣) .
وبيّن المرتضى أنّ الله تعالى يجب أن يكون غنياً غير محتاج ، لأنّ الحاجة تقتضي أن يكون ينتفع ويستصغر ، ويؤدي إلى كونه جسماً ، فلا يجوز عليه ما يجب على الجسم ، ومنها : المكان والحيز وغير ذلك^(٤) .
ونقل أحدهم أنّ رجلاً جاء إلى عليّ رضي الله عنه فسأله : « أين كان ربّك قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ » فقال : « (أين) سؤال عن

(١) انظر : الاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد للطوسي (ص ٧٢) - نقلاً عن : أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية للمناعي (ص ١٩٨) .

(٢) الاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد للطوسي (ص ٧٢) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفطي (ص ٤٨٧) .

(٣) نهج الحق وكشف الصدق للحلي (ص ٥٥) - نقلاً عن : أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية للمناعي (ص ١٩٨) .

(٤) انظر : أمالي المرتضى (١٤٩/١) - نقلاً عن : أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية للمناعي (ص ١٩٧) .

مكان ، وكان الله ولا مكان»^(١) ، فردّ عليه السؤال بـ (أين) في حقّ الله تعالى .

كما أولوا صفة العلوّ بأنّه ليس المراد منه الفوقية الحسيّة ، وإنّما المراد كمال قدرته^(٢) .



(١) أمالي المرتضى (١ / ١٤٩) - نقلاً عن : أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية للمناعي (ص ١٩٨) .

(٢) دراسات في العقائد الإسلامية لجعفر (ص ١٧٤) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٨٧) .

الخلاصة

مما سبق ، يتبين أن المعتزلة والإباضية والزيدية ومتأخري الرافضة وافقوا جهماً في :

- * إنكار علو الله تعالى على خلقه
- * تحريم السؤال بـ (أين) في حق الله تعالى
- * إنكار استواء الله على عرشه
- * تفسير الاستواء بالاستيلاء
- * ووافق بعض هؤلاء جهماً في إنكاره الكرسي والعرش ، وادّعوا أنّهما مجاز .

لكن هذه الفرق لم توافق جهماً في قوله : إنّ الله في كل مكان ، بل ادّعوا أنّه ليس في مكان .

وهذا ما وقفت عليه في كتبهم ، إلا أن بعض المتقدمين قد حكى أنّ المعتزلة اختلفوا في هذه المسألة فقال فريق منهم بقول جهم . فقد ذكر الأشعري عن المعتزلة والجهمية والحرورية أنّهم يقولون في قول الله عز وجل ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] « . . . أنه استولى وملك وقهر ، وأنّ الله عز وجل في كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه ، كما قال أهل الحق . . . »^(١) . وقال أبو نصر السجزي : « وزعم الأشعري أن الله سبحانه غير ممازج للخلق وغير مباين لهم ، والأمكنة غير خالية منه وغير ممثلة به . . . وبعض

أصحابه وافق المعتزلة وسائر الجهمية في قولهم إن الله بذاته في كل مكان» (١) .

ومن المعلوم أن بعض المتصوفة من الأشاعرة قالوا بالحلول ، ولكنني لم أقف على قول إمام من أئمة الاعتزال قال بهذا القول - اللهم إلا ما نُقل عن بعض الإباضية . فإذا ثبت هذا ، ظهر وجه آخر في تأثير جهم على بعض المعتزلة ، وهو القول بالحلول .

ونختم هذا المطلب بكلام الإمام الذهبي إذ يقول : « مقالة الجهمية : أن الله تعالى في جميع الأمكنة ، تعالى الله عن قولهم ، بل هو معنا أينما كنا بعلمه . ومقالة متأخري المتكلمين : أن الله تعالى ليس في السماء ولا على العرش ولا على السموات ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارج العالم ، ولا هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم ! وقالوا : جميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله تعالى منزّه عن الجسم . قال لهم أهل السنة والآخر : نحن لا نخوض في ذلك ، ونقول ما ذكرناه اتباعاً للنصوص وإن زعمتم ، ولا نقول بقولكم ، فإنّ هذه السلوب نعوت المعدوم ، تعالى الله جلّ جلاله عن العدم ، بل هو موجود متميّز عن خلقه ، موصوف بما وصف به نفسه من أنّه فوق العرش بلا كيف » (٢) .



(١) رسالة أبي نصر السجزي إلى أهل زبيد (ص ١٢٨) .

(٢) العلوّ للذهبي اختصار الألباني (ص ١٤٧) .

المطلب الثالث

مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بها في صفة الكلام

إنَّ أشهر وجه في تأثير الجهمية على المعتزلة هو مسألة الكلام ، فالمعتزلة حاملة لواء الجهم بعده ، كما قال شيخ الإسلام : « ولكن الجهمية والمعتزلة لما كان أصلهم أنَّ الربَّ لا تقوم به الصفات والأفعال والكلام ، لزمهم أن يقولوا : كلامه بائن عنه مخلوق من مخلوقاته ، وكان أول من ظهر عنه هذا الجعد بن درهم ، ثم الجهم بن صفوان ، ثم صار هذا في المعتزلة »^(١) .

والمعتزلة أضافوا الكلام لله تعالى ، ولكنهم قالوا إن هذا الكلام كلام مخلوق منفصل عنه ، فهو إضافة تشريف ، كالإضافة في (عبد الله) و (بيت الله) ، وهو عين قول جهم في الحقيقة .

ولقد بين شيخ الإسلام أنَّ المعتزلة الذين اتَّبَعُوا عمرو بن عبيد على قوله في القدر والوعيد دخلوا في مذهب جهم « فأثبتوا أسماء الله تعالى ولم يثبتوا صفاته ، وقالوا : نقول إنَّ الله متكلم حقيقة ، وقد يذكرون إجماع المسلمين على أنَّ الله متكلم حقيقة ، لئلا يضاف إليهم أنهم يقولون إنَّه غير متكلم . لكن معنى كونه سبحانه متكلماً عندهم أنَّه خلق الكلام في غيره ، فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء ، لكن هؤلاء يقولون هو متكلم حقيقة وأولئك ينفون أنَّ يكون متكلماً حقيقة ، وحقيقة قول

(١) منهاج السنة (٢٥١/٢) .

الطائفتين أنه غير متكلم»^(١) .

ولقد فصل القاضي عبد الجبار القول في هذه المسألة ودافع عن عقيدة المعتزلة في كتابه (شرح الأصول الخمسة) ، ومما قال : « وأما مذهبنا في ذلك ، فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه ، وهو مخلوق محدث ، أنزله الله على نبيه ليكون علماً ودالاً على نبوته . . . »^(٢) ، ثم قال : « وقد دلّ الله على ذلك في محكم كتابه فقال ﴿ مَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ تُحَدِّثُ ﴾ [الأنبياء: ٢] ، والذكر هو القرآن . . . فقد وصفه بأنه محدث »^(٣) .

كما أَلَفَ الجاحظ رسالة كاملة سماها (خلق القرآن) ، سرد فيها - على حدّ زعمه - جميع الأدلة على خلق القرآن ، ثم نقض شبهات الحشوية وغيرهم - كما عبّر عنهم - وتعرّض لجميع ذلك ونقضها^(٤) . وكذلك الزمخشري نهج نهج المعتزلة قبله ، وحاول أن يدافع عن عقيدة خلق القرآن بشدة ، بل قيل : إنه استفتح خطبة تفسيره المسمّى بالكشاف بقوله : « الحمد لله الذي خلق القرآن » ، فقيل له : متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه ، فغيّره إلى عبارة أقلّ وضوحاً من ذلك^(٥) . والكلام الموجود في مقدمته هو : « . . . فسبحان من استأثر

(١) مجموع الفتاوى (٣١١/١٢) .

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص ٥٢٨) .

(٣) نفس المصدر (ص ٥٣٢) .

(٤) انظر : رسائل الجاحظ (٢٨٧/٣) .

(٥) انظر : التفسير والمفسرون للذهبي (٤٣٨/١) .

بالأولية والقدم ، ووسم كل شيء سواء بالحدوث عن العدم ، أنشأه كتاباً ساطعاً تبيانه . . . «^(١) ، وهذه إشارة واضحة منه إلى القول بخلق القرآن .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣] : « بمعنى : صيّرناه معدّى إلى مفعولين ، أو بمعنى خلقناه معدّى إلى واحد . . . أي : خلقناه عربياً غير عجمي »^(٢) . وهذا كلام باطل من أساسه ، إذ الآية فيها مفعولان بعد الجعل كما هو واضح ، فلا يجوز أن يكون (جعل) بمعنى (خلق) ، ولكنه أراد أن يحمل الآية ما لا تحتمله .

وأما الإباضية ، فيظهر أنهم - مع بقية فرق الخوارج - تأثروا بالاعتزال في هذه المسألة في وقت مبكر ، حيث قال أبو الحسن الأشعري إن جميع الخوارج يقولون بخلق القرآن^(٣) .

ويؤيد هذا ما يقوله بعض أئمتهم : « قلنا نحن والمعتزلة ومن وافقنا في ذلك . . . كلامه تعالى حروف وأصوات . . . لكنها ليست قائمة بذاته تعالى ، بل يخلقها سبحانه في غيره ، كاللوح المحفوظ أو جبرائيل ، وهو حادث »^(٤) .

إلا أنه نقل في بعض كتبهم خلاف بينهم في هذه المسألة ، فحكي

(١) الكشف (٣١/١) .

(٢) نفس المصدر (٢٤١/٤) .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين (١٢٤/١) .

(٤) معالم أصول الدين للمصعبي - نقلاً عن : تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٣٦٣) .

عن إباضية عمان - وخاصة المتقدمين منهم - أنهم يقولون إنّ القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويستشهدون بأدلة أهل السنة من الكتاب والسنة على ذلك^(١) . يقول الشماخي : « كما أجمعوا على خلق القرآن إلا من خالف إجماعهم ، فبعض أهل عمان خالف في خلق القرآن دون أهل العراق ومصر ودون أهل مكة والمغرب وسائر الإباضية »^(٢) . إلا أنّ قولهم هذا لا يعني أنّهم يوافقون أهل السنة في هذه المسألة . يقول السالمي - وهو من أئمة الإباضية في عمان : « فاعلم أنّه لا وجه لقول من قال من أهل المذهب إنّ القرآن قديم إلا أن يريدوا أنّ الله تعالى ليس بأخرس »^(٣) ، فمرادهم من قولهم : إنّ القرآن غير مخلوق ليس إثبات حقيقة الكلام وأنّ الله تعالى تكلم بالقرآن ، وإنّما مرادهم بذلك نفي الخرس عن الله تعالى .

أمّا إباضية المغرب ، فهم موافقون للمعتزلة في قولهم إنّ القرآن مخلوق . يقول أحدهم : « ندين بأنّ الله خالق كلامه ووحيه ومحدثه

(١) ويلاحظ أنّهم في القديم كانوا على القول بخلق القرآن ، إلى أن رجع أحد أئمتهم - وهو الإمام محمد بن هشام بن غيلان - عن هذا القول ، وأعلم أنّ القرآن غير مخلوق ، فتبعه إباضية المشرق (حيث كان إمامهم في تلك الفترة) ، وبقيت إباضية المغرب على عقيدتهم . انظر : الإباضية عقيدة ومذهباً للطعيمة (ص ١٠٠) .

(٢) السير للشماخي - نقلاً عن : تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٣٦٤) .

(٣) مشارق أنوار العقول للسالمي (ص ٣٢٤) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٣٦٥) .

وجاعله ومنزله»^(١) وقال آخر : « ليس منا من قال إنّ القرآن غير مخلوق »^(٢) . وقد ناقش صاحب متنهم المشهور (الموجز) أهل السنة في هذه المسألة ، وحاول أن يبرهن لقوله بخلق القرآن ، فبدأ المناقشة بالسؤال عن القرآن : هل هوشيء أم ليس بشيء ؟ والثاني ظاهر البطلان حساً وعقلاً ، فوجب إثبات أنّ القرآن شيء . ثم سأل : هل الشيء محدث أولاً ، وأجاب بأنه لا بد أن يكون كذلك ، خاصة وأنّ الله تعالى نصّ على حدوث القرآن في قوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ تُحْدِثُ ﴾ [الأنبياء: ٢] . ومما يدلّ على حدوثه كذلك - عنده - قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣] ، وغير ذلك من الأدلة^(٣) .

ومما استدل به الإباضية أيضاً قوله تعالى ﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ، فإنّ القرآن (شيء) كذلك^(٤) ، - وكل هذه الأدلة هي عين أدلة الجهم بن صفوان كذلك .

(١) الديانات للشماخي (ص ٤) - نقلاً عن : الإباضية عقيدة ومذهباً للطعيمة (ص ١٠٣) .

(٢) ذكره د . / طعيمة عن الشيخ الشماسي ، ولم يعزه إلى كتاب معين . انظر : الإباضية عقيدة ومذهباً للطعيمة (ص ١٠٣) .

(٣) انظر : الموجز لأبي عمّار عبد الكافي الإباضي ، ضمن : آراء الخوارج الكلامية للطالبي (١٣٢/٢ - ١٣٧) .

(٤) انظر : الحق الدامغ للسامي (ص ١٧٤-١٧٦) ، والعقود الفضية في أصول مذهب الإباضية للحارثي - نقلاً عن : تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٣٦٦-٣٦٧) .

والزيدية تابعوا المعتزلة في هذه القضية وأجمعوا على أن القرآن مخلوق . يقول صاحب متنهم المشهور بـ (العقد الثمين) : « فإن قال : فما اعتقادك في القرآن ، فقل : اعتقادي أنه كلام الله تعالى وأنه كلام مسموع محدث مخلوق . . . » ثم استدلل على حدوثه بقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ ﴾ [الأنبياء: ٢] . (١) .

وقال الإمام يحيى : « أجمع أهل القبلة على وصف الله بكونه متكلماً ، فأما نحن فنذهب إلى أن المعنى بكونه متكلماً خلقه لهذه الأحرف والأصوات في جسم » (٢) .

وقال الإمام الهادي ، واصفاً الله تبارك وتعالى : « وأنه كان قبل التوراة والإنجيل والقرآن ، وأن القرآن أنزله على نبيه عليه السلام وأنشأه وخلقه ووصله وألفه وأحدثه » ، ثم استدلل على ذلك بعدة آيات ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣] ، حيث قال إن الجعل هنا بمعنى الخلق وقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ ﴾ [الأنبياء: ٢] ، وهذا وصف صريح في كون القرآن محدث ، أي مخلوق ، وقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ، والقرآن شيء (٣) .

(١) انظر : العقد الثمين للأمير حسين بن بدر الدين (ص ٤٤-٤٥) . وانظر كذلك : الزيدية لعلي بن عبد الكريم شرف الدين (ص ٥٥) ، فإنه استعمل نفس الآية للاستدلال على قولهم بخلق القرآن .

(٢) المعالم الدينية للإمام يحيى بن حمزة (ص ٧٧) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للحفطي (ص ٤٣٥) .

(٣) انظر : كتاب المنزلة بين المنزلتين للإمام الهادي (ص ١٠٧-١٠٨) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للحفطي (ص ٤٣٥) .

وقال صاحب متن (الثلاثين مسألة) : « المسألة التاسعة : أنَّ هذا القرآن محدث مخلوق . . . ويدلّ على ذلك قوله تعالى ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] فوصف الله تعالى الذكر وهو القرآن بأنه محدث ، ولا شك أنَّ الله تعالى هو الذي أحدثه لأنّه قد ثبت أنّه كلامه ، والكلام فعل المتكلّم ، فثبت بهذه الجملة أنَّ القرآن الكريم محدث غير قديم »^(١) .

وأما الرافضة ، فقد اختلف قول علمائهم في هذه المسألة ، حيث إنّ البعض منهم وافق الأشاعرة وقال بقدّم الكلام وأثبت الكلام النفسي^(٢) ، إلا أنَّ عامتهم - خاصة المتأخرين منهم - وافقوا الجهمية وقالوا بخلق القرآن . يقول الحلّي : « العقل والسمع متطابقان على أنَّ كلامه تعالى محدث ليس بأزلي »^(٣) . وقال آخر منهم : « أمّا هو تعالى فإنّه يتكلّم بخلق الأصوات والكلمات في بعض مخلوقاته ، فتنتطق بما يريد ، وتتكلّم بما يدلّ على إرادته ، مثال ذلك كلامه مع النبي موسى عليه السلام . . . فإنّه تعالى خلق الكلام في الشجرة »^(٤) . كما استدلّ بعضهم على هذا القول بقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] .^(٥)

(١) مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم (الثلاثون مسألة) للدّصاص (ص ١٨) .

(٢) منهم : نصر الدين الطوسي . انظر : تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٨٩) .

(٣) نهج الحقّ للحلّي (ص ٦) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٨٨) .

(٤) عقائد الإمامية الاثني عشرية للموسوي (١٢١ / ٢) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٨٨) .

(٥) انظر : التوحيد للصدوق (ص ٢٢٦) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٨٩) .

الخلاصة

نستخلص ممّا سبق أنّ المعتزلة والزيدية وجمهور الإباضية وبعض الرافضة يقولون بمقالة خلق القرآن التي ابتدعها الجعد بن درهم ونشرها الجهم بن صفوان . وقد استدلت هذه الفرق ببعض أدلة الجهم بن صفوان نفسها .

والفرق الوحيد بينهم هو أنّ « الجهمية كانوا يقولون : قولنا (إنّهُ يتكلّم) هو مجاز ، والمعتزلة قالوا إنّهُ متكلّم حقيقة ، لكن المعنى واحد »^(١) ، إذ الكلّ يعتقد حدوث كلامه .



(١) من كلام شيخ الإسلام في منهاج السنة (٣١٢/١) .

المطلب الرابع

مدى تأثر المعتزلة ومن وافقهم بها في صفة الرؤية

إنَّ إنكار رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة ممَّا اتفق عليه جميع فرق المعتزلة ، والإباضية ، والزيدية .

ولقد توسَّع القاضي عبد الجبار في كتابه (المغني) في بيان الأدلة العقلية والنقلية - في زعمه - على نفي الرؤية ، وردَّ على أدلة أهل السنة في هذه المسألة ، حيث أوَّل جميع الآيات الواردة في الرؤية . وقد استغرق هذا الكلام نحو مائتي صفحة من المطبوع^(١) . كما عقد في كتابه (المحيط بالتكليف) فصلًا كاملاً في نفي الرؤية وإيراد الأدلة العقلية والنقلية على ذلك ، ومن أهمَّ ما استدلَّ به من الأدلة النقلية قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] . كما تكلم عن هذه المسألة بالتفصيل في كتابه (شرح الأصول الخمسة) حيث ذكر أدلة قولهم ، ثم تطرَّق للردِّ على أدلة أهل السنة بالتفصيل ، واستغرق هذا الفصل ما يقارب خمسين صفحة من المطبوع^(٢) ، قال فيه : « . . . فاعلم أنَّه رحمه الله بدأ الاستدلال على هذه المسألة بقوله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ، ووجه الدلالة من الآية هو ما قد ثبت من أنَّ الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية . . . »^(٣) . وأمَّا ما استدلَّ

(١) انظر : المغني (٢٤١-٣٣/٤) .

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص ٢٣٢-٢٧٧) .

(٣) نفس المصدر (ص ٢٣٣) .

به أهل السنة من الآيات الصريحة في المسألة ، مثل آية سورة القيامة ، فأجاب عنها بقوله : « . . إنَّ النظر المذكور ههنا بمعنى الانتظار ، فكأنه تعالى قال : وجوه يومئذ ناضرة لثواب ربِّها منتظرة . . . »^(١) ثم استدلَّ لذلك ببعض أبياتٍ من الشعر . كما استدلَّ بالعقل ، وقال إنَّ الرؤية تستلزم التشبيه والجهة والحدّ ، وهذا محال^(٢) .

أما الجاحظ ، فقد اعتبر كلّ من أثبت الرؤية مشبَّهاً غير موحد ، ودافع عن عقيدة الاعتزال بقوة في كتابه (الردّ على المشبهة) ، حاول فيه أن يهدم أدلة أهل السنة في المسألة ، وأتى بأدلة المعتزلة ، منها قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ، وأمّا الأحاديث الصريحة في هذا الباب ، فشكك فيها بقوله « . . الحديث الذي رويتموه »^(٣) فنسب الرواية إليهم وكأن الحديث لا يثبت عنده . وأطنب في محاولة تأويل قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣] ، أي : تنتظر ثواب ربِّها ، وجاء بأدلة - على زعمه - من الكتاب ولغة العرب تدلّ على هذا المعنى^(٤) .

والمعتزلة إذ أولوا قوله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وقالوا : معنى الآية أنّها منتظرة ، فليسوا بأول من

(١) نفس المصدر (ص ٢٤٥) .

(٢) انظر : نفس المصدر (ص ٢٦٧-٢٧٠) .

(٣) الردّ على المشبهة للجاحظ (ص ١٧) ، نقلاً عن : الجانب الاعتزالي عند الجاحظ للغالي (ص ٢٢٩) .

(٤) انظر : الردّ على المشبهة للجاحظ (ص ١٧) ، و : الجانب الاعتزالي عند الجاحظ للغالي (ص ٢٢٤-٢٢٨) .

وقع في هذا التأويل . فَإِنَّ الْجَهْمِيَّةَ قَبْلَهُمْ هُمُ الَّذِينَ حَافِلُوا تَفْسِيرَ الْآيَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى ، وَقَالُوا إِنَّ « . . . الْعَرَبُ تَقُولُ نَظَرْتُكَ وَانْتَظَرْتُكَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أَنْظِرُونَا نَقِيسَ مِنْ تُورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣] أَيْ انْتَظِرُونَا»^(١) . وَهَذَا هُوَ عَيْنُ تَأْوِيلَاتِ الْمَعْتَزِلَةِ .

وَلَقَدْ بَيَّنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ تَوَافُقَ الْمَعْتَزِلَةِ مَعَ الْجَهْمِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، مِنْهُمْ الشَّهْرِسْتَانِيُّ إِذْ قَالَ : « وَهُوَ (أَيُّ الْجَهْمِ) أَيْضاً مُوَافِقٌ لِلْمَعْتَزِلَةِ فِي نَفْيِ الرَّؤْيَةِ »^(٢) ، وَكَذَلِكَ الصَّفَدِيُّ : « وَوَافِقُ الْمَعْتَزِلَةِ فِي نَفْيِ الرَّؤْيَةِ »^(٣) .

أَمَّا الْإِبَاضِيَّةُ ، فَقَدْ قَلَّدُوا الْمَعْتَزِلَةَ فِي هَذَا الْبَابِ ، حَيْثُ نَفَوْا رُؤْيَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى اسْتِحَالَتِهَا^(٤) .

وَلَهُمْ - عِلَافَةً عَلَى أَدْلَةِ الْمَعْتَزِلَةِ - أَدْلَةٌ خَاصَّةٌ بِهِمْ ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ إِمَامُهُمُ الرِّبِّيعُ بْنُ حَبِيبٍ فِي مُسْنَدِهِ - وَالَّذِي يَعْتَبِرُونَهُ أَصَحَّ كِتَابٍ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ - وَفِيهِ : رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْبَانِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ : هَلْ تَرَى رَبَّكَ ؟ فَقَالَ : « سَبْحَانَ اللَّهِ وَأَتَى أَرَاهُ ! »^(٥) . وَقَالَ السَّالِمِيُّ بَعْدَ إِيرَادِهِ إِنْكَارَ عَائِشَةَ عَلَى مُسْرُوقٍ فِي قَوْلِهِ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ : « وَجْهَ

(١) انظر : الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة (ص ٣٠-٣١) ، و : الرد على الجهمية لابن بطة (٧٢ / ٣) .

(٢) الملل والنحل (١ / ٧٤) .

(٣) الوافي بالوفيات (١١ / ١٦٠-١٦١) .

(٤) انظر : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية للبديوي (ص ٢٠٤) .

(٥) مسند الإمام الربيع بن الحارث (٣ / ٢٧) - نقلاً عن : الإباضية عقيدة ومذهباً للطعيمة (ص ١٠٥) .

الاستدلال بهذا الحديث هو أنَّ مقالة عائشة هذه صريحة بالبراءة ممن قال بذلك ، لأنَّ عظم الفرية على الله فسق اتفاقاً ، ويلزم القائل : إمَّا كذب القول بأنَّ محمداً ﷺ رأى ربّه ، وإمَّا تضليل عائشة حيث فسّقت قائلاً بصدق على صدقه ، وممحلّ للاجتهاد هنا ، لأنّه ليس للمجتهد أن يفسّق من خالفه في اجتهاده إذا كان محل الاجتهاد ظنيّاً» (١) .

وقال السالمي (٢) :

ورؤية الباري من المحال دنيا وأخرى احكم بكل حال
وقال صاحب (جوهر النظام) - وهو من أئمة الإباضية (٣) :
ولا يقال فيه إنه احتجب عن خلقه لكن خلقه حجب
أما تجليه تعالى للعلم فتلك آية أتته فانهدم
ومن روى أن الرسول قد رأى خالقه أعظم فيه الخطأ
قد قال لا تدركه الأبصار وأنّه يدركها القهّار
وأما الزيدية ، فهم على عقيدة المعتزلة في هذه المسألة ، كعادتهم .
قال إمامهم الحسين ابن بدر الدين : « فصل : فإن قيل : أربك يرى بالأبصار أم لا ؟ فقل : هذه مقالة باطلة عند أولي الأبصار ، لأنّه لو رُئي في مكان لدلّ ذلك على حدوثه ، لأنّ ما حواه محدود محدث . فإن قيل : إنّه يرى في غير مكان ، فهذا لا يعقل ، بل فيه نفي الرؤية .
وقد قال تعالى : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فنفي نفيّاً عاماً

(١) مشارق أنوار العقول للسالمي (ص ١٩٠) .

(٢) مشارق أنوار العقول للسالمي (ص ٢٦٢) .

(٣) الجوهر النظام للسالمي (ص ٨) .

لجميع المكلفين ولأوقات الدنيا والآخرة»^(١) .
وقال صاحب (الثلاثين مسألة) إنّ من عقيدة الزيدية « . . . أنّ الله تعالى لا يرى بالأبصار ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وقد قال تعالى (لا تدركه الأبصار) وذلك يستغرق جميع الأوقات »^(٢) .
وقال آخر منهم : « ونعتقد أنّ الله تعالى لا يرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة »^(٣) .

كما أنكر متأخروالرافضة الرؤية . قال صاحب (منهاج الكرامة) « وآثـه تعالى غير مرئي ولا مدرك بشيء من الحواس لقوله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] »^(٤) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية حول مسألة الرؤية : « فالجهمية والمعتزلة والخوارج وطائفة من غير الإمامية تنكرها ، والإمامية لهم فيها قولان : فجمهور قدامئهم يثبت الرؤية ، وجمهور متأخريهم ينفونها »^(٥) .
هذا ، وينبغي هنا أن نشير إلى أنّ بعض الأشاعرة المتأخرين قاربوا قول

(١) العقد الثمين في معرفة رب العالمين ، للأمرير بدر الدين (ص ٣١-٣٥) .

(٢) الثلاثون مسألة للدصاص (س ١٢) .

(٣) ينابيع النصيحة (ص ٥٢) - نقلاً عن تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٤٣٦) .

(٤) نقلاً عن منهاج السنة لابن تيمية (٣١٥/٢) ، علماً بأنّ هذا الكتاب هو سبب تأليف شيخ الإسلام كتابه منهاج السنة .

(٥) منهاج السنة لابن تيمية (٣١٥/٢) . وانظر : المغني للقاضي عبد الجبار (٤/١٣٩) ، حيث ذكر أنّ هذه الفرق أنكرت الرؤية .

المعتزلة في مسألة الرؤية ، خاصة الآمدي والرازي ، حيث قال الآمدي « الإدراك عبارة عن كمال يحصل به مزيد كشف على ما يخیل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان أو الخبر » ويذكر أن الإدراك بهذا المعنى ليس إلا معنى يخلقه الله في الحاسة المخصوصة ، بل إنه يستطيع خلقه في أي عضو آخر^(١) .

الخلاصة

إنّ الجهم بن صفوان أول من أنكر رؤية الله تعالى ، ثم تبعه على ذلك المعتزلة والإباضية والزيدية ومعظم الرافضة .



(١) غاية المرام للآمدي (ص ١٨٢) .

المبحث الثاني

أثرها على الأشاعرة والماتريدية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : مدى تأثير الأشاعرة والماتريدية بها في الصفات
عموماً .

المطلب الثاني : مدى تأثير الأشاعرة والماتريدية بها في صفتي
العلو والاستواء .

المطلب الثالث : مدى تأثير الأشاعرة والماتريدية بها
في صفة الكلام .

* * * *

المطلب الأول

مدى تأثر الأشاعرة والماتريدية بها في الصفات عموماً

إنّ منهج الأشاعرة والماتريدية في باب الأسماء والصفات هو محاولة الجمع بين أصول جهم مع أدلة نصوص الكتاب والسنة ، وهذه المحاولة محاولة فاشلة من أساسها ، لذلك جاءوا بتناقضات وعجائب ، بل إنّ هذا المنهج حدا بهم إلى الاقتراب شيئاً فشيئاً من باب الاعتزال وإن لم يدخلوه . ولا نستطيع في هذه العجالة أن نتوسّع في بيان موقف الطائفتين في باب الأسماء والصفات بالتفصيل ، وفي بيان تطوّر الأشاعرة فيه ، فهذا أمرٌ يطول ذكره جداً ، ولكن نريد أن نشير إلى مجمل قولهم في هذا الباب ، وأهمّ المراحل التي مرت بها الأشاعرة حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه . وسوف أمثل لهذا التطوّر بالتركيز على ذكر أقوال أئمة الأشاعرة في الصفات المعنوية^(١) ، وفي الصفات الاختيارية^(٢) ، وفي الصفات الذاتية الخبرية^(٣) .

-
- (١) الصفات المعنوية هي الصفات التي تقوم بالذات ولا تتعلّق بالمشيئة الإلهية ، مثل العلم والحياة . وانظر : صفات الله عز وجل للسقاف (ص ٢٧) .
- (٢) الصفات الاختيارية هي الصفات التي تقوم بالذات ولها تعلّق بالإرادة الإلهية ، وتنقسم إلى صفات متعدية ، مثل الرزق والخلق ، وإلى صفات لازمة ، مثل النزول والاستواء . وانظر : صفات الله عز وجل للسقاف (ص ٢٨) .
- (٣) هي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بالسمع ، وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها وليس لها معنى قائم بالذات ، بل هي تصف الذات ، مثل الوجه ، واليد . وانظر : صفات الله عز وجل للسقاف (ص ٢٩) .

فلقد ذهب مؤسس الأشاعرة أبو الحسن الأشعري إلى إثبات جميع أسماء الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة ، وأنكر على تسميته بما ليست فيهما ، فقال : « فالأسماء ليست إلينا ، ولا يجوز أن نسمي الله تعالى باسم لم يسم به نفسه ، ولا سمّاه به رسوله ، ولا أجمع المسلمون عليه ولا على معناه »^(١) . ثم شرع في إثبات صفة العلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والحياة ، والإرادة ، والكلام^(٢) ، وأثبت معاني هذه الصفات وأزليتها وقيامها بالذات^(٣) ، واستدل لإثبات هذه الصفات بأدلية عقلية - كطريقة المعتزلة - إلا أنه استند إلى بعض الآيات استشهاداً على وجود هذه الصفات . والملاحظ أنه لم يذكر بقية الصفات غير هذه الصفات السبع ولم ينكرها ، بل قال ، بعد أن ردّ على المعتزلة قولهم بأن الصفات هي عين الذات : « وهذا الدليل يدلّ على إثبات صفات الله تعالى لذاته كلّها ، من الحياة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، وسائر صفات الذات »^(٤) . ولم يذكر الصفات الاختيارية ، بل ظاهر كلامه في هذا الكتاب أنه كان على مذهب ابن كلاب في نفي هذه الصفات ، ويلاحظ ذلك من قوله في صفة الكلام^(٥) .

(١) اللمع (ص ٢٥) .

(٢) انظر : نفس المصدر (ص ٢٥-٣٣) .

(٣) انظر : نفس المصدر (ص ٢٦ ، و ٢٩) .

(٤) نفس المصدر (ص ٣٢) .

(٥) وسأذكر قوله في هذه الصفة بالتفصيل في مبحثٍ قادم ، انظر (ص ٦٤٢) من الرسالة .

كما نفى أن يكون الله تعالى يشبه المخلوقات ، « . . . لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحديث حكمها . ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات ، أو من بعضها ، فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدثاً مثلها من جميع الجهات ، وإن أشبهها من بعضها كان محدثاً من حيث أشبهها »^(١) ، واستدلّ لذلك بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ، كما نفى أن يكون الله تعالى جسماً^(٢) .

هذا كلامه في كتابه (اللمع) ، وهذا الكتاب ألفه لما كان على عقيدة ابن كلاب . وأما كتابه (رسالة إلى أهل الثغر) ، فيظهر من قراءته أنه بقي على أصول ابن كلاب ، مع اقترابه من قول السلف في بعض المسائل . فبدأ كلامه في صفات الله تعالى بإثبات الصفات السبع فقط ، ولم يذكر بقية الصفات ، حيث قال : « وأجمعوا على إثبات حياة لله عز وجل لم يزل بها حياً ، وعلم لم يزل به عالماً ، وقدرة لم يزل بها قادراً ، وكلام لم يزل به متكلماً ، وإرادة لم يزل بها مريداً ، وسمع وبصر لم يزل بهما سميعاً بصيراً »^(٣) ، وأثبت أن هذه الصفات على حقيقتها وليست بمجاز^(٤) ، كما بين أن هذه الصفات لازمة للذات متصفة بها في الأزل ، وليست بمحدث ولا عرض ، لأنه لو كانت أعراضاً للزم من ذلك أن الله تعالى جسم ، وثبت أنه ليس بجسم وأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] .^(٥)

(١) نفس المصدر (ص ٢٠-٢١) .

(٢) نفس المصدر (ص ٢٤) .

(٣) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٦٤) .

(٤) انظر : نفس المصدر (ص ٦٥-٦٦) .

(٥) نفس المصدر (ص ٦٦) .

وقال : « وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير اعتراض فيه ، ولا تكليف له ، وأن الإيمان به واجب ، وترك التكليف له لازم »^(١) ، وهذا الكلام في غاية الجمال ، لولا أن الأشعري نفسه خالف هذه القاعدة السلفية ، وبيّن أنه لا يريد تطبيقها تطبيقاً سليماً ، حيث أثبت لله تعالى صفة الرضا وأنها ثابتة للطائعين ، إلا أنه أولها بأنها « إرادته لنعيمهم »^(٢) ، وأثبت صفة الغضب وأنه تعالى يغضب على الكافرين ولكن غضبه « إرادته لعذابهم »^(٣) ، فبذلك أرجع هاتين الصفتين إلى صفة (الإرادة) كما هو منهج الأشاعرة بعده . وأثبت - لفظاً - صفة المجيء ، إلا أنه قيدها بقيود لم يأت بها الكتاب والسنة ، فقال : « وليس مجيئه حركة ولا زوالاً » ثم بين السبب في هذا الإنكار فقال : « وإنما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهرأ ، فإذا ثبت أنه عز وجل ليس بجسم ولا جوهر ، لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة »^(٤) . فيظهر من هذا النص أنه أول هذه الصفة الاختيارية بناء على دليل الأعراض وقوله بعدم حدوث الأعراض في ذات الله ، لأن ذلك يستلزم كونه جسماً .

كما أنه في هذا الكتاب أثبت بعض الصفات الذاتية ، مثل اليدين ، والقبضة ، واليمين^(٥) ، وأكد أن اليد ليس معناها النعمة ، إلا أنه جزم بأن

(١) نفس المصدر (ص ٧٢) .

(٢) نفس المصدر (ص ٧١) .

(٣) نفس المصدر (ص ٧١) .

(٤) نفس المصدر (ص ٧٠) .

(٥) نفس المصدر (ص ٦٩) .

اليدين ليست بجارحتين^(١) .

وأما في كتابه الإبانة - وهو آخر تأليفاته وأقربها إلى منهج السلف - فقد أثبت لله تعالى صفة الوجه ، واليدين ، والاستواء ، والنزول^(٢) ، بل ورد بالتفصيل على من زعم أن معنى (اليد) النعمة وقارب قول أهل السنة ، بل يكاد القارئ أن يميل إلى أنه على عقيدة أهل السنة لولا بعض ما كتبه حول صفة (الكلام)^(٣) .

إذا خلاصة القول في الأشعري نفسه أنه في كتابيه (اللمع) و (رسالة إلى أهل الثغر) أثبت سبع صفات معنوية ، كما أثبت بعض الصفات الذاتية ، ولكنه أول الصفات الاختيارية وأرجعها إلى معنى الإرادة .
وأما في كتابه (الإبانة) ، فقد قارب قول أهل السنة جداً ، إلا أن الأشاعرة لم يأخذوا بما في هذا الكتاب ، ولهم في ذلك مبررات وتأويلات ليس هذا موضع بسطها^(٤) .

ثم جاء الباقلاني ، وأثبت الصفات السبع ، من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، إلا أنه لم يأت بنص واحد لا من الكتاب ولا من السنة لإثباتها ، بل أثبتها بطرق عقلية بحتة^(٥) ، ثم

(١) نفس المصدر (ص ٦٩) ، وفي الأصل (جواره) وهو خطأ مطبعي .

(٢) انظر : الإبانة (ص ١٠٤-١٠٨) .

(٣) ولقد فصلت القول في هذه المسألة تحت مبحث الكلام في (ص ٦٤٢) من الرسالة .

(٤) انظر : مقدمة المحقق للكتاب ، فإنه أشار إلى بعض شبهاتهم (س ٥-٢٧) .

(٥) انظر : التمهيد (ص ٤٥-٤٨) .

أثبت لله تعالى صفة الغضب وصفة الرضا ، ولكنه بين أن المراد من هاتين الصفتين هو إرادة الله تعالى لإثابة المرضي عنه وعقوبة المغضوب عليه ، لا غير ذلك ، والدليل على ذلك هو أنه لو لم ينقل أنهما بمعنى الإرادة ، للزم من ذلك أن الغضب يكون بمعنى تغير الطبع ونفور النفس ، والرضى يكون بمعنى السكون بعد تغير النفس ، ولا يجوز للباريء أن يكون ذا طبع يتغير^(١) .

وقسم صفات الله تعالى إلى عدة أقسام ، منها صفات الذات ، وهي الصفات السبع المتقدمة الذكر ، ومنها صفات الأفعال ، ككونه محسناً ومحياً ومميتاً ، فهذه هي غير ذاته لأن الذات كانت موجودة متقدمة عليها مع عدمها^(٢) . وهذا النقل من الأهمية بمكان ، حيث إن لازمه - لا محالة - أن جميع هذه الصفات مخلوقة قد اتصف الله تعالى بها بعد أن لم يكن متصفاً بها .

وأما الصفات الذاتية الخبرية ، فقد أثبت الوجه والعينين واليدين ، وردّ على من أولها ، حيث تساءل عن سبب إنكاره أن يكون اليد بمعنى القدرة أو النعمة ، فأجاب : « هذا باطل ، لأنّ قوله تعالى (بيدي) يقتضي إثبات يدين هما صفة له ، فلو كان المراد بهما القدرة ، لوجب أن يكون له قدرتان . . . وكذلك لا يجوز أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين ، لأنّ نعم الله تعالى على آدم وعلى غيره لا تحصى^(٣) » ، إلا أنه - مع هذا

(١) انظر : نفس المصدر (ص ٤٧) .

(٢) انظر : نفس المصدر (ص ٢٦٢) .

(٣) انظر : نفس المصدر (ص ٢٩٥ و ٢٨٦) .

الإثبات - أنكر أن يكون الوجه أواليد جارحة ، مؤيداً ذلك بقوله إنه يلزم منه التجسيم^(١) . كما عقد فصلاً في نفى (الجسمية) عن الله تعالى^(٢) .
وأما ابن فورك ، فقد كان من أبرز المتقدمين في تأويل أحاديث الصفات حيث ألف كتاباً لهذا الغرض سماه (مشكل الحديث وبيانه) ، وهو حرّى بأن يسمّى (أحاديث الصفات وتحريفها على قواعد المتكلمين) . ولقد أوّل في هذا الكتاب صفات كثيرة ، مثل الصورة ، والكف ، والقبضة ، والأصابع ، واليد (في موضع) ، والقدم ، والرجل ، والساق^(٣) ، إلا أنه أثبت بعض الصفات ، كالوجه ، واليدين ، والعين^(٤) ، بل نقل ذلك عن جميع الأشاعرة حيث قال : « وذهب أصحابنا إلى أنّ الله عزّ وجلّ ذو وجه وأنّ الوجه صفة من صفاته القائمة بذاته » ، إلا أنه نفى أن يكون هذا الوجه جارحة لأنّ ذلك يلزم منه إثبات الجسم^(٥) . وبين منهجه في هذا الباب إذ قال : « واعلم أنّ أحد أصولنا في هذا الباب أنّ كلما أطلق على الله عزّ وجلّ من هذه الأوصاف والأسماء التي قد تجري على الجوارح فينا ، فإنما يجري ذلك في وصفه على طريق الصفة إذا لم يكن وجه آخر يحمل عليه

(١) نفس المصدر (ص ٢٩٨) .

(٢) نفس المصدر (ص ٢٢٠) .

(٣) انظر لتأويل هذه الصفات : مشكل الحديث وبيانه (ص ٤٦ ، و ٢٣٦ ، وص ٩٨ ، وص ٢٣٨ ، وص ١١٣ ، وص ١٢٦ ، وص ١٢٩ ، وص ٣٤٧) .

(٤) انظر لإثبات هذه الصفات : نفس المصدر (ص ٣٥٦ ، و ٣٢٥ ، و ٢٥٠ - ٢٥٣) .

(٥) نفس المصدر (ص ٣٧٩) .

مما يسوغ فيه التأويل . . . وهكذا طريقنا في إثبات اليمين لله عز وجل ، وكذلك القول في العين ، فافهم بما عرفتكم الطريقة في هذا الباب واحمل عليه جميع ما يجري مجراه ^(١) .

إذا ثبت بهذا أن ابن فورك يرى أن المنهج الصحيح أن تؤول جميع الصفات الدالة على (الجسم) و (الجوارح) - في زعمه - إلا إذا لم تكن ثم طريق لغوية لتأويل تلك الصفة ، والصفات التي لم يؤولها هي ما ذكره في هذا النص ، وأما بقية الصفات التي ذكرها في كتابه ، فقد وجد بغيته في الشعر الجاهلي وكلام العرب .

أما البيهقي ، فهو ، وإن كان متأخراً عن الباقلاني وابن فورك ، إلا أنه أحسن حالاً منهما بكثير ، وما ذلك إلا لتضلعه في علم الحديث وتأثره بأحاديث رسول الله ﷺ . وأظهر دليل على ذلك : عدم وجود النزعة العقلية في استدلالاته على القضايا العقدية ، فهو يعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً على نصوص الكتاب والسنة ، إلا أنه قد تأثر بعلم الكلام فزل في بعض المسائل تأثراً بشيخه .

فقد أثبت لله تعالى الأسماء الواردة في الكتاب والسنة ، وفسر جملة من هذه الأسماء ^(٢) ، أصاب في أكثرها ، وأول بعضها ، كما فعل ب (الرحمن) و (الرحيم) ، حيث فسرها بقوله : « الرحمن : المرید لرزق كل حي في الدنيا ، الرحيم : المرید لإكرام المؤمنين بالجنة العقبى ، فيرجع معناهما إلى صفة الإرادة التي هي صفة قائمة بذاته » ^(٣) .

(١) نفس المصدر (ص ٣٨٢) .

(٢) انظر : الاعتقاد (ص ٤٩-٦٠) .

(٣) نفس المصدر (ص ٤٩) .

وقسم الصفات إلى صفات العقل - وهي ما دلّ عليه العقل والشرع ،
 وصفات السمع - وهي ما تفرّد السمع بإثباتها . ثم مثل لصفات العقل
 بـ « . . . حياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه وبقائه ،
 والاسم في هذا القسم صفة قائمة بالمسمى »^(١) ، ومثل لصفات السمع
 بالوجه واليدين والعين ، وهذه « . . . لا يجوز تكييفها ، فالوجه له
 صفة وليست بصورة ، واليدان له صفتان وليستا جارحتين ، والعين له
 صفة وليست بحدقة »^(٢) ، ثم ذكر صفات الأفعال ، وبيّن أنها صفات
 لأفعال لم تكن في الأزل ، مثل الإحياء والإماتة^(٣) ، وهذا إشارة منه -
 وإن لم يصرح به - إلى حدوث هذه الصفات ، بمعنى أنّ الله جلّ وعلا
 لم يكن متصفاً بهذه الصفات ثم اتصف بها .

وعقد باباً خاصاً في إثبات صفة الوجه ، واليدين ، والعين ، وردّ على من
 أوّل هذه الصفات ، وختم الباب بقوله : « وإثبات العين له صفة ، وعرفنا
 بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] وبدلائل العقل أنّها ليست
 بحدقة ، وأنّ اليدين ليستا بجارحتين ، وأنّ الوجه ليس بصورة ، وأنّها
 صفات ذات أثبتناها بالكتاب والسنة بلا تشبيه ، وبالله التوفيق »^(٤) .
 إلا أنّه أوّل بعض الصفات ، كالضحك مثلاً ، حيث نقل عن الخطابي

(١) نفس المصدر (ص ٦٢) .

(٢) نفس المصدر (ص ٦٢) .

(٣) نفس المصدر (ص ٦٣) .

(٤) نفس المصدر (ص ٨٩-٩١) . وفصل الأدلة في إثبات هذه الصفات في كتابه
 الأسماء والصفات (٨١/٢ و ١١٣ و ١١٨) .

قوله إن الضحك الذي يعتري البشر غير جائز على الله تعالى وهو منفي عن صفاته ، وإنما هو مثل ضربه الله تعالى لهذا الصنيع الذي يحل محلّ العجب عند البشر ، ومعناه في حقّه تعالى الإخبار عن الرضى والقبول^(١) . وأول صفة الصورة ، زاعماً أنّ ذلك يؤدي إلى التركيب والتشبيه ، ثم قال : « فإنّ الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة ، فإنّ الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية »^(٢) .

ونفى (التشبيه) في حقّ الله تعالى ، فقال : « ثم يعلم أن صانع العالم لا يشبه شيئاً من العالم ، لأنّه لو أشبه شيئاً من المحدثات بجهة من الجهات لأشبهه في الحدوث في تلك الجهة . . . فهو كما وصف به نفسه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] »^(٣) . وهذا الكلام ، وإن يقصد به معنى صحيحاً ، إلا أنّ هذه الإطلاقات من أنّ الله تعالى لا يشبه شيئاً بوجه من الوجوه ، يؤدي إلى التعطيل كما بيّنا سابقاً .

ثم جاء دور عبد القاهر البغدادي ، فجّر الأشاعرة إلى طورٍ جديدٍ في مذهبهم .

فقصر الصفات المثبتة في الصفات السبع المعروفة وقال : « وأصحابنا مجمعون على أنّ الله تعالى حيّ بحياة وقادر بقدره وعالم بعلم ومريد بإرادة وسامع بسمع لا يأذن وباصر ببصر هورؤية لا عين ، ومتكلم بكلام

(١) انظر : الأسماء والصفات (٤٠٢/٢) .

(٢) نفس المصدر (٧٠/٢) .

(٣) الاعتقاد (ص ٣٨) .

لا من جنس الأصوات والحروف ، وأجمعوا على أنّ هذه الصفات السبع أزلية ، وسموها قديمة «^(١) . كما أشار إلى قول الأشاعرة في عدم اتصاف البارئ جلّ وعلا بصفاته الفعلية ، فقال إن كل ما كان مشتقاً من أسمائه من فعل فليس من أسمائه الأزلية^(٢) .

وأول بقية صفات الله تعالى ، فزعم أنّ صفة الضحك المضافة إلى الله تعالى على معنى الإبانة والإظهار ، ومعنى الخبر فيه أنّ الله تعالى يظهر من برّه لعبده ما كان مستوراً عن غيره^(٣) .

وقال : « وزعم بعض الصفاتية أنّ الوجه والعين المضافين إلى الله تعالى صفات له . والصحيح عندنا أنّ وجهه ذاته ، وعينه رؤيته للأشياء ، وقوله : ﴿ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ، معناه يبقى ربك ، ولذلك قال : ﴿ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧] بالرفع ، لأنّه نعت الوجه ، ولو أراد الإضافة لقال : ذي الجلال والإكرام بالخفض . وقوله : ﴿ وَلِصْنَعِ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه: ٣٩] ، أي على رؤية مني ، كما قال : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦] ، وقوله في سفينة نوح : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤] ، أراد بها العيون التي جرت بها السفينة من الماء لأنه قال ﴿ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١١-١٢] ، فجرت السفينة بتلك العيون المجرة «^(٤) .

(١) أصول الدين (ص ٩٠) .

(٢) نفس المصدر (ص ١١٨) ، وانظر كذلك (ص ١٢٢) .

(٣) انظر : نفس المصدر (ص ٨٠-٨١) .

(٤) نفس المصدر (ص ١١٠) .

وأول صفة اليد : « وزعم الجبائي أَنَّ اليد المضافة إليه بمعنى النعمة ، وهذا خطأ لأنَّ الله تعالى أخبر أنَّه خلق آدم بيديه ، والنعمة مخلوقة ، والله لا يخلق مخلوقاً بمخلوق ، ولأنَّ الله خصَّ آدم بهذه الخاصية . . . » ثم ذكر أقوال الفرق الأخرى ، إلى أن قال : « وزعم بعض أصحابنا أَنَّ اليمين صفتان لله سبحانه وتعالى ، وقال القلانسي : هما صفة واحدة . وتأولهما بعض أصحابنا على معنى القدرة ، وهذا التأويل صحيح على المذهب ، إذ أثبتنا لله القدرة ، وبها خلق كل شيء ، ولذلك قال في آدم عليه السلام ﴿ خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتُ أَمْ كُنْتُ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص: ٧٥] ، ووجه تخصيصه آدم بذلك أن خلقه لا على مثال له سبق ولا من نطفة ولا نقل من الأصلاب إلى الأرحام . . . إلخ »^(١) .

وأول صفة الإصبع بمعنى النعمة^(٢) ، وزعم أَنَّ الجبار الذي يضع قدمه على جهنم ليس هو الله تعالى بل جبار آخر مخلوق^(٣) ، وادَّعى أَنَّ (الصورة) ليست من صفات الله تعالى أصلاً^(٤) . وجزم بأنَّ الله تعالى ليس بذئب جسم ولا جوهر ولا عرض^(٥) .

فنلاحظ أَنَّ البغدادي هو أول من أولَّ جميع صفات الذات الخيرية ، إذ إنَّ من سبقه أثبتوا بعض الصفات وأولوا البعض ، خاصة صفة (الوجه)

(١) نفس المصدر (ص ١١١) .

(٢) انظر : نفس المصدر (ص ٧٦) .

(٣) نفس المصدر (ص ٧٦) .

(٤) نفس المصدر (ص ٧٦) .

(٥) نفس المصدر (ص ٧٧) .

و (اليدین) ، فالأشاعرة قبله كانوا يشبتون هذه الصفات ، ولكن البغدادي أوّل جميع الصفات ما عدا السبع المعروفة . وبهذا ، فقد لعب البغدادي دوراً كبيراً في توسيع فجوة الخلاف بين الأشاعرة وأهل السنة ، وفي تقريب عقائد الأشاعرة إلى الاعتزال .

ثم جاء أبوالمعالی الجويني ، واتبع البغدادي في هذا التأويل واشتهر به . فأكد هذا التطور وجعله قاعدة كلية عند جميع الأشاعرة في ذلك لأنه لم يكتف بتأويل هذه الصفات فحسب ، بل أوجبه ودعا إليه ، وقال إنّ التوقف عن التأويل لا يخلو من أخطار . فقال ، بعد أن أوّل صفة استواء ، « والذي دعا إليه من إجراء الآية على ظاهرها لم يستقم له ، وإذا أزيل الظاهر قطعاً فلا بدّ بعده من حمل الآية على محمل مستقيم في العقول ، مستقرّ في موجب الشرع . والإعراض عن التأويل حذاراً من مواجهة محذور في الاعتقاد يجرّ إلى اللبس والإيهام ، واستزلال العوام ، وتطريق الشبهات إلى أصول الدين ، وتعرض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظنون والمعنى . . . » (١) .

ولقد أثبت الجويني جميع أسماء الله تعالى الواردة في النصوص ، ومنع من تسميته تعالى ما جاء الشرع بمنعه ، وتوقف في ما لم يرد فيه الشرع لا بنفي ولا إثبات (٢) ، وأثبت الصفات السبع بطرق عقلية ، ولم يأت بآية واحدة للاستدلال لها (٣) .

(١) الإرشاد (ص ٦٠) .

(٢) انظر : الإرشاد للجويني (ص ١٣٦) .

(٣) انظر : نفس المصدر (ص ٧٣-٩١) .

إلا أنه نفى أن تكون أسماؤه تعالى الدالة على أفعاله من أسمائه الأزلية ، ومثل لذلك باسم (الخالق) حيث قال : « لا يتصف البارئ تعالى في أزله بكونه خالقاً ، إذ لا خلق في الأزل »^(١) . وبهذا وافق الأشاعرة في نفيتهم بقية الصفات الأزلية لله تعالى .

ومن العجيب أن الجويني حكى خلاف الأشاعرة المتقدمين في بعض الصفات الخبرية ، إلا أنه صرح بمخالفتهم في ذلك فقال : « ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليتين والعين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى ، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل . والذي يصح عندنا : حمل اليتين على القدرة ، وحمل العين على البصر ، وحمل الوجه على الوجود . . . »^(٢) وبهذا وقع الجويني في المأزق الذي رده أسلافه من الأشاعرة ، وهو تأويل (اليد) بالقدرة ، حيث أنكر المتقدمون منهم - حتى البغدادي مع تأويله لهذه الصفة - هذا التأويل على المعتزلة .

ومما استدلل به الجويني على مذهبه ، قوله : « ومن سلك من أصحابنا سبيل إثبات هذه الصفات بظواهر هذه الآيات ألزمه سوق كلامه أن يجعل الاستواء والمجيء والنزول والجنب من الصفات ، تمسكاً بالظاهر ، فإن ساغ تأويلها فيما يتفق عليه ، لم يبعد أيضاً طريق التأويل فيما ذكرناه »^(٣) . وهذا الكلام يبين تناقض الأشاعرة فيما يشبّهون وفيما يؤولون ، ثم بإمكاننا أن نردّ على الجويني نفسه بهذا النص ، إذ كيف ساغ له أن يثبت السمع

(١) نفس المصدر (ص ١٣٨) .

(٢) نفس المصدر (ص ١٣٦) .

(٣) نفس المصدر (ص ١٤٨) .

والبصر والقدرة والكلام والعلم والحياة والإرادة ويؤول بقية الصفات ؟
 كما عقد فصلاً كاملاً في بيان عدم جواز وصف الله تعالى بـ (الجسمية) ^(١) .
 ويبيّن أنّ الوقوع في (التشبيه) هو سبب نفي الصفات ، وهو من أعظم أركان
 الإسلام ، فقال : « اعلّموا أرشدكم الله أنّ من أعظم أركان الدين نفي
 التشبيه . وقد افتتن فيه فئتان وابتلي عليه طائفتان ، فغلت طائفة ونفت جملة
 صفات الإثبات ، ظناً منهم أنّ المصير إلى إثباتها مفض إلى التشبيه ، وإلى
 ذلك صار من أثبت الصانع من الفلاسفة وإليه مال بعض الباطنية ، فرعموا
 أنّ القديم لا يوصف بالوجود ، ولكن يقال : إنه ليس بمعدوم . . .
 وغلت طائفة من المثبتين فاقربوا من التشبيه ، واعتقدوا ما يلزمهم القول
 بمماثلة القديم صنعته وفعله » ^(٢) .

علماً بأنّ الجويني في كتابه العقيدة النظامية - وهو من أواخر مؤلفاته - مال
 إلى مذهب التفويض واستحسنه ، زاعماً أنّ ذلك هو مذهب السلف ^(٣) .
 وبهذا ، استقرّ قدم الأشاعرة على التأويل ، ولم يأت بعد الجويني إمام
 أشعري إلا وكان على منهجه أو أشدّ تأويلاً .

ثمّ جاء فخر الدين الرازي ، وهو محقق مذهبهم من المتأخرين ، وألف
 (أساس التقديس في علم الكلام) ، الذي سرد فيه أكثر شبهات المتكلّمين
 في نفي الصفات ، خاصة الصفات الذاتية والاختيارية ، وكل من جاء بعده
 من المتكلّمين عيال عليه في حججه في تأويل نصوص الصفات .

(١) انظر : نفس المصدر (ص ٦١-٦٢) .

(٢) الشامل في أصول الدين (ص ٢٨٨) .

(٣) انظر : العقيدة النظامية (ص ٣٢) .

وقد قسّم هذا الكتاب إلى قسمين : القسم الأول في الدلائل على أنه تعالى منزّه عن الجسميّة والحيز ، دَلّ فيه على استحالة كون الله تعالى جسمًا أو جوهرًا أو متحيّزًا ، وممّا استدَلّ به : قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] . (١) وقد استغرق هذا القسم ما يقارب خمسين صفحة من المطبوع (٢) ، ثم في القسم الثاني ، شرع في تأويل ما سمّاه (متشابهات الأخبار) ، يقصد الصفات التي ينكرها الأشاعرة ، فأولّها واحدة تلوا الأخرى ، من الصورة والنفس (٣) ، والقرب والمجيء والنزول (٤) ، والوجه والعين واليد واليمين والقبضة والكف والإصبع (٥) ، وغير ذلك من الصفات . وختم كتابه بذكر (القانون الكلّي) - وقد سبق ذكره في الرسالة (٦) - لكي يكون سلاحاً يُستخدم لمحاربة جميع نصوص الصفات .

وقد حصر الرازي صفات الله تعالى بسبع أو ثمانى ، وردّ على من زاد على هذا العدد بقوله : « والإنصاف أنّه لا دلالة على ثبوت هذه الصفات ولا على نفيها ، فيجب التوقف » (٧) .

(١) انظر : أساس التقديس (ص ٢٨) .

(٢) انظر : نفس المصدر (ص ١٥-٦٧) .

(٣) نفس المصدر (ص ٧٥) .

(٤) نفس المصدر (ص ٨٢) .

(٥) نفس المصدر (ص ٩١-١٠٦) .

(٦) انظر : (ص ٦٤٢) من الرسالة .

(٧) المحضّل (ص ٤٣٨) .

وهذا هو (الإنصاف) عنده - أن تُترك آلاف النصوص من الكتاب والسنة الدالة على صفات الله تعالى الكثيرة الجميلة لأنها لا تفيد القطع ، ويُتوقف في إثباتها أونفيها .

ثم جاء الإيجي وأثبت جميع أسماء الله تعالى ، وبين أنها توقيفية^(١) ، إلا أنه أول بعضها ، فمثلاً قال : « الرحمن ، الرحيم : أي مريد الإنعام على الخلق ، فمرجعها صفة الإرادة »^(٢) . كما أثبت الصفات السبع بأدلية عقلية ، وبين مذاهب الفرق في هذه الصفات ، وأن قول الصواب في ذلك أنها صفات أزلية قائمة بالله تعالى^(٣) . ثم بعد ذلك عقد فصلاً خاصاً « في صفات اختلف فيها » ، وذكر إحدى عشرة صفة اختلف قول الأشاعرة فيها ، فقال عن الاستواء : « وذهب الشيخ - يعني أبا الحسن - في أحد قوليهِ إلى أنه صفة زائدة »^(٤) ، وقال عن الوجه : « أثبتهُ الشيخ في أحد قوليهِ ، وأبو إسحاق الإسفراييني ، والسلف ، صفة زائدة »^(٥) ، وقال عن اليمين : « فأثبت الشيخ صفتين ثبوتيتين زائدتين ، وعليه السلف وإليه ميل القاضي - يعني الباقلاني - في بعض كتبه »^(٦) ، وقال عن العينين : « وقال الشيخ تارة إنه صفة زائدة »^(٧) ، وذكر كذلك صفة القدم

(١) انظر : المواقف (ص ٣٣٣) .

(٢) نفس المصدر (ص ٣٣٤) .

(٣) انظر : نفس المصدر (ص ٢٩٠-٢٩٣) .

(٤) نفس المصدر (ص ٢٩٧) .

(٥) نفس المصدر (ص ٢٩٧) .

(٦) نفس المصدر (ص ٢٩٨) .

(٧) نفس المصدر (ص ٢٩٨) .

والإصبع ، واليمين^(١) ، إلا أنه مال إلى تأويل جميع هذه الصفات وبين شبهاته في ذلك^(٢) .

وزعم الدسوقي أن إثبات الصفات يلزم منه إثبات الجسم لله تعالى ، وهذا كفر ، فقال : « أصول الكفر ستة . . . سادساً : التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرض لها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية . . . والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل ، وهو أصل ضلالة الحشوية ، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة »^(٣) .

ولقد أثبت صاحب (جوهره التوحيد) الصفات السبع عند الأشاعرة ، ثم قال^(٤) :

وعندنا أسماؤه العظيمة كذا صفات ذاته قديمة فقيّد قدم الصفات بالصفات الذاتية فقط ، ومفهوم كلامه أن غير هذه الصفات ليست بقديمة ، بل حادثة . ويؤكد هذا المعنى شارحه البيجوري ويقول : « وخرج بإضافة صفات إلى الذات : صفات الأفعال ، فليس شيء منها بتقديم عند الأشاعرة »^(٥) .

(١) نفس المصدر (ص ٢٩٨) .

(٢) انظر : نفس المصدر (ص ٢٩٧-٢٩٩) .

(٣) حاشية الدسوقي على أم البراهين (ص ٢١٩) .

(٤) انظر : شرح جوهره التوحيد للبيجوري (ص ١٤١-١٥٠) .

(٥) نفس المصدر (ص ١٥٣) .

ثم يبين أن جميع الصفات التي توهم التشبيه يجب تأويلها أوتفويضها^(١) :
 وكل نصّ أوهم التشبيهها أوله أوفوض ورم تنزيها
 وقال شارحه : « والحاصل أنه إذا ورد في القرآن أو السنة ما يشعر بإثبات
 الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح ، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا
 المجسمة والمشبهة على تأويل ذلك ، لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما
 ذكر بحسب ظاهره »^(٢) ، ومثل لذلك بصفة (الوجه) و (العلو) و (اليد)
 و (المجيء) وغير ذلك .

إذاً ، خلاصة القول في مذهب الأشاعرة أن متأخريهم أولوا جميع
 الصفات الذاتية الخبرية ، وأولوا جميع الصفات الاختيارية اللازمة^(٣) ،
 وأرجعوا جميع الصفات الاختيارية المتعدية^(٤) إلى الإرادة مع القول
 بحدوثها ، وأثبتوا سبع صفات معنوية أزلية فقط .
 ويلاحظ أن السبب الذي من أجله نهج الأشاعرة هذا النهج هو تمسكهم
 بالأصلين الجهميين :

الأصل الأول : لوازم القول بدليل الأعراض وحدوث الأجسام ، وبهذا
 الدليل نفوا جميع الصفات الاختيارية ، اللازمة منها والمتعدية

(١) نفس المصدر (ص ١٥٦) .

(٢) نفس المصدر (ص ١٥٧) .

(٣) المراد بالصفات الاختيارية اللازمة هي تلك الصفات المتعلقة بمشيئة الله تعالى
 وذاته ، مثل الاستواء ، والنزول ، والمجيء .

(٤) المراد بالصفات الاختيارية المتعدية هي تلك الصفات المتعلقة بمشيئة الله تعالى
 والتي تتعدى إلى المخلوقات ، مثل الرضى والمحبة .

الأصل الثاني : نفي كل ما يستلزم (التشبيه) في حق ذات الله تعالى ، وبهذا نفوا جميع الصفات الذاتية الخبرية .

أضف إلى ذلك اعتقادهم أنّ أكثر النصوص النقلية ظنيّة الثبوت ، وإن كانت يقينية فهي ظنية الدلالة . قال الأمدي ، مصرّحاً بهذا الأصل ، إنّ قبول المعنى الظاهر لنصوص الصفات يفضي إلى « . . . » . انخراط في سلك نظام التجسيم ، ودخول في طرف دائرة التشبيه . . . بل الواجب أن يقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] « إلى أن قال : » فالمستند فيها ليس إلا المسموع المنقول دون قضايا العقول . . . فإن قيل بأن ما دلت عليه هذه الظواهر وأثبتناه من الصفات ليس على نحو صفاتنا ولا على ما نتخيل من أحوال ذواتنا ، بل مخالفة لصفاتنا كما أن ذاته مخالفة لذواتنا ، وهذا مما لا يقود إلى التشبيه ولا يسوق إلى التجسيم ، فهذا ، وإن كان في نفسه جائزاً ، لكن القول بإثباته من جملة الصفات يستدعي دليلاً قطعياً ، وهذه الظواهر ، وإن أمكن حملها على مثل هذه المدلولات ، فقد أمكن حملها على غيرها أيضاً ، ومع تعارض الاحتمالات وتعدد المدلولات ، فلا قطع ، وما لا قطع فيه من الصفات لا يصح إثباته للذات « (١) .

أما الماتريدية ، فنلاحظ أنّهم لم يمرّوا بمراحل متطورة ، فقد أراحهم مؤسسهم من هذا التكلف والتعب .

حيث أثبت أبو المنصور الماتريدي جميع أسماء الله تعالى الموجودة في الكتاب والسنة ، كما أثبت بعض الصفات ، إلا أنّه قال : إنّ هذه الأسماء عبارات لتقريب المعاني إلى الأفهام ، ولا يعني ذلك أنّ هذه الأسماء في

(١) غاية المرام (ص ١٣٦-١٣٨) .

حقيقتها أسماء الله تعالى ، لأن ذلك يوجب التشبيه ، فقال : (الأصل عندنا أنّ لله أسماء ذاتية يسمّى بها ، نحوقوله : الرحمن ، وصفات ذاتية بها يوصف ، نحو : العلم بالأشياء والقدرة عليها . لكن الوصف له مثا ، والاسم إنّما هو ما يحتمله وسعنا وتبلغه عبارتنا لضرورة ، إذ سبيل ذلك إنّما هو عن المعروف في الشاهد ، وذلك يوجب التشابه في القول لواحتمل وسعنا التسمية بما لا يسمّى به غيرنا نسمّيه ، لكنه إذا كان الشاهد دليلا وبه يجب معرفته ، فمنه قدر اسمه على ما يقرب من الفهم بما يريد به ، وإن كان الله يتعالى عن أن يكون له مثال أو شبه فيدلّك أنّ الأسماء التي نسمّيه بها عبارات عمّا يقرب إلى الأفهام ، لا أنّها في الحقيقة أسماؤه » (١) .

وهذا النصّ من الأهمية بمكان ، حيث يقول الماتريدي إنّ جميع أسماء الله تعالى ليست في الحقيقة أسماء له ، بل هي لتقريب المعاني ، وهذا هو عين قول الفلاسفة والجهم ، حيث كان لا يسمّي الله تعالى إلا على طريق المجاز ، بناء على أنّ هذه الأسماء موجودة في الخلق . إلا أنّي - حسب بحثي القاصر - لم أر من شرح هذه المقولة وأيدها من متأخري مذهبهم ، والله أعلم .

ولقد أوّل الماتريدي الأسماء التي لا تتفق مع عقيدته ، فقال مثلاً في اسم الله تعالى (الأعلى) : « هو أعلى من أن يمسه حاجة أو يلحقه آفة » (٢) وقال في اسمه تعالى (الظاهر) : « هو الغالب القاهر

(١) كتاب التوحيد (ص ٩٣-٩٤) .

(٢) التأويلات (ل ٦٣٦) - نقلاً عن : الماتريدية للحربي (ص ٢٢٦) .

الذي لا يغلبه شيء»^(١) ، وهذا بناء على نفيه علوّ الله تعالى على خلقه^(٢) .

ونفى أن يكون هناك (تغيّر) في ذات الباريء ، صرح بذلك في سياق نفيه للاستواء^(٣) ، وهذا إشارة منه إلى نفي جميع الصفات الاختيارية ، حيث أكد ذلك بقوله : « الأصل أنّ الله تعالى إذا أطلق الوصف له ، وصف بما يوصف من الفعل والعلم ونحوه ، يلزم الوصف به في الأزل ، وإذا ذكر معه الذي هوتحت وصفه به من المعلوم والمقدور عليه والمراد والمكون يذكر فيه أوقات تلك الأشياء لثلاثي توهم قدم تلك الأشياء»^(٤) . وهذا بناء على قوله بدليل الأعراض وامتناع قيام الحوادث بذات الله تعالى ، فإنه أنكر بذلك أن تقوم بالله تعالى صفات اختيارية .

ولقد أثبت الماتريدية بعده ثمان صفات ، هي : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والتكوين^(٥) ، وبهذا فارقوا الأشاعرة ، لأنّ الماتريدية أثبتوا صفة زائدة على الصفات السبع عند الأشاعرة ، وهي صفة (التكوين) . وفسّروا هذه الصفة بأنّها إخراج

(١) نفس المصدر (ل ٥٤٧) - نقلًا عن : الماتريدية للحربي (ص ٢٢٧) .

(٢) وسأفصل القول في موقف الماتريدي من صفة (العلو) في المبحث القادم ، انظر (ص ٦٢١) من الرسالة .

(٣) انظر : كتاب التوحيد (ص ٧٥) . وقد ذكرت قوله في صفتي العلو والاستواء في مبحث قادم ، فراجع (ص ٦٢١) .

(٤) نفس المصدر (ص ٤٧) .

(٥) انظر : شرح العقائد النسفية للفتزاني (ص ٦٥-٦٨) .

المعدوم من العدم إلى الوجود^(١) ، ومن ثم ذهب الماتريدية إلى أن جميع صفات الأفعال المتعدية - مثل الخلق ، والرزق ، والإحياء ، والغضب ، والرضى - ترجع إلى صفة التكوين .

وهذا القول من أكبر مسائل الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية في هذا الباب .

يقول البزدوي ، مبيّناً قول الماتريدية في صفة التكوين : « والدليل المعقول في المسألة : هو أن الأمة أجمعت على أن لله تعالى فعلاً ، فإنهم أجمعوا على أن الله تعالى هو الذي أوجد العالم ، وهو الذي يوجد الأعيان . . . ومن أول القرآن إلى آخره دلائل كثيرة تدلّ على أن لله تعالى فعلاً ، ولأن القول بكونه فاعلاً واجب ، لأنه من أسباب المدح والتعظيم ونقيضه من أسباب المذلة والهوان . وإذا قلنا إنه فاعل ثبت أن له فعلاً لما بيّناه في إثبات الصفات ، ولأن الحدوث بلا إحداث مستحيل فيجب القول بأن الله تعالى محدث العالم وأن به الإحداث »^(٢) .

وبيّن وجهة نظر الماتريدية في هذا أحدهم فيقول : « ولنا من الحجج العقلية أن نقول : أجمع المسلمون على أن خالق العالم هو الله تعالى ، ولا شك أن الخالق وصف من الله تعالى لا بدّ من وجود معنى يكون به خالقاً » ، وهذا المعنى هو التكوين^(٣) .

(١) انظر : التمهيد للنسفي (ص ٢٨) .

(٢) أصول الدين (ص ٧٢) .

(٣) انظر : النور اللامع للناصرى (ل ٤٩) - نقلاً عن : الماتريدية للحربي (ص

إلا أنَّ هذا الإثبات لم يفدهم شيئاً ، لأنهم أنكروا تعلّق هذه الصفة بالإرادة الإلهية كذلك ، بمعنى أنَّ الله جلّ وعلا قد أراد في الأزل تكوين الأشياء قبل حدوثها ، فصفة التكوين عندهم صفة أزلية كذلك ، شأنها كشأن غيرها من الصفات الأزلية .

يقول الملا علي القاري : « إنَّ التكوين ، إن حدث بالتكوين ، فهو تكوين محتاج إلى تكوين ، فيؤدي إلى التسلسل وهو باطل ، أو ينتهي إلى تكوين قديم وهو الذي ندّعيه ، أولاً بتكوين أحد ، ففيه تعطيل الصانع »^(١) .

ويقول النسفي : « نقول : التكوين صفة لله تعالى ، أزلية ، قائمة بذاته كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، وهو تكوين العالم ، ولكل جزء من أجزائه لوقت وجوده ، كما أنَّ إرادته صفة أزلية تتعلّق بها المرادات لوقت وجودها على الترتيب والتوالي ، وكذلك قدرته الأزلية مع مقدوراتها »^(٢) .

ويقول التفتزاني : « فالتكوين باقٍ أزلاً وأبداً ، والمكوّن حادثٌ بحدوث التعلّق ، كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها لكون تعلّقها حادثاً »^(٣) .

يقول أحد الباحثين المعاصرين في إثباتهم صفة (التكوين) واعتبارها مرجعاً للصفات الفعلية : « وهذا القول ، وإن كان فيه طية تعطيل ، لكنّه أحسن من التعطيل الصريح »^(٤) ، كما بيّن أنَّ الخلاف بين الأشاعرة

(١) شرح الفقه الأكبر (ص ٢١) .

(٢) التمهيد (ص ٢٨) .

(٣) شرح العقيدة النسفية (ص ٦٩) .

(٤) الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات للأفغاني (٤٢٩/٢) .

والماتريدية خلاف لفظي فقال : « فلا شك أن ما يزعمون من صفة التكوين ليس إلا مجموع صفتي القدرة والإرادة ، ولا شيء غير ذلك ، وأنه لا خلاف في الحقيقة بين الماتريدية وبين الأشعرية ، فكل متفقون على نفي الصفات الفعلية ، ونفي قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى ، حذراً عن تعدد القدماء ، وفراراً عن حلول الحوادث بذاته تعالى - في زعمهم »^(١) .

وأما عن بقية الصفات الاختيارية ، فأولها الماتريدية كالأشعرية . يقول التفتزاني إن من أثبت صفة الرحمة ، والكرم ، والرضا ، كصفات وراء الإرادة ، ليس له على ذلك دليل يعود عليه^(٢) . ويتن أنور شاه الكشميري أن أسماء الله تعالى عند الماتريدية مندرجة في صفة التكوين^(٣) - يعني ما عدا الصفات الثمان التي أثبتوها . ويقول أحدهم : « وعند جلة الخلف ، لا يزيد على الصفات الثمانية ، والصفات الأخرى راجعة إليها »^(٤) .

وأما الصفات الذاتية الخيرية ، فقد أولها الماتريدي نفسه ، فقال في قوله تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] : « نعمه مبسوطة »^(٥) . ولأن الماتريدي نفسه وضع جذور تعطيل الصفات الذاتية الخيرية ، نلاحظ أن

(١) نفس المصدر (٤٣٤ / ٢) .

(٢) انظر : شرح المقاصد (١٢٨ / ٣) .

(٣) انظر : فيض الباري شرح صحيح البخاري (٥١٧ / ٤) .

(٤) إشارات المرام للبياضى (ص ١٨٨) - نقلاً عن : الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات للأفغاني (٤٣٠ / ٢) .

(٥) تأويلات أهل السنة (مخطوط) - نقلاً عن : الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات للأفغاني (٥١ / ٣) .

الماتريدية لم يختلفوا فيما بينهم في تأويل الصفات الذاتية الخبرية ، بخلاف الأشاعرة .

وقد ردّ النسفي على أهل السنة ضمن ردّه على (المجسّمة) ، حيث زعم أنّ قولهم بإثبات الصفات يلزم منه التجسيم وإن لم يصّرّحوا بذلك ، وبين أنّ من شبهاتهم آيات وأحاديث الصفات ، ثم قال : « إنّ هذه الألفاظ الواردة في الكتاب والسنن المروية ، التي يوهّم ظاهرها التشبيه ، وكون الباري تعالى جسماً متبعضاً متجزئاً ، كانت كلّها محتملة لمعان وراء الظاهر ، والحجج المعقولة . . . غير محتملة ، والعقول من أسباب المعارف وهي حجة الله تعالى . [و] في حمل هذه الآيات على ظواهرها . . . إثبات المناقضة بين الكتاب والدلائل المعقولة ، وهي كلّها حجج الله تعالى ، ومن تناقضت حججه فهو سفيه جاهل بمأخذ الحجج ومقاديرها ، والله تعالى حكيم لا يجوز عليه السفه ، عالم لا جاهل ، ولو حملت هذه الآيات على ما يوافق حجج العقول لكان فيه إثبات الموافقة بين الحجج ، وذلك ممّا تقتضيه الحكمة البالغة ، فحمل تلك الدلائل السمعية على ظواهرها كان محالاً ممتنعاً ، وكذا قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] آية محكمة غير محتملة للتأويل ، فحمل تلك الآيات على خلاف هذه . . إثبات المناقضة بين آيات الكتاب ، وفي الحمل على بعض الوجوه المحتملة دفع التناقض والاختلاف « (١) .

وبين التفتراني أنّ هذه الصفات ، ممّا ورد به ظاهر الشرع ، يمتنع حملها على معانيها الحقيقية ، كاليد ، والوجه ، والعين ، بل كلّ هذه

(١) تبصرة الأدلة (١٢٩/١) .

الصفات من باب المجاز ، فاليد بمعنى القدرة ، والوجه عبارة عن الوجود والعين بمعنى البصر ، هكذا ، « وفي كلام المحققين من علماء البيان أنَّ قولنا : الاستواء مجاز عن الاستيلاء ، واليد واليمين عن القدرة ، والعين عن البصر ، ونحو ذلك ، إنما هولنفي وهم التشبه والتجسم بسرعة ، وإلا فهي تمثيلات وتصويرات للمعاني العقلية بإبرازها في الصور الحسية »^(١) .

بيد أنَّ بعضهم مال إلى التفويض ، منهم ابن الهمام ، حيث قال : « كل ما ورد مما ظاهره الجسمية في الشاهد ، كالإصبع ، والقدم ، واليد . . . وغيره ، صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة ، بل على وجه يليق به ، وهو سبحانه أعلم به ، وقد تؤول اليد والإصبع بالقدرة والقهر . . . ولا يجزم بإرادته خصوصاً على قول أصحابنا ، أنها من المتشابهات وحكم المتشابه انقطاع رجاء معرفة المراد منه في هذه الدار »^(٢) .

فالماتريدية لم يختلفوا كثيراً عن متأخري الأشاعرة ، بل الفرق الوحيد بينهم هو في صفة (التكوين) ، وهذا الخلاف لا حقيقة له ، فالكل متفقون على نفي تعلق الصفات الاختيارية بإرادة الله تعالى ، والكل متفقون على نفي الصفات الذاتية الخبرية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، مبيناً خطأ الأشاعرة والماتريدية في هذا الباب : « وقول القائل : الصفات تنقسم إلى صفة ذات وصفة فعل - ويفسر صفة الفعل بما هو بائن عن الرب - كلام متناقض ، كيف يكون صفة للرب وهولا يقوم به بحال ، بل هو مخلوق بائن عنه ؟

(١) شرح المقاصد (١٢٨/٣ - ١٢٩) .

(٢) المسامرة (ص ٣٣ - ٣٥) .

وهذا وإن كانت الأشعرية قائلته تبعاً للمعتزلة فهو خطأ في نفسه ، فإن إثبات صفات الرب وهي مع ذلك مباينة له جمع بين المتناقضين المتضادين ، بل حقيقة قول هؤلاء : أن الفعل لا يوصف به الرب ، فإن الفعل هو مخلوق ، والمخلوق لا يوصف به الخالق ، ولو كان الفعل الذي هو المفعول صفة له لكانت جميع المخلوقات صفات للرب ، وهذا لا يقوله عاقل فضلاً عن مسلم .

فإن قلتم : هذا بناء على أن فعل الله لا يقوم به ، لأنه لو قام به لقامت به الحوادث .

قيل : والجمهور ينازعونكم في هذا الأصل ، ويقولون : كيف يعقل فعل لا يقوم بفاعل ، ونحن نعقل الفرق بين نفس الخلق والتكوين وبين المخلوق المكوّن ؟ . . . ثم القائلون بقيام فعله به ، منهم من يقول : فعله قديم والمفعول متأخر ، كما أن إرادته قديمة والمراد متأخر . . . ومنهم من يقول : هو يقع بمشيئته وقدرته شيئاً فشيئاً لكنه لم يزل متصفاً به ، فهو حادث الآحاد قديم النوع ، كما يقول ذلك من يقول من أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد . . .

فإن قلتم لنا : قد قلتم بقيام الحوادث بالرب !

قلنا لكم : نعم ، وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل ، ومن لم يقل : إن الباري يتكلم ، ويريد ، ويحب ، ويبغض ، ويرضى ، ويأتي ، ويجيء ، فقد ناقض كتاب الله تعالى ^(١) .

وبيّن ابن القيم غلط هؤلاء حين ظنوا أنّ الصفات تنقسم إلى قسمين :

(١) منهاج السنة (٣٧٧/٢ - ٣٨٠) مع تصرف يسير .

صفات الذات - وهي الصفات اللازمة لها ، وصفات الأفعال - وهي لا تقوم بالذات ، فأنشد^(١) :

لذاك قد غلط المقسم حين ظن صفاته نوعان مختلفان
إن لم يرد هذا ولكن قد أرا د قيامها بالفعل ذي الإمكان
والفعل المفعول شيء واحد عند المقسم ما هما شيئان
فلذلك وصف الفعل ليس لديه إلا نسبة عدمية ببيان
فجميع أسماء الفعال أمور كلها نسب تلي عدمية الوجدان
هذا هو التعطيل للأفعال كالتعطيل للأوصاف بالميزان
ثم بين تناقضهم في ردّهم على المعتزلة فقال^(٢) :

ومن العجائب أنّهم ردّوا على من أثبت الأسماء دون معان
قامت بمن هي وصفه هذا محال غير معقول لذي الأذهان
وأثّروا إلى الأوصاف باسم العقل قالوا لم تقم بالواحد الديان
فانظر إليهم أبطلوا الأصل الذي ردّوا به أقوالهم بوزان
إن كان هذا ممكناً فكذلك قول خصومكم أيضاً فذو إمكان



(١) نونية ابن القيم - مع شرح الهزاس (١١٩/٢) .

(٢) نونية ابن القيم - مع شرح الهزاس (١٢٢/٢) .

الخلاصة

يظهر ممّا سبق أنّ البدعة تكون في أول أمرها صغيرة ، ثم تصير كبيرة وعظيمة كلما بعد أهلها عن النصوص الشرعية . فالأشاعرة تركوا كثيراً من أقوال مؤسسههم أبي الحسن الأشعري - حتى في طوره الكلابي - واستبدلوا آراءه بآراء خصمه من المعتزلة .

فقد بدأ معتقد الأشاعرة في نفي بعض صفات الله تعالى الاختيارية ، وإثبات الصفات الخبرية مع تقييد بعضها بألفاظ لم يأت بها الشرع . ثم تطوّر المذهب إلى نفي بعض الصفات الذاتية ، ثم إلى نفي جميع الصفات الذاتية ، ثم إلى نفي جميع الصفات ما عدا السبع .

ويشير إلى هذا التطوّر شيخ الإسلام فيقول : « ولا ريب أنّ أئمة الأشعرية - وهم الذين كانوا أهل العراق ، كأبي الحسن الكبير ، وأبي الحسن الباهلي ، وأبي عبد الله بن مجاهد ، وصاحبه القاضي أبي بكر ، وأبي علي بن شاذان ونحوهم - لم يكونوا في النفي كأشعرية خراسان - مثل أبي بكر بن فورك ونحوه - بل زاد أولئك في النفي أشياء على مذهب أبي الحسن ونقصوا من إثباته أشياء . ولهذا يوجد في كلام أبي الحسن الأشعري وكلام أبي سعيد بن كلاب الذي ذكره أبوبكر بن فورك فيما جمعه من كلامهما وبيان مذهبهما أشياء تخالف ما انتصر له ابن فورك في مواضع » (١) .

أمّا الماتريدية ، فلم يكن لهم حاجة إلى تطوّر في هذا الباب ، حيث كان الماتريدي أكثر تضلعاً في علم الكلام من الأشعري ، فأسس مذهبه

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢ / ٣٤٤-٣٤٥) .

على أصول التأويل ونفي التشبيه .

ويمكننا أن نلخص هذا المطلب بطريق آخر ، وهو أن نبين مدى تأثير الأشاعرة والماتريدية بالجهم في قوله بدليل الأعراض وحدث الأجسام . فلقد أخذ الأشاعرة والماتريدية هذا الدليل عن المعتزلة ، كما قال شيخ الإسلام مخاطباً هؤلاء : « وأنتم شركاؤهم في هذه الأصول كلها »^(١) ، وأخذ المعتزلة من الجهم بن صفوان ، كما بينا سابقاً^(٢) .

إلا أنهم اختلفوا مع الجهم ومع المعتزلة في فهم وتطبيق هذا الدليل . فالجهم اعتبر جميع الأسماء والصفات التي توجد في المخلوق (أعراضاً) ومن ثم قال بنفي قيام هذه الأعراض بذات الله تعالى ، لأن ذلك يلزم الجسمية في حق الله تعالى . أما المعتزلة ، فقد اعتبروا جميع الصفات أعراضاً ، ومن ثم نفوا جميع الصفات ، مع إثبات الأسماء مجردة عن المعاني . وأما هؤلاء - أعني الأشاعرة والماتريدية - فقد اتفقوا على جعل الصفات الاختيارية أعراضاً ، ومن ثم نفوا جميع هذه الصفات .

يقول شيخ الإسلام عن الجهمية : « فإن هؤلاء لما اعتقدوا أن الرب في الأزل كان يمتنع منه الفعل والكلام بمشيئته وقدرته - وكان حقيقة قولهم أنه لم يكن قادراً في الأزل على الكلام والفعل بمشيئته وقدرته لكون ذلك ممتنعاً لنفسه ، والممتنع لا يدخل تحت المقدور - صاروا حزينين : حزياً قالوا : إنه صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه ، لكونه صار الفعل والكلام ممكناً بعد أن كان ممتنعاً ، وإنه انقلب

(١) التسعينية (ص ٢٧٢) .

(٢) انظر (ص ٣١١) من الرسالة .

من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي . وهذا قول المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة ، وهو قول الكرامية وأئمة الشيعة كالهاشمية وغيرهم .

وحزباً قالوا : صار الفعل ممكناً بعد أن كان ممتنعاً منه . وأما الكلام فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة ، بل هو شيء واحد لازم لذاته ، وهو قول ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما . . . وأصل هذا الكلام كان من الجهمية أصحاب جهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف ونحوهما قالوا : لأن الدليل قد دل على أن دوام الحوادث ممتنع ، وأنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ لامتناع حوادث لا أول لها ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

قالوا : فإذا كان الأمر كذلك ، وجب أن يكون كل ما تقارنه الحوادث محدثاً ، فيمتنع أن يكون الباري لم يزل فاعلاً متكلماً بمشيئته وقدرته ، بل يمتنع أن يكون لم يزل قادراً على ذلك ، لأن القدرة على الممتنع ممتنعة ، فيمتنع أن يكون قادراً على دوام الفعل والكلام بمشيئته وقدرته . قالوا : وبهذا يُعلم حدوث الجسم ، لأن الجسم لا يخلو عن الحوادث ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث . . . « (١) .

ويقول شيخ الإسلام أيضاً : « والأصل الثاني - عند الأشاعرة - نفهم أن تقوم به أمور تتعلق بقدرته ومشيئته ، ويسمّون ذلك : حلول الحوادث ، فلما كانوا نفاة لهذا امتنع عندهم أن يقوم به فعل اختياري يحصل بقدرته ومشيئته ، لا لازم ولا متعّد ، لا نزول ولا مجيء ولا

(١) منهاج السنة (١٥٦/١) .

استواء ، ولا إتيان ولا خلق ولا إحياء ولا إماتة ولا غير ذلك « (١) .
وقال أيضاً إنّ الأشاعرة « يفسّرون أفعاله المتعدية . . . أنّ ذلك وُجد
بقدرته القديمة ، وإرادته القديمة ، من غير أن يكون منه فعل قام بذاته
. . . فالقدرة القديمة والإرادة القديمة هي المقتضية لحدوث كلّ ما
حدث في وقت حدوثه ، من غير تجدد أمر وجودي ، بل حاله قبل أن
يخلق وبعد ما خلق سواء ، لم يتجدّد عندهم إلا إضافة ونسبة ، وهي
أمر عديمي لا وجودي » (٢) .

إذاً ، أول الأشاعرة والماتريدية جميع الصفات الاختيارية ، لأنّ
(العرض) في اصطلاح هؤلاء ما لا يبقى زمنين ، والصفات
الاختيارية صفات تتغير وتتجدّد من زمن إلى زمن - في زعمهم - ممّا
تستلزم حدوثها ، ومن ثمّ جسمية (الذات) القائمة بها ، ومن ثمّ
حدوث هذه الذات .

إلا أنّهم - مع اتفاقهم على الأخذ بدليل الأعراض وحدوث الأجسام -
اختلفوا في الأخذ بجميع لوازمه في الأسماء والصفات ، إلى فريقين
رئيسيين :

الفريق الأول : نفاة الصفات الاختيارية فقط . وهؤلاء هم متقدمو
الأشاعرة (٣) ، كأبي الحسن الأشعري ، وابن فورك ، والباقلاني ،
وغيرهم . فهؤلاء أخذوا بهذا الدليل ولكنهم لم يروا تعارضاً بينه وبين

(١) شرح حديث النزول (ص ١٥٩-١٦٠) .

(٢) شرح حديث النزول (ص ٤٢)

(٣) ويزاد : الكلابية كذلك ، فإنّه لم يرد عنهم نفي الصفات الذاتية الخبرية .

جميع نصوص الصفات . فأثبتوا العلوّ وأكثر الصفات الخبرية الذاتية ، ونفوا الصفات الاختيارية .

الفريق الثاني : من يثبت سبع صفات ، وهم متأخرو الأشاعرة أمثال الجويني ، والغزالي ، والآمدي ، والرازي ، وأوتمان ، وهم جميع الماتريدية . ويسمّون هذه الصفات (صفات المعاني) ، ويعنون بذلك أنها دلت على معنى وجوديّ قائم بالذات . فهؤلاء اعتبروا جميع الصفات غير هذه السبع أو الثمان أعراضاً لا يجوز قيامها إلا بجوهر أو جسم ، لذلك أولوها .

كما أنّهم اعتبروا أنّ إثبات الصفات الذاتية الخبرية يوهم التشبيه والتجسيم .

واستندوا إلى مبدأ آخر ، هو أنّ مصدر التلقي عندهم هو العقل وحده ، فالصفات التي دلّ عليها العقل أخذوا بها ، والصفات التي لم يدلّ عليها العقل - وإن جاء بها القرآن أو السنة المتواترة - نفوها ، أو أولوها ، أو سكتوا عنها .

إذاً ، في نهاية المطاف وبعد آخر مرحلة التطوّر ، اقترب أئمة الأشاعرة والماتريدية من الاعتزال ، وانفقوا مع المعتزلة في حلّ مسائل الاعتقاد^(١) ، والصراع الذي كان قائماً بين الأشاعرة والماتريدية ، وبين المعتزلة في كتبهم بدأ يضعف شيئاً فشيئاً ، وحلّ محلّه الصراع بين المتكلمين وأهل السنة

(١) وهذا في جميع أبواب الاعتقاد ما عدا مسألتَي (القدر) و (الإيمان) . وحتى في مسألة (الرؤية) قارب متأخروهم المعتزلة حيث نفوا الرؤية البصرية وأثبتوا إدراكاً آخر يجوز أن يقوم بأي عضوٍ من الإنسان . وقد بينت هذا في محلّه من الرسالة ، انظر (ص ٥٧٧) .

الذين يسمونهم (المجسمة) أو (الحشوية) .
قال باحثٌ معاصرٌ من الأشاعرة عن أحد متأخري الأشاعرة وكلامه في
تنزيه الله تعالى : « ومن يقرأ كلامه - يقصد الآمدي - في [كتابه] غاية
المرام . . . لا يكاد يفرّق بينه وبين كلام المعتزلة في هذا الشأن ، اللهم
إلا في شيء واحد ، وهونفي هؤلاء للرؤية وإثباته هولها كغيره من
الأشاعرة »^(١) .

وبهذا ضاقت مسافة الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية من جهة ، وبين
المعتزلة من جهة أخرى ، في أكثر أبواب الاعتقاد .
قال أبونصر السجزي عن الأشعري : « وكذلك كثير من مذهبه ،
يقول في الظاهر بقول أهل السنة مجملًا ، ثم عند التفسير يرجع إلى
قول المعتزلة . فالجاهل يقبله بما يظهره ، والعالم يجهره لما منه يخبره
والضرر بهم أكثر منه بالمعتزلة ، لإظهار أولئك ومجاوبتهم أهل السنة
وإخفاء هؤلاء ومخالطتهم أهل الحق ، نسأل الله السلامة من كل
برحمته »^(٢) .

ولتوضيح تأثير الأشاعرة والماتريدية بالجهم في باب الأسماء والصفات ،
نقول :

* إنَّ الجهم بن صفوان - مع شيخه الجعد - أول من فتح باب التعطيل
في أسماء الله تعالى وصفاته ، فدخل جميع الأشاعرة والماتريدية هذا
الباب معه ، وإن لم يصلوا إلى ما وصل إليه .

(١) الآمدي وآراؤه الكلامية للشافعي (ص ٣٣٠) .

(٢) رسالة إلى أهل زبيد (ص ١٨١) .

* إِنَّ الْأَشَاعِرَةَ وَالْمَاتَرِيدِيَّةَ أَخَذُوا الْأَصْلَ الْفَلَسْفِي الْجَهْمِيَّ مِنَ الْقَوْلِ بِامْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا ، فَأَنكَرُوا قِيَامَ الصِّفَاتِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَزْلِ ، وَادَّعَوْا أَنَّهُ تَعَالَى اتَّصَفَ بِهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَتَصِفًا بِهَا .

* إِنَّ الْأَشَاعِرَةَ وَالْمَاتَرِيدِيَّةَ أَخَذُوا مِنَ الْجَهْمِ قَوْلَهُ بِدَلِيلِ الْأَعْرَاضِ وَحُدُوثِ الْأَجْسَامِ ، وَهَذَا حَادَا بِهِمْ إِلَى إِنكَارِ قِيَامِ الصِّفَاتِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ اللَّازِمَةِ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَالْمَجِيءِ وَالْإِتْيَانِ وَالضَّحْكَ وَالرَّضَى ، زَاعِمِينَ أَنَّ هَذَا يُوْدِي إِلَى (حُلُولِ الْحَوَادِثِ) فِي الذَّاتِ ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى حُدُوثِ الذَّاتِ .

كما أَرْجَعُوا الصِّفَاتِ الْإِخْتِيَارِيَّةَ الْمُتَعَدِّيَّةَ - كَالرَّضَى وَالْغَضَبِ - إِلَى (الْإِرَادَةِ) أَوْ (الْخَلْقِ) أَوْغَيْرَ ذَلِكَ ، زَاعِمِينَ أَنَّ إِثْبَاتَهَا يُلْزَمُ مِنْهُ (حُلُولِ الْحَوَادِثِ) بِالذَّاتِ .

* إِنَّ الْأَشَاعِرَةَ وَالْمَاتَرِيدِيَّةَ أَخَذُوا بِأَصْلِ جَهْمٍ فِي نَفْيِهِ الصِّفَاتِ ، وَهُوَ الْخَوْفُ مِنَ التَّشْبِيهِ ، وَبَالِغُوا فِي ذَلِكَ ، اعْتِمَادًا مِنْهُمْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] كَمَا فَعَلَ جَهْمٌ قَبْلَهُمْ ، ثُمَّ اسْتَدْنُوا إِلَى هَذِهِ الشَّبْهَةِ لِنَفْيِهِمُ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةَ الْخَبْرِيَّةَ ، مِثْلَ الْيَدِ وَالْوَجْهِ .

* وَبِهَذَا ، وَافَقَ الْأَشَاعِرَةَ وَالْمَاتَرِيدِيَّةَ جَهْمًا فِي جَمِيعِ شَبْهَاتِهِ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ : شَبْهَةَ التَّشْبِيهِ ، وَشَبْهَةَ التَّجْسِيمِ ، وَشَبْهَةَ نَفْيِ حُلُولِ الْحَوَادِثِ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا مَعَهُ فِي تَطْبِيقِ هَذِهِ الشَّبْهَاتِ وَتَصَوُّرِهَا ، مِمَّا جَعَلَهُمْ يَخَالِفُونَهُ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ .

وَلَقَدْ أَشَارَ ابْنُ حَزْمٍ إِلَى تَشَابُهِ أَصُولِ الْأَشَاعِرَةِ بِالْمَعْتَزَلَةِ وَأَصُولِ جَهْمٍ فَقَالَ : « وَأَمَّا الْمَعْتَزَلَةُ ، فَعَمِدَتُهُمُ الَّتِي يَتَمَسَّكُونَ بِهَا : الْكَلَامُ فِي التَّوْحِيدِ وَمَا يُوصَفُ بِهِ الْبَارِي تَعَالَى . . . وَقَدْ يَشَارِكُ الْمَعْتَزَلَةُ فِي الْكَلَامِ فِيمَا

يوصف به الباري تعالى جهم بن صفوان . . . والأشعرية ^(١) .
 وذكر شيخ الإسلام أن جهم بن صفوان اشتهر عنه بدعة نفي الأسماء
 والصفات حيث غلا في ذلك ، فوافقه المعتزلة على نفي الصفات دون
 الأسماء ، ووافقه الكلاية والأشعرية على نفي الصفات الاختيارية . ولهذا
 قيل : إن المعتزلة مخانيث الجهمية ، والأشعرية مخانيث المعتزلة ^(٢) .
 فلا غرو أن ابن حزم ، بعد ذكره لبعض مقالات الأشاعرة ، بين أن جهماً
 مصدر قولهم ، حيث قال عن مقالات الأشاعرة : « وهوشر من قول جهم
 شيخهم في الحقيقة » ^(٣) .



-
- (١) الفصل (٢٦٩/٢) . ويلاحظ أن ابن حزم لم يراع التسلسل الزمني ، فجهم
 أسبق من المعتزلة ، وكان المفروض أن يذكر هوقبل المعتزلة ، ويبين أن
 المعتزلة شاركوه في أصوله ، ثم الأشاعرة بعدهم .
 (٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٤٨/١٤) .
 (٣) الفصل (٧٩/٥) .

المطلب الثاني

مدى تأثر الأشاعرة والماتريدية بها في صفتي العلو والاستواء

إن الناظر في أحوال الأشاعرة يجد أن المتأخرين منهم قد فارقوا كثيراً ما كان عليه أسلافهم ، مما جعلهم أكثر ابتعاداً عن موقف السلف في كثير من المسائل ، وقد بينا جملة من ذلك في المطلب السابق . وفي هذا المطلب ، أذكر مسألة أخرى من المسائل التي خالف متأخروهم فيها متقدميهم : وهي مسألة العلو والاستواء . ولتعلق هاتين الصفتين ببعضهما البعض ، سأورد موقف أهم علماء الأشاعرة فيهما في إن واحد .

تطور مذهب الأشاعرة في صفتي العلو والاستواء

إن أبا الحسن الأشعري نفسه كان من المثبتين للاستواء والعلو ، فإنه تابع ابن كلاب في هذا . بل كان ابن كلاب أكثر إثباتاً لصفة العلو من الأشعري نفسه ، وذلك أنه كان يقول إنها من الصفات العقلية ، بخلاف الأشعري الذي ادعى أن العلو من الصفات السمعية ، فكان ابن كلاب يثبت العلو بالعقل والسمع معاً^(١) .

كما أثبت ابن كلاب - ظاهراً - صفة الاستواء ، حيث قال ، كما حكى عنه الأشعري : « إن الباري لم يزل ، ولا مكان ، ولا زمان قبل الخلق ، وأنه على ما لم يزل عليه ، وأنه مستوٍ على عرشه كما قال ، وأنه فوق كل

(١) انظر : منهاج السنة لابن تيمية (٣٢٦/٢) .

شيء»^(١) . وقد يتوهم من ظاهر النص أن ابن كلاب أثبت صفة الاستواء كما يشتها أهل السنة ، ولكن هذا من تلبيسات المتكلمين ، حيث قصد بهذا الإثبات أمراً آخر ، وهو أنه جلّ وعلا فعل فعلاً في العرش سمّاه استواءً ، من غير أن يستوي بذاته ، وذلك بناء على قولهم بامتناع الحوادث في الذات ، وإنكارهم جميع الصفات الاختيارية ، وقولهم بأن الفعل هو المفعول . ويدل على ذلك قوله : « إنّ البارئ لم يزل ولا مكان . . . » ، فهؤلاء لم يثبتوا حقيقة الاستواء ، وأنّ الله ارتفع أو نزل بذاته ، فهذا عندهم محال . ولقد نبّه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أنّ ابن كلاب وبعض الأشاعرة قد أثبتوا الاستواء ، ولكنهم خالفوا أهل السنة في تفسيره ، فأهل السنة يقولون إنّ الاستواء فعل يقوم بذات الله تعالى ، وأمّا هؤلاء ، فقالوا إنّ الاستواء فعل منفصل عنه يفعله بالعرش^(٢) .

والأشعري نفسه أثبت العلوّ والاستواء . فقال في كتابه (الإبانة) « . . . ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأنّ الله عزّ وجلّ مستوعلى العرش الذي هو فوق السماوات ، فلولا أنّ الله عزّ وجلّ على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش »^(٣) ، ثم ردّ على الجهمية القائلين بأنّ الله تعالى في كلّ مكان ، ثم نفى أن يكون معنى (الاستواء) هو (الاستيلاء)^(٤) . وقال في رسالته إلى أهل الثغر : « وأنه تعالى فوق

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٢٩٨-٢٩٩) .

(٢) انظر : منهاج السنة لابن تيمية (٢ / ٦٣٨) .

(٣) كتاب الإبانة للأشعري (ص ٩٧) .

(٤) انظر : نفس المصدر (ص ٩٨-٩٩) .

السَّمَوَاتِ عَلَى عَرْشِهِ دُونَ أَرْضِهِ . . . وَلَا يُسَمَّى اسْتَوَاهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتِيلَاءً كَمَا قَالَ أَهْلُ الْقَدَرِ ، لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ مُسْتَوِيًّا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ « (١) .

أَمَّا الْبِيهَقِيُّ ، فَقَدْ أَثَبَتَ الْعُلُوَّ وَأَنْكَرَ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَكِنَّهُ فَوَّضَ مَعْنَى الْإِسْتَوَاءِ فَقَالَ : « فَقَبُولُهُ مِنْ جِهَةِ التَّوْقِيفِ وَاجِبٌ ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ وَطَلَبُ الْكَيْفِيَّةِ لَهُ غَيْرُ جَائِزٍ . . . وَفِي الْجُمْلَةِ يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اسْتَوَاءَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ بِاسْتَوَاءٍ اعْتِدَالٍ عَنْ اعْوْجَاجٍ ، وَلَا اسْتِقْرَارٍ فِي مَكَانٍ ، وَلَا مِمَاسَةٍ لَشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، لَكِنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ ، بِلَا كَيْفٍ ، بِلَا أَيْنَ ، بِأَنَّ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ . . . وَإِنَّمَا هَذِهِ أَوْصَافٌ جَاءَ بِهَا التَّوْقِيفُ فَقُلْنَا بِهَا وَنَفَيْنَا عَنْهَا التَّكْيِيفَ » (٢) . وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ لَمَّا يَنْفُونَ (الْكَيْفِيَّةَ) فَإِنَّمَا يَقْصِدُونَ تَفْوِيزَ الْمَعْنَى مِنْ أُسَاسِهِ ، بِخِلَافِ أَهْلِ السَّنَةِ ، فَإِنَّهُمْ يَنْفُونَ عِلْمَ الْكَيْفِيَّةِ وَيُشْتَبُّونَ الْمَعْنَى . وَلَقَدْ أَثَبَتَ صِفَتِي الْعُلُوِّ وَالْإِسْتَوَاءِ أَغْلِبَ الْأَشَاعِرَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، إِلَى أَنْ جَاءَ الْبَاقِلَانِيُّ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَفَى (الْمَكَانِيَّةَ) وَ (الْجِهَةَ) عَنِ اللَّهِ تَعَالَى (٣) ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُثَبِّتُ الْعُلُوَّ وَالْإِسْتَوَاءَ وَيَنْكَرُ عَلَى مَنْ يُؤَوِّلُ الْإِسْتَوَاءَ بِالْإِسْتِيلَاءِ وَالْمَلِكِ . يَقُولُ فِي كِتَابِهِ التَّمْهِيدُ : « فَإِنْ قَالُوا : فَهَلْ تَقُولُونَ إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ؟ قِيلَ : مُعَاذَ اللَّهِ ! بَلْ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا خَبَّرَ فِي كِتَابِهِ . . . » ثُمَّ رَدَّ عَلَى قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ بِالْحُلُولِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى

(١) رِسَالَةٌ إِلَى أَهْلِ الثَّغْرِ (ص ٧١) .

(٢) الْإِعْتِقَادُ (ص ١١٩-١٢١) .

(٣) وَقَدْ بَيَّنَّتْ سَابِقًا مَوْقِفَ أَهْلِ السَّنَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَلْفَافِ الْمَجْمُوعَةِ ، انْظُرْ (ص ٦٢١) مِنَ الرِّسَالَةِ .

استوائه على العرش هو استيلاؤه عليه . . . لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً عزيزاً مقتدراً ، وقوله ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الفرقان: ٥٩] يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فبطل ما قالوه ^(١) . وهذا موافق لعقيدة قدماء الأشاعرة ، إلا أنه قال في كتاب آخر : « ويجب أن يعلم أن كل ما يدلّ على الحدوث أو على سمة النقص فالربّ تعالى يتقدّس عنه ، فمن ذلك : أنه تعالى متقدّس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بصفات المحدثات ، وكذلك لا يوصف بالتحوّل والانتقال ولا القيام ولا القعود . . . فإن قيل : أليس قد قال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] قلنا : بلى ، قد قال ذلك ، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة ، لكن ننفي عنه أماراة الحدوث ، ونقول : استوائه لا يشبه استواء الخلق ، ولا نقول : إنّ العرش له قرار ولا مكان ، لأنّ الله تعالى كان ولا مكان ، فلما خلق المكان لم يتغيّر عما كان ^(٢) .

(١) التمهيد- طبعة مكارثي (ص ٢٦١-٢٦٢) - نقلاً عن : موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٥٣٩/٢) .

وقد ذكر د . / المحمود أنّ هذا النصّ من الباقلاني قد حذفه محقق الطبعة الثانية (وهو عماد الدين حيدر) لأنّه لا يوافق عقيدته في العلوّ ، وهذه الطبعة هي الطبعة الموجودة لديّ ، والنصّ غير موجود فيه ، فليتنبه القارئ لهذا الحذف الفاحش وهذه الخيانة العلمية من قبل المحقق ، والله المستعان . ومما يؤكد وجود هذا النصّ ، أنّ ابن القيم نقله بكامله في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية (٣٠١/٢) .

(٢) الإنصاف للباقلاني (ص ٤٢) .

فيلاحظ على الباقلاني بداية انحراف عن قول الأشعري في هاتين الصفتين . فإنه - مع إثبات العلو والاستواء لفظاً - نفى عن الله تعالى الحدوث ، فأراد أن يفرّ من قضية (حلول الحوادث بالذات) على أصلهم المعروف في هذا ، لأنّ إثبات استواء الله تعالى بعد خلقه السماوات والأرض يستلزم ذلك عندهم .

وأول من عرف عنه من الأشاعرة تأويل الاستواء ونفي الجهة صراحة هو أبو بكر ابن فورك ، حيث قال : « وقد ذكرنا فيما قبل وصف الله سبحانه وتعالى بأنّه فوق خلقه ، وأنّ ذلك راجع إلى فوقية المنزلة والمرتبة ، وفوقية القدرة والعظمة ، وأما فوقية بالمسافة والمكان ، فمحال في وصفه »^(١) . وقال في قوله تعالى ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك: ١٧] « ومعنى ذلك أنّه فوق السماء لا على معنى فوقية المتمكن في المكان ، لأنّ ذلك صفة الجسم المحدود المحدث ، ولكن بمعنى ما وصف به أنّه فوق من طريق الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة »^(٢) ، ثم شرع في تأويل كثير من آيات العلو ، وأورد حديث الجارية وذكر أنّ إشارتها إلى السماء إنّما هي دلالة على ما في قلبها من الإخلاص والمعرفة بالله تعالى^(٣) . وقال في موضع آخر إن معنى استواء الله تعالى على العرش هو علوّه بالقهر والتدبير وارتفاع الدرجة^(٤) .

(١) مشكل الحديث وبيانه (ص ٤٧٧) .

(٢) نفس المصدر (ص ٤١٦)

(٣) انظر : نفس المصدر (ص ٤٢٢) .

(٤) انظر : نفس المصدر (ص ٤١٣) .

إلا أنه لم يؤول العرش أو الكرسي ، مع أنه أورد تفسير ابن عباس رضي الله عنه من أن الكرسي بمعنى العلم ، ولم يعلق عليه^(١) .
ثم جاء الإسفرائيني ونفى المكانية ، وأول الاستواء بالاستيلاء ، والعرش بالملك^(٢) .

ثم جاء عبد القاهر البغدادي ، وعقد فصلاً بعنوان : (في نفي الحد والنهاية عن الصانع) ، ذكر فيه أقوال المخالفين ، إلا أنه لم يذكر قول السلف ضمن هذه أقوال ، وصرح بنفي الحد والنهاية^(٣) ، ثم عقد فصلاً بعده بعنوان : (في إحالة كون الإله في مكان دون مكان) ، ذكر فيه قول بعض المجسمة ، وقول الحلولية ، والمعتزلة ، ولم يتعرض لذكر قول أهل السنة أصلاً ، ثم انتهى إلى القول « . . . بأن الله تعالى لا يقله مكان ولا يجري عليه »^(٤) ، ولكن كأنه أشار إلى قول السلف في نهاية الفصل حيث قال : « واستدلّ من أثبت له مكاناً بقوله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] ، ومعناه عندنا : على الملك استوى ، أي استوى الملك لا الإله ، والعرش ها هنا بمعنى الملك ، من قولهم : ثلّ عرش فلان ، إذا ذهب ملكه . . . وقد استقصينا هذه المسألة في كتاب مفرد »^(٥) . ثم عقد فصلاً آخر في بيان أقوال الفرق في معنى

(١) انظر : نفس المصدر (ص ٤٠٩) .

(٢) انظر : التبصير في الدين (ص ١٠٠) .

(٣) أصول الدين (ص ٧٣) .

(٤) نفس المصدر (ص ٧٨) .

(٥) نفس المصدر (ص ٧٨) .

(الاستواء) ، فقال : « اختلفوا في تأويل قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، فزعمت المعتزلة أنه بمعنى استولى ، كقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق
وهذا تأويل باطل ، لأنه يوجب أنه لم يكن مستولياً عليه قبل استوائه
وذكر أقوال الفرق الأخرى ، إلى أن قال : « واختلف أصحابنا في هذا ، فمنهم من قال إن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، وهذا قول مالك بن أنس وفقهاء المدينة والأصمعي . . . (١)
ومنهم من قال إن استواءه على العرش فعل أحدثه في العرش سماه استواء ، كما أحدث في بنيان قوم فعلاً سماه إتياناً ، ولم يكن ذلك نزولاً ولا حركة ، وهذا قول أبي الحسن الأشعري (٢) . ومنهم من قال إن استواءه على العرش كونه فوق العرش بلا مماسة ، وهذا قول القلانسي وعبد الله بن سعيد ذكره في كتاب الصفات . والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك ، كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره . وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب : ثل عرش فلان ، إذا ذهب ملكه . . . » ثم استدلل لهذا التأويل ببعض أبيات من الشعر (٣) .

(١) قلت : ليس هذا هو قول أئمة السلف ، حاشا وكلا ، بل قول السلف إثبات هذه الصفات وتفويض الكيفية ، كما بيّنت في فصل سابق (انظر : ص ٤٢٣ وما بعدها) من الرسالة .

(٢) كذا قال . وقد ذكرت قبل صفحتين بعض النقولات عن أبي الحسن نفسه ، ولم أجد أنه ذهب إلى هذا ، فالله أعلم .

(٣) أصول الدين (ص ١١٢-١١٣) .

فلاحظ أنه أنكر تفسير المعتزلة للاستواء ، ولكنه أول العرش بمعنى الملك ، وبهذا قد وافق المعتزلة في معنى الآية وإن لم يوافقهم في كيفية تأويلها .

فلما جاء الجويني ، تجرأ على أهل السنة واتهمهم باتهامات باطلة ، فوصفهم بأنهم يشبهون الرب بالمحسوسات ، وأنهم ممثلة ، بل صرح بكلام في غاية القبح والشناعة إذ قال ، مخاطباً أهل السنة الذين يثبتون صفة العلو : « فأى فرق بين هؤلاء وبين من يعبد بعض الأجرام العلوية ؟ »^(١) وفي كتابه (الإرشاد) بين أن « مذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات ، وذهبت الكرامية وبعض الحشوية إلى أن الباري تعالى عن قولهم متحيز مختص بجهة فوق ، تعالى الله عن قولهم . . . »^(٢) إلى أن قال : « فإن استدلوا بظاهر قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] فالوجه معارضتهم بأي يساعدوننا على تأويلها ، منها قوله تعالى ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] . . . فنسائلهم عن معنى ذلك ، فإن حملوه على كونه معنا بالإحاطة والعلم ، لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة ، وذلك شائع في اللغة ، إذ العرب تقول : استوى فلان على الممالك ، إذا احتوى مقاليد الملك واستعلى على الرقاب . وفائدة تخصيص العرش بالذكر أنه أعظم المخلوقات في ظن البرية ، فنص تعالى عليه تنبيهاً بذكره على ما دونه »^(٣) .

(١) العقيدة النظامية (ص ٢٢) .

(٢) الإرشاد (ص ٥٨) .

(٣) نفس المصدر (ص ٥٩) .

وبهذا كان الجويني من أوّل الأشاعرة الذين وافقوا جهماً في تفسيره الاستواء بالاستيلاء ، ذلك التأويل الذي أنكره علماء الأشاعرة قبله ورفضوه وردّوا على المعتزلة من أجله .

ونجد نفس هذه المقالة عند الغزالي ، حيث أنكر الجهة ، وأوّل الاستواء بالاستيلاء ، وذكر قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق^(١)
واستشهاده بهذا البيت مخالفة صريحة للأشاعرة المتقدمين ، حيث أنكروا على المعتزلة هذا التأويل والاستدلال بهذا البيت . ونرى علماء الأشاعرة بعده عكفوا على هذا التأويل ، ومن الاستشهاد بهذا البيت ، خلافاً للمتقدمين منهم .

والآمدي تابع هؤلاء المتأخرين ، وجزم بأنّ الله تعالى لا يوصف بالجهة والمكان ، وأوّل الاستواء بالاستيلاء ، ورفض أن يخوض في عرض الأدلة النقلية التفصيلية في ذلك ، بحجة « أنها ظواهر ظنية ، ولا يسوغ استعمالها في المسائل القطعية ، فلهذا آثرنا الإعراض عنها ولم نشتغل الزمن بإيرادها »^(٢) .

ويقول الإيجي إنّ الله تعالى ليس في جهة ولا مكان ، واستدلّ لذلك بعدة أدلة عقلية - على حدّ زعمه - ثم ردّ النصوص التي ظاهرها توهم التجسيم - عنده - كقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] ، و : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] و : ﴿ تَرْجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤] ،

(١) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٢٩-٤٠) .

(٢) غاية المرام (ص ٧٩) .

وحديث الجارية ، فقال : « والجواب : أنها ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات ، ومهما تعارض الدليلان وجب العمل بهما ما أمكن ، فتؤول الظاهر إما إجمالاً ويفوّض تفصيلها إلى الله . . . وإما تفصيلاً ، كما هو رأي طائفة ، فنقول : الاستواء الاستيلاء ، نحو : قد استوى عمرو على العراق . . . و ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ : أي يرتضيه ، فإن الكلم عرض يمتنع عليه الانتقال ، و ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك : ١٧] أي حكمه ، أو سلطانه ، أو ملك موكل بالعذاب ، وعليه فقس ^(١) . وبهذا قرّر مذهب الأشاعرة في سلوك أحد المسلكين في باب الصفات : إمّا التفويض - وهو عندهم مذهب السلف ، وإمّا التأويل - وهو المذهب المختار عند محقّقيهم .

ويقول صاحب (جوهره التوحيد) :

ويستحيل ضد ذي الصفات في حقّه ككونه في الجهات ثم قال شارحه البيجوري إنه يستحيل على الله تعالى أن يكون في جهة ، فليس فوق العرش ولا تحته ، ولا عن يمينه ولا عن شماله ، فلو ثبت له جهة لكان مماثلاً للحوادث والأجرام ، وهذا محال ^(٢) . وقال البيجوري أيضاً إنّ كل ما ورد في القرآن أو السنة مما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أنه يجب تأويل ذلك أو تفويضه ، كقوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] « فالسلف يقولون : فوقية لا نعلمها ، والخلف يقولون : المراد بالفوقية العالي في العظمة ، فالمعنى يخافون ، أي : الملائكة

(١) المواقف (ص ٢٧١-٢٧٣) .

(٢) انظر : شرح جوهره التوحيد (ص ١٦٣-١٦٥) .

رَبِّهِمْ مِنْ أَجْلِ تَعَالِيهِ فِي الْعِظَمَةِ ، أَيْ : ارْتِفَاعِهِ فِيهَا . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] ، فَالسَّلَفُ يَقُولُونَ : اسْتَوَاءٌ لَا نَعْلَمُهُ وَالْخَلْفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ بِهِ الْاسْتِيْلَاءُ وَالْمَلِكُ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
 قَدْ اسْتَوَى بَشَرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَلَا دَمٍ مِهْرَاقٍ ^(١) .
 ثُمَّ نَقَلَ عَنِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ أَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِعِبُودِيَةِ الْعَبْدِ أَنْ يَصِفَ اللَّهُ تَعَالَى بِـ
 (أَيْنَ) ^(٢) .

وَبَعْدَ هَذِهِ الْجَوْلَةِ مَعَ أُمَّةِ الْأَشَاعِرَةِ طِيلَةَ عَشْرَةِ قُرُونٍ ، يَتَبَيَّنُ جَلِيًّا
 انْحِرَافَهُمْ شَيْئًا فَشَيْئًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مُؤَسَّسُهُمْ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ، وَالَّذِي
 كَانَ قَرِيبًا جَدًّا مِنْ مَوْقِفِ السَّلَفِ ، حَتَّى وَقَعَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ فِي الْإِعْتِزَالِ
 الْمَحْضِ .

مَوْقِفُ الْمَاتَرِيْدِيَةِ مِنْ صِفَتِي الْعُلُوِّ وَالْإِسْتَوَاءِ

وَأَمَّا الْمَاتَرِيْدِيَّةُ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَى مِثْلِ تَطَوُّرِ الْأَشَاعِرَةِ ، فَلَقَدْ
 أَرَاخَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مُؤَسَّسُ الْمَذْهَبِ نَفْسُهُ ، حَيْثُ أَنْكَرَ الْعُلُوَّ ، وَأَوَّلَ
 الْإِسْتَوَاءَ ، وَحَرَّمَ السُّؤَالَ بِـ (أَيْنَ) فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى .
 يَقُولُ الْمَاتَرِيْدِيُّ : « وَقَوْلُ الْقَائِلِ : (أَيْنَ اللَّهُ ؟) سَوْأَلٌ عَنْ مَكَانٍ ،
 وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ، وَلَا يُوصَفُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالِاتِّصَالِ بِالْأَشْيَاءِ
 وَلَا بِالْإِنْفِصَالِ ، وَلَا بِالْحُلُولِ فِيهَا وَلَا بِالْخُرُوجِ مِنْهَا مِنْ جِهَةِ الْمَسَافَةِ عَلَى
 مَا هُوَ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ وَلَا غَيْرَهُ ، فَمَحَالُ اتِّنْقَالِهِ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ » ^(٣) .

(١) انظر : نفس المصدر (ص ١٥٧) .

(٢) انظر : نفس المصدر (ص ١٥٧) .

(٣) كتاب التوحيد (ص ١٠٧) .

وحاول في فصل آخر أن يؤول صفة الاستواء بأي وسيلة أمكنه ، فبدأ ببيان أنه لا يمكن حمل آيات الاستواء على أن الله تعالى فوق العرش ، واستدل لذلك بشبهات المتكلمين ، من استلزام الحاجة ، والجهة ، والتشبيه ، ثم بين أن إضافة الاستواء إليه بمعنى تعظيم الله تعالى بذكر ربوبيته وسلطانه ، وخصّ ذكر العرش لأنه أعظم الخلق وأجلّه . ويحتمل وجهاً آخر ، وهو أن الآية في نفي وصف المكان ، إذ العرش أعلى الأمكنة عند الخلق ، ولا تقدّر العقول فوقه شيئاً ، فأشار إليه ليعلم علوه عن الأمكنة وتعاليه عن الحاجة . ويحتمل وجهاً آخر ، فقد ذكر بعضهم أن العرش بمعنى الملك ، إذ هو اسم ما ارتفع من الأشياء وعلا . كما يمكن كذلك فهم (الاستواء) على عدة معانٍ ، منها : الاستيلاء ، كما يقال : استوى فلان على مدينة كذا ، بمعنى استولى عليها^(١) . وبعد ذكره كل هذه الاحتمالات ، لم يرجح شيئاً منها بعينه ، واختار التفويض ، فقال إنه لما ثبت أنه ليس كمثله شيء ، وجب حمل آية الاستواء على ما ثبت بالعقل مع إثبات ما ثبت به التزليل ، « . . . ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره مما ذكرنا ، واحتماله أيضاً ما لم يبلغنا مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق ، ونؤمن بما أراد الله . . . من غير تحقيق على شيء دون شيء »^(٢) .

ويقول النسفي في متنه المشهور في وصف الله تعالى إنه « ليس بعرض ولا جسم ولا جوهر ولا متصور ولا معدوم ولا متبعض ولا متجزئ ولا

(١) انظر : نفس المصدر (ص ٧٠-٧٢) .

(٢) نفس المصدر (ص ٧٤) .

متناهٍ ولا يوصف بالماهية ولا بالكيفية ولا يتمكّن في مكان ولا يجري عليه زمان»^(١) ، ثم علّق على هذا شارحه التفتزاني فقال : « وإذا لم يكن في مكان لم يكن في جهة ولا علوّ ولا سفّل ولا غيرهما »^(٢) .

ويعقد النسفي فصلاً كاملاً في كتابه (التمهيد) في إبطال القول بالمكان ، بيّن فيه أنّه يستحيل على الله تعالى الوصف بـ (المكان) و (التمكن) على العرش^(٣) ويقول في ذلك : « ثم إنّ الله تعالى لو كان متمكناً على العرش لكان الأمر لا يخلو إما أن كان أكبر من ساحة العرش ، وإما أن كان مثل ساحة العرش . . . وإما أن كان أصغر منها » ، وبيّن أنّ جميع هذه الاحتمالات باطلة ، ثم تطرّق إلى تعلّق الخصوم بالدلائل السمعية مما يوهّم ظاهرها التجسيم وإثبات الجهة ، فبيّن أنّه يمتنع حملها على ظواهرها ، لأنّ ذلك يلزم منه المحال ولا يليق بربوبية الله ، « وما تعلّق به الخصوم من الآيات المتشابهات محتملة لوجوه كثيرة غير ممكنة الحمل على ظواهرها على ما قرّرنا ، فإما أن نؤمن بتنزيلها ولا نشتغل بتأويلها على ما هو اختيار كثير من كبراء الأئمة وعلماء أهل الملة ، وإما أن تصرف إلى وجه من التأويل يوافق التوحيد ولا يناقض الآيات المحكمة ، وكتب العلماء بالتفسير والكلام مملوءة من تأويلها »^(٤) .

(١) شرح العقائد النسفية (ص ٤٧) .

(٢) نفس المصدر (ص ٤٨) .

(٣) هذه الألفاظ المجملة - كما بيّنت سابقاً - وسيلة أهل البدعة في نفهم

صفات الله تعالى ، وقول أهل السنة فيها هو أن يوقف اللفظ ويفسر المعنى ،

فلا يطلقون هذه الألفاظ لا نفياً ولا إثباتاً . انظر : شرح العقيدة الطحاوية

لابن أبي العزّ (ص ١٧٣) .

(٤) التمهيد في أصول الدين (ص ١٨-١٩) .

ويذكرنا هذا التشبيه - من أن الاستواء يلزم منه أن الله أكبر من العرش أو أصغر منه أو مساوٍ له - بقول امرأة جهنم حين قيل لها إن الله تعالى على العرش ، حيث قالت : « محدودٌ على محدودٍ »^(١) ، وهذا هو قول هؤلاء المتكلمين سواء بسواء .

وبين التفتراني في شرحه للمقاصد أن من الصفات الممتنعة في حق الله تعالى : صفة الاستواء ، فالصحيح أنه مجاز عن الاستيلاء ، أو تمثيل وتصوير لعظمة الرب ، وهذا هو قول المحققين^(٢) .

ويقول الملا علي القاري : « والمجسمة وهم الحشوية يصرحون بالاستقرار على العرش بظاهر الآية ولا حجة فيها ، لأن الاستواء له معانٍ كالاستيلاء ، ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق
وكالتمام والكمال . . . وكالاستقرار . . . فلا استدلال مع تعدد الاحتمال »^(٣) .

وذكر الكوثري تنزيه الله تعالى عن الجهات ، ونفى أن يكون في السماء ونفى الفوقية الحسية ، وذكر أن كل هذا من مذهب (أهل الحق) - يقصد الأشاعرة والماتريدية - بخلاف الحشوية^(٤) .

(١) مختصر العلو للذهبي ، اختصار الألباني (ص ١٧٠ ، أثر ١٨٩) .

(٢) انظر : شرح المقاصد (١٢٨/٣) .

(٣) ضوء المعالي للقاري (ص ٣٣) - نقلاً عن : الماتريدية للحربي (ص ٣١٧) .

(٤) انظر : تعليقاته على التنبيه والرد للملطي (ص ٩٧-٩٩) .

كما حاول التقليل من هذه البدعة الشنيعة لدى الجهم ، حيث قال في تعليق له على قول الجهمية بالحلول : « وأما من يقول إنه تعالى في كل مكان . . . فظاهره قولٌ بالتجسيم على حد قول من يقول إنه في مكان دون مكان [كأنه يقصد قول أهل السنة] ، إلا إذا أراد تنزيهه تعالى عن الحلول في المكان والزمان ، فضاقت عبارته عن ذلك فيكون خطأه في التعبير ، وهذا القول الذي ينقل عن جهم ورد بألفاظ مختلفة جداً بحيث يضيق هذا المحل عن تمحيص رواياتها »^(١) .

فيا للعجب ! يدافع عن الجهم بن صفوان ، ويجد له مخرجاً ، ويعتذر له بأنه أخطأ في التعبير ، ثم يهاجم علماء السنة ، ويرميهم بالكفر والتجسيم والزندقة والتشبيه . . . إلخ ما يقوله فيهم ، فالله المستعان وعليه التكلان ! !

ثم لا يفوتنا أن نذكر قبل نهاية هذا العرض السريع لأقوال الأشعرية والماتريدية أنّ بعض المنتسبين منهم وقع في القول بالحلول . قال أبو نصر السجزي : « وزعم الأشعري أن الله سبحانه غير ممازج للخلق وغير مباين لهم ، والأمكنة غير خالية منه وغير ممتلئة به . . . وبعض أصحابه وافق المعتزلة وسائر الجهمية في قولهم : إن الله بذاته في كل مكان »^(٢) . وهذا ، كما هو معلوم ، قول غلاة المتصوفة منهم ، ومنهم من زاد على ذلك وقال بالاتحاد ووحدة الوجود . فهؤلاء الصوفية يتبعون الأشاعرة المتكلمين في أشياء ، ويزيدون عليهم أشياء أخرى ، إلا أنّ المحققين

(١) من هامش تعليقاته على كتاب الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة (ص ٣٣) .

(٢) رسالة أبي نصر السجزي إلى أهل زييد (ص ١٢٨) .

والمتكلمين منهم لا يقولون بالحلول^(١) . وما أحسن ما ذكره شيخ

(١) ولا شك أن جهنم بن صفوان كان له تأثير على الفرق الحلولية الاتحادية الصوفية بعده ، ولكن لم أركز على بيان هذا التأثير بالتفصيل لأن هذه الفرق ليست من الفرق الكلامية . ولا بأس أن أشير - ولو إشارات يسيرة - إلى بعض ما قاله شيخ الإسلام في هذا الباب .

فلقد بين شيخ الإسلام أن قول الحلولية الاتحادية مركب من ثلاث مواد : من سلب الجهمية وتعطيلهم ، ومن مجملات الصوفية ، ومن الزندقة الفلسفية ، « انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٧٥ / ٢) » . كما ذكر أن قولهم يشبه قول جهنم « انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩٥ / ٢) » ، وأنهم حققوا مذهبهم أعظم من تحقيق الجهمية له « انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٦٧ / ٢) » .

كما ذكر افتراق المسلمين في مسألة العلو ، فبين أنه لما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة الله وعلوه على خلقه ، افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال . فالسلف والأئمة قالوا بأن الله فوق سماواته مستوعلى عرشه بائن من خلقه . ومعطلة الجهمية ونفاتهم قالوا إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ولا محايد له ، فينفون الوصفين المتقابلين ، اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما ، كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم . والقول الثالث قول حلولية الجهمية ، الذين يقولون إنه بذاته في كل مكان . والقول الرابع : قول من يقول إن الله بذاته فوق العالم ، وهوبذاته في كل مكان . وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف . انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢ / ٢٩٧-٢٩٩) .

وفي مكان آخر ، فرق بين قول جهنم وقول الصوفية الاتحادية فقال : « حقيقة قول هؤلاء (يقصد الاتحادية) أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة ، ولهذا من سماهم حلولية أوقال هم قائلون بالحلول ، رأوه محجوباً عن معرفة قولهم ، خارجاً عن الدخول إلى باطن =

الإسلام عن المتكلمين وفضح حالهم حين قال : « فإن النفاة تارة يقولون

= أمرهم ، لأن من قال إن الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحال ، وهذا تثنية عندهم وإثبات لوجودين :

أحدهما وجود الحق الحال ، والثاني وجود المخلوق المحل ، وهم (يقصد الاتحادية) لا يقرون بإثبات وجودين البتة . ولا ريب أن هذا القول أقل كفراً من قولهم ، وهو قول كثير من الجهمية الذين كان السلف يردون قولهم ، وهم الذين يزعمون أن الله بذاته في كل مكان . وقد ذكره جماعات من الأئمة والسلف عن الجهمية ، وكفروهم به ، بل جعلهم خلق من الأئمة - كابن المبارك ويوسف بن أسباط وطائفة من أهل العلم والحديث من أصحاب أحمد وغيره - خارجين بذلك عن الثنتين والسبعين فرقة . وهو قول بعض متكلمة الجهمية وكثير من متعبدتهم . ولا ريب أن إلحاد هؤلاء المتأخرين وتجهمهم وزندقتهم تفريع وتكميل لإلحاد هذه الجهمية الأولى وتجهمها وزندقتهما » . انظر : مجموع الفتاوى (٢ / ١٤٠) . وهذا الكلام في غاية الدقة ، حيث بين أن هؤلاء الاتحادية ، كابن عربي وابن سبعين والحلاج ، لم يفرقوا بين وجود الله تعالى ، وبين وجود الخلق ، بل اعتبروا أنه لا وجود إلا الله ، بخلاف جهم ، فإنه قال بحلول الله تعالى في الخلق ، فأثبت وجودين .

وفي مكان آخر ، أكد هذا المعنى وقسم الذين يقولون بالحلول والاتحاد إلى أربعة أقسام :

الأول : هو الحلول الخاص ، وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء .

الثاني : هو الاتحاد الخاص ، وهو قول يعقوبية النصارى ، فهم يقولون إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن في الماء ، وهو قول من وافق هؤلاء من غالبية المنتسبين إلى الإسلام .

الثالث : هو الحلول العام ، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث =

بالحلول والاتحاد أونحو ذلك ، وتارة يقولون : لا مباين للعالم ولا داخل

= عن طائفة من الجهمية المتقدمين ، وهوقول غالب متعبدة الجهمية ، الذين يقولون : إن الله بذاته في كل مكان ، ويتمسكون بمتشابه من القرآن .
الرابع : الاتحاد العام ، الذي هوقول الملاحدة الصوفية ، الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى . انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٧١/٢) .

كما بين شيخ الإسلام تناقض بعض هؤلاء حيث يصفون الله تارة بأنه في كل مكان وتارة بأنه ليس في مكان دون مكان ، فيقول : « وهذا بعينه (يعني قول الاتحادية) هو مشرب قدماء الجهمية وحدثائهم ، كما يقولون : هوفي كل مكان ، وليس هوفي مكان ، ولا يختص بشيء . يجمعون دائماً بين القولين المتناقضين ، لأنهم يريدون إثبات موجود ، وليس عندهم شيء فوق العالم ، فتعين أن يكون هو العالم أويكون فيه . ثم يريدون إثبات شيء غير مخلوق ، فيقولون : ليس هوفي العالم ، كما ليس خارجاً عنه ، أويقولون : هو وجود المخلوقات دون أعيانها ، أويقولون : هو الوجود المطلق ، فيثبتونه فيما يثبتون ، إذ كانت قلوبهم متشابهة في النفي والتعطيل ، وهو إنكار موجود حقيقي مباين للمخلوقات عالٍ عليها . وإنما يفترقون فيما يثبتونه ، ويكرهون فطرهم وعقولهم على قبول المحال المتناقض ، فيقولون : هوفي العالم ، وليس هوفيه ، أو هو العالم وليس إياه ، أويغلبون الإثبات فيقولون : بل هونفس الوجود ، أو النفي فيقولون : ليس في العالم ولا خارجاً عنه ، أويدينون بالإثبات في حال وبالنفي في حال ، إذا غلب على أحدهم عقله غلب النفي ، وهو أنه ليس في العالم ، وإذا غلب عليه الوجد والعبادة رجح الإثبات ، وهو أنه في هذا الوجود أو هو هو . لا تجد جهمياً إلا على أحد هذه الوجوه الأربعة ، وإن تنوعوا فيما يثبتونه - كما ذكرته لك - فهم مشتركون في التعطيل » . انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦١/٤) .

فيه . والشخص الواحد منهم يقول هذا تارة ، وهذا تارة ، فإنهم في حيرة ، والغالب على متكلميهم نفي الأمرين ، والغالب على عبّادهم ، وفقهائهم ، وصوفيتهم ، وعامتهم ، الحلول . فمتكلموهم لا يعبدون شيئاً ومتصوفتهم يعبدون كل شيء ^(١) .

وهنا أود أن أنبه إلى قضية مهمّة للغاية ، وهي أن حجة هؤلاء المتكلمين والأصل الذي بنوا عليه نفيهم للعلوّ ، هي عين حجة جهم بن صفوان وأصله . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « والحجة التي ذكرها أحمد عن الجهم أنّه احتج بها على السمنية هي أعظم حجج هؤلاء النفاة الحلولية منهم ونفاة الحلول والمباينة جميعاً ، فإن النفاة تارة يقولون بالحلول والاتحاد أونحو ذلك ، وتارة يقولون : لا مباين للعالم ولا داخل فيه ^(٢) ثم قال بعد أسطر : « واحتجاج الجهم بهذا على السمنية كاحتجاج نفاة الصفات بذلك على أهل الإثبات ، فإن الرازي وأمثاله احتجوا على إمكان وجود موجود لا مباين للعالم ولا داخل فيه ب (النفس الناطقة) ، على قول هؤلاء المتفلسفة الذين يقولون : إنّها لا داخلية في هذا العالم ولا خارجة من هذا العالم ^(٣) » .

وشرح هذا الكلام أنّ جهم بن صفوان أجاب السمنية ببيان إمكان وجود موجود لا سبيل إلى إحساسه ، كالروح (وهو : النفس الناطقة) ، وهذه هي عين حجة المتكلمين النافين للعلوّ - وإن لم يصرحوا به - من إمكان وجود موجود ليس بمحسوس ولا يشار إليه .

(١) درء التعارض (١٦٩/٥) .

(٢) نفس المصدر (١٦٩/٥) .

(٣) نفس المصدر (١٧١/٥) .

ومن أجل هذا ، ذكر ابن القيم أن هؤلاء الجهمية المتأخرين النافين للعلو عاجزون عن الرد على سلفهم الأول ، بل وسلفهم خير منهم ، فإنهم أثبتوا له وجوداً بكل مكان ، وهؤلاء نفوا أن يكون داخل العالم أو خارجه (١) .



(١) انظر : الصواعق المرسلّة (٤٥٤ / ٢) .

الخلاصة

- مما سبق ، تبين أن الماتريدية ومتأخري الأشاعرة وافقوا جهماً في :
- * إنكار علو الله تعالى على خلقه
 - * تحريم السؤال بـ (أين) في حق الله تعالى
 - * الأصل الفاسد الذي ابتدعه جهنم في الرد على السمنية ، وهو قوله بوجود موجود لا يمكن إحساسه .
 - * إنكار استواء الله على عرشه .
 - * تفسير الاستواء بالاستيلاء .
 - * زعمهم أن إثبات الاستواء يلزم منه التجسيم .
 - * وافق بعض هؤلاء جهماً في إنكاره الكرسي والعرش ، وادّعوا أنهما مجاز .

وهذا كله خلاف ما كان عليه الكلابية وقدماء الأشاعرة . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ، مخاطباً أحد هؤلاء المتأخرين : « القول بأن الله تعالى ليس فوق العرش ، أول من ابتدعه في الإسلام الجعد بن درهم والجهنم بن صفوان وشيعتهما ، وهم عند الأمة من شرار أهل الأهواء ، وقد أطلق السلف من القول بتكفيرهم ما لم يطلقوه بتكفير أحد ، وقالوا : نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نحكي قول الجهمية ، وقالوا : اتفق المسلمون واليهود والنصارى على أن الله تعالى فوق العرش ، وقالت الجهمية : ليس فوق العرش . وليس هذا قول أئمة المتكلمين الصنفاتية ، لا أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب . . . ولا قول أبي الحسن الأشعري . . . والقاضي أبي بكر الباقلاني وغيرهم من أئمة الأشعرية الذين تزعم أنهم أصحابك »^(١) .

(١) بيان تلبيس الجهمية (١٢٧/١) .

المطلب الثالث

مدى تأثر الأشاعرة والماتريدية بها في صفة الكلام

لقد حاول الأشاعرة والماتريدية أن يردّوا على المعتزلة مقالتهم بخلق القرآن ، فأتوا بمسألة الكلام التي أخذوها من ابن كلاب ، وهي في الحقيقة وعند التأمل ليست إلا مغالطات تحاكي قول جهنم ، بل ربّما تكون أشنع منه .

يقول الإمام أبونصر السجزي في مقدمة كتابه الردّ على من أنكر الحرف والصوت : « اعلّموا - أرشدنا الله وإياكم - أنّه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي والصالحى والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالردّ على المعتزلة وهم معهم - بل أحسنّ حالاً منهم في الباطن - في أنّ الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق وإن اختلفت به اللغات . . . وقال العرب : الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى . . . فالاجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً . فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاولوا الردّ على المعتزلة من طريق مجرد العقل ، وهم لا يخبرون أصول السنة ولا ما كان السلف عليه ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك زعماً منهم أنّها أخبار آحاد . . . » ثم بيّن أنّ المعتزلة ألزمهم بعدة لوازم محاولة منهم أن يضطروهم إلى القول بخلق القرآن ، « فضايق بابن كلاب وأضرابه النفس عند هذا الإلزام لقلة معرفتهم بالسنن ، وتركهم قبولها ، وتسليمهم العنان إلى مجرد العقل ، فالتزموا ما قالته المعتزلة وركبوا مكابرة العيان ، وخرقوا الإجماع المنعقد بين الكافة ، المسلم والكافر ،

وقالوا للمعتزلة : الذي ذكرتموه ليس بحقيقة الكلام ، وإنما يسمى ذلك كلاماً على المجاز لكونه حكاية أو عبارة عنه ، وحقيقة الكلام : معنى قائم بذات المتكلم »^(١) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا القول : « لا خلاف بين الناس أن أول من أحدث هذا القول في الإسلام أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري ، واتبعه على ذلك أبو الحسن الأشعري ومن نصر طريقتهما . وكانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة ، ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولاً فاسدة ، صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالف به السنة ، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقاً »^(٢) . ويبين في موضع آخر أن ابن كلاب سلم لهم الأصل الذي ابتدعوه - وهو قولهم بدليل الأعراض وحدوث الأجسام - فاحتاج لذلك أن يقول إنَّ الربَّ لا تقوم به الأمور الاختيارية ، ولا يتكلَّم بمشيئته وقدرته ، ولا نادى موسى حقيقة حين جاء الطور ، بل ولا يقوم به نداء حقيقي ، وقال : إنَّ كلام الله تعالى قديم ، وإنَّه لازم لذات الله تعالى ، ليس بحرف ولا صوت^(٣) .

فالأشعري أخذ بقول ابن كلاب في هذه المسألة ، فقال في (اللمع) إنَّ الله تعالى « . . . لم يزل متكلماً وأنَّ كلام الله تعالى غير مخلوق »^(٤) وهذه العبارة تجعل الكلام صفة ذاتية محضة لا علاقة لها بالإرادة . ثم

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ٨١-٨٢) .

(٢) الاستقامة (٢١٢/١) .

(٣) انظر : منهاج السنة (٣١٢-٣١٥) .

(٤) كتاب اللمع (ص ٣٣) .

يؤكد ذلك ما قاله بعده بقليل من أن الله تعالى لم يزل متكلماً لأنه لو لم يكن كذلك ، لكان موصوفاً بضدّ الكلام ، وَلَكَّانَ ضِدَّ الْكَلَامِ قَدِيمًا ، ولو كان ذلك قديماً لاستحال أن يتكلم الباري^(١) .

ثم أثبت بوجه آخر أن الله جل وعلا لم يزل متكلماً ، فقال : « ودليل آخر على أن الله تعالى لم يزل متكلماً أن الكلام لا يخلو أن يكون قديماً أو حديثاً ، فإن كان محدثاً لم يخل أن يحدثه في نفسه أوقائماً بنفسه ، أو في غيره ، فيستحيل أن يحدثه في نفسه لأنه ليس بمحل للحوادث ، ويستحيل أن يحدثه قائماً بنفسه لأنه صفة ، والصفة لا تقوم بنفسها ، ويستحيل أن يحدثه في غيره . . . » وذلك لأنه يلزم منه أن يكون ذلك الجسم متكلماً بكلام الله ، فلما استحال هذه الأوجه كلها ، « . . . صح أنه قديم وأن الله تعالى لم يزل به متكلماً »^(٢) .

وقال في رسالته إلى أهل الثغر إن أهل السنة « أجمعوا على إثبات حياة لله تعالى لم يزل بها حياً ، وعلم لم يزل به عالماً ، وقدرة لم يزل بها قادراً ، وكلام لم يزل به متكلماً . . . »^(٣) ، فجعل الكلام من الصفات الذاتية المحضة والتي لا تتعلق بالمشيئة .

وهذا كله يؤكد تأثر الأشعري بابن كلاب ، إلا أن العلماء والمحققين اختلفوا : هل تراجع الأشعري عن أقوال ابن كلاب أم بقي عليها إلى موته ؟^(٤) .

(١) انظر : نفس المصدر (س ٣٦-٣٧) .

(٢) نفس المصدر (ص ٤٤-٤٥) .

(٣) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٧٤) .

(٤) وبحث هذه المسألة د . / عبد الرحمن المحمود ، وفصل القول فيها بتفصيل =

وأما في كتاب الإبانة - وهذا آخر تأليفه وأقرب كتبه إلى عقيدة السلف - فسر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على أن القرآن غير مخلوق ورد على الجهمية والواقفة ، ولكنه لم يتعرّض لبيان إثبات (الصوت) ، ولا لتعلّق الكلام بالمشيئة . بل وُجد عكس ذلك ، فقد ربط بين العلم والكلام في أكثر من موضع^(١) ، فجعل الكلام أزلياً كما أن علم الله أزلي ونفى عن الله تعالى السكوت فجعله يتكلّم بكلام دائم^(٢) . وقال في موضع آخر : « كما لا يجوز أن تكون إرادة الله تعالى محدثة مخلوقة ، كذلك لا يجوز أن يكون كلامه محدثاً مخلوقاً »^(٣) ، وقد علّق أحد الباحثين على هذا الكلام بقوله : « وقد يتبادر إلى الذهن أنه قصد الردّ على من قال بخلق القرآن ، وهذا حقّ ، لكنه قصد أيضاً المنع من أن الله يتكلّم بكلام بعد كلام بإرادته ومشيئته »^(٤) .

= لم أره في مكان آخر ، فذكر أقوال العلماء وأدلتهم ، ثم استقرأ هو بنفسه كتب الأشعري لكي يصل إلى نتيجة . انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١ / ٣٦١-٤١٠) . ولقد رجّح قول شيخ الإسلام ، وهو أن الأشعري بقي على عقيدة ابن كلاب ، مع ثقافته مع أهل السنة في كثير من الأقوال . وإن من أهمّ المسائل التي تدلّ على ذلك - بل هي أهمّها - قول الأشعري في صفة الكلام ، فإنّ جميع كلامه حول هذه الصفة ، حتى في آخر تأليفه - وهو الإبانة - موافق لعقيدة الكلاية . وهذا ما سأشير إليه في الفقرات القادمة .

(١) انظر على سبيل المثال : الإبانة (ص ٦٦ ، ٦٧) .

(٢) انظر : الإبانة (ص ٦٧) .

(٣) نفس المصدر (ص ١٦٢) .

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (١ / ٤٠٢) .

فالذي يظهر - والعلم عند الله تعالى - أنَّ الأشعري لم يتراجع بالكلية عن عقائد الكلائية - وربما حاول أن يتوسَّط بينهم وبين أهل السنة ، فإنَّ كتابه الإبانة قريب جداً من عقيدة السلف - إلا أنَّه بقي متأثراً بالكلائية في بعض المسائل ، ومنها صفة الكلام^(١) .

ثمَّ جاء علماء الأشاعرة بعده ، وأخذوا بقوله في صفة الكلام وزادوا عليه ، فأنكروا أشياء لم ينكرها الأشعري صراحة ، كالصوت مثلاً ، وجزموا بأشياء لم يجزم بها الأشعري ، كخلق ألفاظ القرآن .

فهذا ابن فورك يقول : « اعلم أنَّ كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت عندنا ، وإنما العبارات عنه تارة تكون بالصوت ، والعبارات هي الدالة عليه ، وأمارات له تظهر للخلق ، ويسمعون عنها كلام الله ، فيفهمون المراد ، فيكون ما سمع موسى عليه السلام من الأصوات مما سمع ، يُسمَّى كلام الله عزَّ وجلَّ ، ويكون ذلك في نفسه غير الكلام »^(٢) .

ويقول أيضاً بعد رده بعض الآيات الدالة على صفة الكلام : « وقد بينا فيما قبل أنَّ معنى ذلك راجع إلى العبارات والدلالات التي هي

(١) وينتبه على أنَّه قال في الإبانة إنَّ « القرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة ، محفوظ في صدورنا على الحقيقة ، متلوَّ بالسنتنا في الحقيقة ، مسموع لنا في الحقيقة . . . » (ص ٩٤) ، وهذا كلام جميل ، قد يفهم منه أنه تراجع عن عقيدة ابن كلاب ووافق السلف ، وهذا الذي نرجو ، إلا أنَّ بقية كلامه في صفة الكلام يجعلنا نتردَّد في هذا الجزم . راجع كذلك توجيه د . / المحمود لهذه العبارات في كتابه : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٤٠٦ / ١) .

(٢) مشكل الحديث وبيانه (ص ٣٧٤)

الطريق إلى الكلام ، وبها يفهم مراده منه ، لا أنه تعالى قوله إذا تكلم الله بالوحي أنه يتجدد له كلام ، ولكنه يتجدد إسماع وإفهام بخلق عبارات ونصب دلالات بها يفهم الكلام ، ثم يقال على طريق السعة والمجاز لهذه العبارات : كلام ، من حيث إنها دلالات عليه
واعلم أنه لا يصح على أصلنا في قولنا إن كلام الله غير مخلوق ولا حادث بوجه من الوجوه أن يقول : إن الله يتكلم كلاماً بعد كلام ، لأن ذلك يوجب حدوث الكلام ، وإنما يتجدد الإسماع والإفهام ، ونصب العبارات وإقامة الدلالات على الكلام الذي لم يزل موجوداً وحدث الدلالة والعبارة لا يقتضي حدوث المدلول المعبر عنه ثم بين أن كلام الله تعالى قديم وأنه تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً ، وإنما تتجدد العبارات^(١) .

وإذا تأملت كلامه ، رأيت بوضوح أنه يقول بخلق (عبارت) كلام الله تعالى ، بمعنى أن القرآن الموجود عندنا مخلوق ، كما صرح أن القرآن يضاف إلى الله تعالى على وجه المجاز .

وبين الباقلاني أن القرآن إنما هو من قول جبريل عليه السلام ، لا من قول الله تعالى ، فقال : « والنازل على الحقيقة ، المنتقل من قطر إلى قطر ، قول جبريل عليه السلام ، يدل على هذا قوله تعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا بُصِّرُونَ * وَمَا لَا بُصِّرُونَ * إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ * نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٣] ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] وهذا إخبار

(١) نفس المصدر (ص ٤٢٨-٤٢٩)

من الله تعالى بأنّ النظم العربي الذي هو قراءة كلام الله تعالى قول جبريل ، لا قول شاعر ، ولا قول كاهن «^(١) . ولازم هذا القول - لا محالة - أنّ القرآن مخلوق ، لأنّه من قول جبريل عليه السلام .

ثمّ جاء عبد القاهر البغدادي ونقل إجماع الأشاعرة على أنّ الكلام صفة ذاتية أزلية لا يتعلّق بالمشيئة فقال : « أجمع أهل الحق على أنّ كلام الله تعالى صفة له أزلية قائمة ، وهي أمره ونهيه وخبره ووعدته ووعدته . . . وأنّ كلام الله سبحانه وتعالى أزلي غير حادث »^(٢) ، ثمّ بيّن أنّ قراءة كلامه بالعربية قرآن ، وقراءته بالعبرانية تورا أو زبور ، وقراءته بالسريانية إنجيل ، والقراءة غير المقروء ، لأنّ المقروء كلام الله وليست القراءة كلامه^(٣) . فالكلام عنده بمعنى واحد ، إذا عبّر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإذا عبّر عنه بالعبرية كان تورا . وألفاظ هذا التعبير ليست من الله ، إذ لو كان منه للزم من ذلك حلول الحوادث به ، بل كلام الله تعالى كلام نفسي .

وقد بيّن الجويني مفهوم صفة الكلام عند الأشاعرة فذكر أنّ القرآن إنّما هو (أمارات) على كلام الله تعالى : « وهو الذي تدلّ عليه العبارات المتواضع عليها ، وقد تدلّ عليه الخطوط والرموز والإشارات . وكلّ ذلك أمارات على الكلام القائم بالنفس ، ولذلك قال الأخطل :

(١) الإنصاف (ص ١٤٧-١٤٨) .

(٢) أصول الدين (ص ١٠٦) .

(٣) نفس المصدر (ص ١٠٨) .

إن الكلام لفي الفؤاد ولأما

جعل اللسان على الفؤاد دليلاً^(١). (٢)

وقال أيضاً : « إن جبريل ؟ أدرك كلام الله تعالى وهو في مقامه فوق سبع سماوات ، ثم نزل إلى الأرض فأفهم الرسول ﷺ ما فهمه عند سدرة المنتهى من غير نقل لذات الكلام »^(٣) . كما جزم بأن كلام الله تعالى ليس بحروف منتظمة ، ولا أصوات منقطعة ، بل الكلام هو صفة قائمة بالله تعالى^(٤) ، وهذا الكلام لا يفارق الذات ولا يزايلها^(٥) . لذلك قال إن المقروء بالقراءة هو المفهوم منها المعلوم ، « . . . وهو الكلام القديم الذي تدلّ عليه العبارات وليست منها »^(٦) ، بمعنى أن ألفاظ القرآن ليست من الكلام القديم . ولازم ذلك لا محالة أن هذه العبارات ليست قديمة ، بل هي مخلوقة .

(١) اختلفت الأشاعرة في قائل هذا البيت ، وقد ذكر د . / عبد القادر صوفي هذه الآراء ، تلخصها كالآتي : نسبه الفريهاري الماتريدي في كتابه (النبراس) إلى علي بن أبي طالب ، ونسبه ابن فورك في (مجرد مقالات الأشعري) إلى الشاعر الخطيئة ، ونسبه الجويني في (اللمع) ، والتفتزاني في (شرح النسفية) والزبيدي في (شرح الإحياء) وغيرهم ، إلى الأخطل ، ولكن الصحيح أن البيت مخترع موضوع على لغة العرب (انظر : الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات ، لعبد القادر صوفي (٥٣ / ٢) .

(٢) لمع الأدلة (ص ١٠٤) .

(٣) الإرشاد (ص ١٣٠) .

(٤) انظر : العقيدة النظامية (ص ٢٧) .

(٥) انظر : نفس المصدر (ص ٢٩) .

(٦) الإرشاد (ص ١٢٧) .

وقال الغزالي إنّ كلام الله تعالى قديم أزلي قائم بذاته « لا يشبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان »^(١) . فقد نفى الغزالي - وغيره من الأشاعرة - الحرف والصوت خوفاً من الوقوع في التشبيه على حدّ زعمهم .

وذكر الآمدي أنّ الأشاعرة يقولون إنه « متكلم بكلام قديم أزلي نفساني أحديّ الذات ، ليس بحروف ولا أصوات ، مغاير للعلم والقدرة والإرادة وغيرهما من الصفات »^(٢) ، ثمّ تجرأ إلى نقل عدم التنازع على أنّ حروف القرآن ليس بقديم فقال : « فلا تنازع في أنّ ما جاء به الرسول ﷺ من الحروف المنتظمة والأصوات المقعدة معجزة له وأنه يسمى قرآناً وكلاماً ، وأنّ ذلك ليس بقديم ، وإنّما النزاع في مدلول تلك العبارات : هل هوصفة قديمة أم لا ؟ »^(٣) وهذا كلام صريح منه على أنّ حروف القرآن المتلوّ عندنا مخلوقة . ثمّ تطرّق الآمدي إلى شبهة المعتزلة من أنّ ألفاظ القرآن وأصوات قارئه لا بدّ أن تكون حادثة غير قائمة بذات الله تعالى ، لأنّ الذات منزّهة عن حلول الحوادث ، فأكد أنّ الأشاعرة موافقون للمعتزلة في هذا الجانب ، إلا أنّهم يختلفون معهم في مسألة الصوت الذي سمعه موسى عليه السلام ، فالمعتزلة يرون أنّ هذا الصوت هو كلام الله ، فدلّ على أنّ كلامه مخلوق (لاستحالة حلول الحوادث بالذات) ، أمّا الأشاعرة فيرون

(١) القواعد في العقائد للغزالي ، والكتاب نقله ابن عساكر بكامله في تبين كذب المفترى (ص ٣٠٢) .

(٢) غاية المرام (ص ٣٩) .

(٣) نفس المصدر (ص ١٠٨) .

أنّه من الجائز أن يكون موسى عليه السلام قد سمع كلام الله القديم بمعنى أنّ الله قد خلق له فهمَ كلامه والإحاطة به ، لا بمعنى السماع بالإدراك بالأذن^(١) . فالفرق بين الأشاعرة والمعتزلة هو هذا الذي يسمّى بـ (الكلام النفسي) ، فالأشاعرة يثبتونه ويرون أنّه غير مخلوق ، خلافاً للمعتزلة . أمّا ألفاظ القرآن ، فلا خلاف بينهم في حدوثها وخلقها .

إلى أن جاء الإيجي - وهو محقق مذهبهم وصاحب أهمّ كتبهم - فصرّح بأشياء لم يسبق إليها ، حيث قال إنّ المعتزلة قالوا إنّ القرآن كلام الله تعالى ، وهو حروف وأصوات يخلقها الله في غيره ، « . . . كاللوح المحفوظ ، أوجبريل ، أو النبي ﷺ ، وهو حادث . وهذا لا ننكره ، لكننا نثبت أمراً وراء ذلك ، وهو المعنى القائم بالنفس ، ونزعم أنّه غير العبارات »^(٢) ، ثم بعد أسطر أكد هذا وبيّن أن قول المعتزلة بحدوث الأصوات وحروف القرآن « . . . فنحن نقول به ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك ، وما نقوله من كلام النفس فهم ينكرون ثبوته . . . فصار محلّ النزاع نفي المعنى وإثباته »^(٣) ، أي : إنّ الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة ليس في خلق عبارات وألفاظ القرآن ، فهذا أمر مجمع عليه بينهم ، وإنّما هو في إثبات (معنى) الكلام النفسي لله جلّ وعلا .

ثم تطرّق الإيجي لأدلة خلق القرآن عند المعتزلة - وكثيرٌ منها أصله الجهم بن صفوان - ووجه هذه الأدلة على حدوث ألفاظ القرآن فقال :

(١) انظر : نفس المصدر (ص ١٠٩-١١٠) .

(٢) الموافق (ص ٢٩٤) .

(٣) نفس المصدر (ص ٢٩٤) .

« وأما ما دلّ على حدوث القرآن مطلقاً ، فحيث يمكن حمله على حدوث الألفاظ لا يكون لهم فيه حجة علينا » وذلك لأنّ حدوث ألفاظه أمر متفق عليه بين الأشاعرة والمعتزلة ، ولكن هذه الأدلة « . . . » إنّما تفيدهم بالنسبة إلى الحنابلة . وأما بالنسبة إلينا ، فيكون نصباً للدليل في غير محل النزاع ^(١) . فانظر إلى جرأة هذا المتكلم ، وكيف يصرّح بأنهم موافقون للمعتزلة في حدوث ألفاظ القرآن ، وأنّ أدلة المعتزلة في خلق القرآن دليل لهم لا عليهم ، لأنّهم يقولون بحدوث ألفاظه كالمعتزلة ، وإنّما يتوجّه بهذه الأدلة إلى (الحنابلة) دون الأشاعرة . وذكر الجرجاني في شرحه للمواقف أنّ المعتزلة عرّفوا الكلام بأنّه حادث مخلوق يخلقه الله تعالى في غيره ، كاللوح المحفوظ أو جبريل أو محمد ﷺ ، و« . . . هذا الذي قاله المعتزلة لا ننكره نحن ، بل نقول به ، ونسميه كلاماً لفظياً ، ونعترف بحدوثه ، وعدم قيامه بذاته تعالى ، لكننا نثبت أمراً وراء ذلك ، وهو المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بالألفاظ ، ونقول : هو الكلام حقيقة ، وهو قديم قائم بذاته تعالى ^(٢) . ثم وجه أدلة المعتزلة ، كقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُخَدِّثُ ﴾ [الأنبياء: ٢] وغير ذلك ممّا يدلّ على أنّ القرآن محدث ، بأنّها كلّها « تدلّ على حدوث اللفظ ، كما لا يخفى على المتأمل ، وهو غير المتنازع فيه كما تحقّقه ^(٣) .

(١) نفس المصدر (ص ٢٩٤) .

(٢) شرح المواقف (١٣٤/٣) .

(٣) نفس المصدر (١٣٩/٣) .

وصرح البيجوري أنّ كلام الله تعالى يطلق على الكلام النفسي ، وأما القرآن الكريم ، فقيل : يطلق عليه أنه كلام الله تعالى بالاشتراك ، وقيل : بالمجاز ، « وعلى كلّ من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله فقد كفر ، إلا أن يريد أنه ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى ، ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثاً ، لا يجوز أن يقال : القرآن حادث إلا في مقام التعليم »^(١) ، كما قال إنّ القرآن « كلام الله قطعاً ، بمعنى أنّه خلقه في اللوح المحفوظ »^(٢) .

وهذا القول من البيجوري يذكرنا بقول جهم من أنّ القرآن كلام الله تعالى على وجه المجاز ، فالبيجوري أورد هذا الاحتمال وأجازه . وأما تصريحه بخلق ألفاظ القرآن ، فهو استمداد منه لأسلافه الأشاعرة ، ولكن الأمر الغريب هو استحياؤه من ذكر عقيدتهم في القرآن إلا في مقام التعليم . وكتمان العقيدة وعدم ذكر مسائل أصول الدين من خصائص الرافضة والفرق الباطنية ، وكفى بذلك دلالة على شناعة قولهم في هذه المسألة ، وأنهم يجدون في أنفسهم حرجاً من ذكره لما يعلمون من تشابهه بقول الجهمية . لذلك نرى أنّ بعض الأشاعرة ، مع أنّهم بدّعوا أو كفّروا أئمة الاعتزال ، لم يكفّروهم لقولهم بخلق القرآن وإنّما لاعتبارات أخرى ، وهذا خلاف ما عليه السلف : أنّ أظهر دليل على تبديعهم أو تكفيرهم هو قولهم بخلق القرآن^(٣) . فمثلاً عقد عبد القاهر البغدادي فصلاً كاملاً في بيان تكفير

(١) شرح البيجوري على جوهره التوحيد (ص ١٣٠) .

(٢) نفس المصدر (ص ١٣١) .

(٣) وينبغي أنّ نفرّق بين التكفير بالوصف وتكفير المعين ، وقول السلف في تكفير من قال بخلق القرآن هو التكفير بالوصف ، وأما تطبيق هذا الحكم على معين ، ففيه شروط وموانع معروفة .

المعتزلة ، فقال : « اعلم أنّ تكفير كل زعيم من زعماء المعتزلة واجب من وجوه . . . »^(١) ، ثم ساق نحو ثلاثين مسألة تدلّ - في زعمه - على كفر قائلها ، ولكنه لم يذكر في هذه المسائل القول بخلق القرآن . بل وأدهى من ذلك وأمرّ أنّه حكم على الجهمية بأنهم كفار لأمرين لا ثالث لهما : « . . . أحدهما قولهم بأنّ الجنة والنار تفتيان ، والثاني قولهم بحدوث علم الله تعالى . . . ولأجل هذه البدعة قُتل جهم بن صفوان بمزو »^(٢) .

ومن تصفّح أي كتاب من كتب السلف ، مثل (الردّ على الجهمية) للإمام أحمد ، وللإمام الدارمي ، و (السنة) لعبد الله بن أحمد وللخلال و (الشريعة) للآجري ، و (التوحيد) لابن خزيمة ، وغير ذلك من المصنفات ، وجد أنّ أكبر طعنٍ وجهه علماء السلف قاطبة إلى الجهم والجهمية قولهم بخلق القرآن ، وسبق نقل كلام اللالكائي في سرد أسماء أكثر من خمسمائة عالم كفّروا الجهمية بسبب قولهم بخلق القرآن . إلا أنّ الأشاعرة أغفلوا - أو تغافلوا - هذا الأمر ، وأهمّلوا ذكره في كتبهم ، وما ذلك إلا لتشابه قولهم بقول جهم ، وخجلهم من ذكر ذلك ، فلا تُذكر هذه المسألة بالتفصيل عندهم أمام العوام ، بل تذكر أمام الخاصة فقط ، كما صرّحوا بذلك ، فإلى الله المشتكى وعليه التكلان !

ولقد أنصف الشهرستاني في بيان هذه المسألة ، مع أنّه أشعري العقيدة في كثير من المسائل ، ونبه على أنّ قول الأشاعرة ليس هو قول السلف ،

(١) أصول الدين (ص ٣٣٣) .

(٢) نفس المصدر (ص ٣٣٣) .

فقال : « وقد بذلت السلف أرواحهم وصبروا على أنواع البلياء والمحن من معتزلة الزمان دون أن يقولوا القرآن مخلوق »^(١) ، فالسلف عندما أثبتوا أنَّ ما بين الدفتين هو كلام الله تعالى ، قرروا كذلك أنَّ ما نقرؤه ونسمعه ونكتبه هو عين كلام الله ، فيجب أن يكون الكلمات والحروف هي بعينها كلام الله الذي تكلم به ، وكان الأمر إذ ذاك على قولين ، قول السلف وقول المعتزلة ، « فصار الآن إلى قولٍ ثالثٍ : وهو حدوث الحروف والكلمات وقدم الكلام . . . فكانت السلف على إثبات القدم والأزلية لهذه الكلمات دون التعرُّض لصفة أخرى وراءها ، وكانت المعتزلة على إثبات الحدوث والخلقية لهذه الحروف والأصوات دون التعرُّض لأمرٍ وراءها ، فأبدع الأشعري قولاً ثالثاً وقضى بحدوث الحروف ، وهو خرق الإجماع ، وحكَّم بأنَّ ما نقرأه كلام الله مجازاً لا حقيقة ، وهو عين الابتداء »^(٢) .

أما الماتريدية ، فلم يكونوا بعيدين عن إخوانهم الأشعرية في هذه المسألة ، والخلافات بينهم فيها خلافات لفظية^(٣) .

(١) نهاية الإقدام (ص ٣١٤) .

(٢) نفس المصدر (ص ٣١٣) .

(٣) ومن أهم الخلافات بينهم في مسألة الكلام هو : هل يجوز سماع كلام الله تعالى وهل سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى أولاً؟ فالأشعرية يصرون بالإثبات ، والماتريدية على العكس . إلا أنَّ الخلاف بينهم خلاف لفظي ، فالأشعرية يقولون بالكلام النفسي ، ولا يتصوّر عند من يثبت سماع كلام الله تعالى حقيقة ، لذلك بعض الأشاعرة تنبهوا لذلك ، منهم الرازي (انظر : المحصل له ص ٢٦٨) ، والجويني (انظر : الإرشاد له ، ص ١٢٩) ، =

فلقد أثبت الماتريدي صفة الكلام ، حيث قال : « الأصل أن الله عز وجل ثبت وصفه بالكلام بحجة السمع والعقل . . . »^(١) ، ولكنه أثبت هذه الصفة بدون مشيئة ولا اختيار ، فعنده أن « الأصل أن الله تعالى إذا أطلق الوصف له ، وصف بما يوصف من الفعل والعلم ونحوه ، يلزم الوصف به في الأزل »^(٢) . وقال في خصوص صفة الكلام أن كلامه لا يشبه كلام خلقه بوجه من الوجوه ، « وفي ثبوت الخلافية من جميع الوجوه نفي الحديثية ، لما به يقع الوفاق ، وبطل معنى الأعراض والتفرق والاجتماع والحد والغاية والزيادة والنقصان ، إذ ذلك وصف كلام الخلق »^(٣) . ثم بين أن القرآن الذي نقرؤه ونسمعه هو كلام الله تعالى بمعنى أنه يضاف إليه « على الموافقة ، كما يقال في الرسائل والقصائد والأقاويل »^(٤) . لا أن الله يتكلم به بذاته ثم يُسمع هذا الكلام ، لأن ذلك يلزم أن يكون الله جسماً ويكون كلامه عرضاً ، « فمحال كونه في مكان ، وعن المكان يُسمع ، فثبت وجه الإضافة إليه على ما ذكرنا ، مع ما يجوز أن يُسمعا الله كلامه ما ليس بكلامه . . . كما

فبينوا أن موسى عليه السلام أفهم معنى هذا الكلام ، لا أنه سمع صوتاً . وقول الماتريدي - مع أنه أبعد من قول السلف - إلا أنه مستقيم على أصلهم في الكلام النفسي ، وقول الأشاعرة ظاهراً يوافق قول السلف ، ولكنه أبعد في بداهة العقول ، لأنه يتناقض كل التناقض مع قولهم بالكلام النفسي .

(١) كتاب التوحيد للماتريدي (ص ٤٧) .

(٢) نفس المصدر (ص ٤٧) .

(٣) نفس المصدر (ص ٥٨) .

(٤) نفس المصدر (ص ٥٨) .

أعلمنا قدرته وعلمه وربوبيته بخلقه ، وإن لم يكن هو هو ^(١) .
وهذا النقل مهم للغاية ، إذ يبين الماتريدي وجهة نظره في القرآن ، وأنه
ليس بكلام لله حقيقة ، ولكنه مضاف إلى الله تعالى لموافقته في المعنى ،
كما أننا لا نشاهد قدرة الله تعالى وربوبيته إلا بواسطة المخلوقات ،
فكذلك كلام الله تعالى ، لا نعرفه إلا بواسطة مخلوقات - يقصد عبارات
القرآن . وأكد الماتريدي هذا المعنى لما تحدّث عن مسألة تكليم موسى
عليه السلام وهل سمع كلام الله تعالى ، فأجاب : « أسمع بلسان موسى
وبحروف خلقها وصوت أنشأه » ثم تعقب ذلك بقوله إنّ ما أسمع ليس
بمخلوق ^(٢) . وهذا هو عين عقيدة الكلاية ، حيث يجعلون (الكلام النفسي)
غير مخلوق ، ويقولون بخلق ألفاظ وعبارات هذا الكلام .
ويقول النسفي إنّ الله تعالى متكلم بكلام واحد ، وهو صفة له أزلية ،
ليست من جنس الحروف والأصوات ، أما العبارات الموجودة عندنا
فهي دالة على كلام الله تعالى وليست هي عين الكلام ، « وهذه
الحروف مخلوقة لأنها أصوات ، وهي أعراض لا دوام لها ، وهي
قائمة بمحالها التي هي اللسان واللهوات والحلق ، وغير المخلوق يعبر
بما هو المخلوق » ^(٣) . ويقول أيضاً : « إنّ الله أسمع القرآن جبرائيل
بالصوت والحرف المخلوقين فحفظه جبرائيل ونقله إلى النبي ﷺ » ^(٤) ،

(١) نفس المصدر (ص ٥٩) .

(٢) نفس المصدر (ص ٥٩) .

(٣) التمهيد في أصول الدين (ص ٢٣-٢٤) .

(٤) بحر الكلام للنسفي (ص ٢٩) - نقلاً عن : الماتريدي للأفغاني (١ / ٤٢٤) .

ولا حاجة إلى تعليقٍ مع هذا التصريح .

ويقول البزدوي : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ قَدِيمٌ ، فَإِنَّهُ قَدِيمٌ بِكَلَامِهِ ، وَكَلَامُهُ وَاحِدٌ ، وَبِالْكَلَامِ الْوَاحِدِ يَتَكَلَّمُ . . . وَأَمَّا الْحُرُوفُ ، فَالْحُرُوفُ لَيْسَتْ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى . . . فَكَيْفَ يَكُونُ لِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى حُرُوفٌ ؟ بَلِ الْحُرُوفُ لِلْمَنْظُومِ ، عَلَى مَعْنَى أَنَّهَا يَكْتُبُ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ ، وَيَتْلَى بِهَذِهِ الْحُرُوفِ ، مَخْلُوقَةٌ عِنْدَ عَامَةِ الْعُقَلَاءِ إِلَّا عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَفَرِيقٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا : الْحُرُوفُ لَيْسَتْ بِمَخْلُوقَةٍ ، وَإِنَّمَا قَالُوا لِقَلَّةِ التَّأَمُّلِ فِرَاراً مِنَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ كَلَامِ اللَّهِ . . . لَكِنَّهُ مَعَ هَذَا خَطَأٌ مُحَضٌّ يَحْرِمُ الْقَوْلَ بِهِ » إِلَى أَنْ قَالَ : « وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْحُرُوفَ مَخْلُوقَةٌ : أَنَّ الْحُرُوفَ فِي الْحَقِيقَةِ جَوَانِبَ الْفَمِ ، ثُمَّ الْأَصْوَاتُ الَّتِي تَقَعُ عَلَى تِلْكَ الْجَوَانِبِ تَسْمَى حُرُوفاً ، وَجَوَانِبُ الْفَمِ وَالْأَصْوَاتُ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ ، وَمَا يَكْتُبُ عَلَى الْكَاغِدِ يَسْمَى حُرُوفاً ، لِأَنَّهَا دَالَةٌ عَلَى تِلْكَ الْحُرُوفِ ، وَذَلِكَ خَبْرٌ وَهُوَ مُصْنُوعٌ مَخْلُوقٌ . وَأَمَّا الْعَرَبِيُّ وَالْعَبْرِيُّ فَذَاكَ أَيْضاً صِفَةُ الْمَنْظُومِ لَا صِفَةَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ وَلَا عِبْرِيٍّ ، فَإِنَّ الْعَرَبِيَّ وَالْعَبْرِيَّ مِنْ جُمْلَةِ اللُّغَاتِ ، وَكَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِلُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ بَلْ هَذَا الْمَنْظُومُ الَّذِي هُوَ دَالٌ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَرَبِيٌّ وَهُوَ الْقُرْآنُ ، وَالتَّوْرَةُ عِبْرِيٌّ ، وَهُوَ الْمَنْظُومُ » ^(١) . وَفِي هَذَا النَّصِّ كَذَلِكَ تَصْرِيحٌ بِخَلْقِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَإِنْكَارِ أَنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ حَقِيقَةً ، وَذَلِكَ لِأَنَّ إِثْبَاتَ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ يُوْدِي إِلَى تَشْبِيهِهِ عَلَى حَدِّ زَعْمِهِ .

وَيَبَيِّنُ التَّفْتِزَانِيُّ فِي شَرْحِهِ لِمَتْنِ النَّسْفِيِّ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ يُطْلَقُ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ

(١) أصول الدين ، بتحرّف يسير (ص ٦٢-٦٣) .

تعالى القديم ، مع أنه نظم متلوحادث ، ونبه على أن (الحنابلة) ذهبوا إلى قدم حروف القرآن جهلاً وعناداً منهم . ثم أكد الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة فقال : « وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم يرجع إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه ، وإلا فنحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف ، وهم لا يقولون بحدوث كلام نفسي . . . » وأما ما يستدل به المعتزلة من حدوث القرآن ، من وصفه بالنزول وجعله عربياً ومحدثاً وغير ذلك « . . . » فإنما يقوم حجة على الحنابلة لا علينا ، لأننا قائلون بحدوث التنظيم وإنما الكلام في المعنى القديم » (١) .

ثم ذكر أن بعض مشايخهم ذهب إلى القول بأن القرآن لا يطلق عليه أنه كلام الله إلا على سبيل المجاز ، وفسر هذا القول بأن « معناه أن الكلام في التحقيق وبالذات اسم للمعنى القائم بالنفس ، وتسمية اللفظ به ووضعه لذلك إنما هو باعتبار دلالة على المعنى » (٢) .

كما صرح حامل لواء التجهم في عصره الكوثري الماتريدي أن حروف القرآن مخلوقة ، بخلاف القائم بالله تعالى ، فهو قديم (٣) . وبهذا نرى موافقة الماتريدية للأشعرية في مسألة الكلام .



(١) انظر : شرح العقيدة النسفية (ص ٦٢-٦٤) .

(٢) نفس المصدر (ص ٦٦) .

(٣) انظر تعليقه على متن العقيدة النظامية للجويني (ص ٣١) .

الخلاصة

إنَّ الأشاعرة والماتريدية وافقوا ابن كلاب في قوله بالكلام النفسي ، فتظاهروا بإثبات صفة الكلام وقالوا (إنَّ كلام الله تعالى غير مخلوق) . وهذا الكلام في الظاهر موافق لعقيدة السلف ، وقد يغترّ الجاهل بحقيقة مذهبهم ويظنّ أنّهم بعيدون عن مذهب جهنم .

ولكنّهم أنكروا أن يكون كلام الله تعالى بحرف وصوت ، وأنكروا تعلّق الكلام بالمشيئة ، لذلك اضطروا إلى القول بخلق ألفاظ القرآن ، وأنّ حروف القرآن (حكاية) أو (عبارة) عن هذا الكلام النفسي .

وبهذا ، فهم في هذه الصفة ، كما قال شيخ الإسلام ، وافقوا أهل الإثبات في بعض الحقّ ، والجهمية في بعض الباطل ^(١) .

وقارن بين نظرية الأشاعرة والماتريدية في القرآن وبين ما نُقل عن الإمام أحمد في شأن الجهمية ، حيث سئل الإمام أحمد عن الذين يقولون إنّ القرآن بألفاظنا مخلوق ، فأجاب : « اسمع ما أقول لك : القرآن في جميع الوجوه ليس بمخلوق . جبريل عليه السلام حين قاله للنبي ﷺ كان منه مخلوقاً ؟ والنبي ﷺ حين قاله كان منه مخلوقاً ؟ هذا من أخبث قول وأشره » ، ثم قال أبو عبد الله : « بلغني عن جهنم أنّه قال بهذا في بدء أمره » ^(٢) . وقال عن من يقول بهذا القول : « هذا قول جهنم ، على من جاء بهذا غضب الله » ^(٣) . وهذا هو عين قول

(١) انظر : الاستقامة (٢١٥ / ١) .

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة ، كتاب الردّ على الجهمية (٣٣٨ / ١) .

(٣) رواه ابن بطة في الردّ على الجهمية (٣٤٥ / ١) .

الأشاعرة والماتريدية : أَنَّ ما قاله جبريل عليه السلام للنبي ﷺ كان مخلوقاً ، وَأَنَّ ما قاله النبي ﷺ للناس كان مخلوقاً .

وقارن كذلك بين قول الأشاعرة والماتريدية وبين ما قاله الإمام أحمد عن الجهمية وأنهم أنكروا أَنَّ الله كَلَّمَ موسى ، « فقلنا : لَمْ أنكرتم ذلك ؟ قالوا : إِنَّ الله لم يتكَلَّم ولا يتكَلَّم ، إِنَّمَا كَوَّنَ شيئاً فَعَبَّرَ عن الله ، وخلق صوتاً فأسمع وزعموا أَنَّ الكلام لا يكون إلا من جوفٍ ولسانٍ وشفيتين » ^(١) ، فالأشاعرة والماتريدية وقعوا في نفس التشبيه ، إلا أَنَّهُمْ غَيَّرُوا لفظ (الكلام) وجعلوا لفظ (الصوت) بدله ، لأنَّهُمْ تظاهروا بإثبات صفة الكلام ، وقالوا : متى أثبتنا له كلاماً بصوت وحروف أثبتنا له لساناً وحلقاً وجسماً وشفيتين ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

فكان بذلك جهم أعلم منهم بمعنى الكلام ، وأقرب إلى المعقول في هذه المسألة من هذه الناحية ، إذ لا معنى لإثبات الكلام بلا حروف ولغة وصوت .

ولبيان تقارب قول الأشاعرة والماتريدية مع قول جهم ، نقول :
* وافقت الأشاعرة والماتريدية جهماً في خلق عبارات القرآن وحروفه ، بل نقل الإمام أحمد أَنَّ الجهم كان يقتصر على هذا القول في أول أمره .
* وافقت الأشاعرة والماتريدية جهماً في أَنَّ جبريل جاء بشيء مخلوق إلى النبي ﷺ .

* وافقت الأشاعرة والماتريدية جهماً في شبهته أَنَّ إثبات الصوت والحروف يلزم التشبيه ، إلا أَنَّ جهماً أنكر بسبب هذه الشبهة صفة الكلام

(١) الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص ١٣٠-١٣١) .

نفسه ، لأنه علم أنّ الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت ، ولكنّ الأشاعرة خرقوا الإجماع ، وحاولوا موافقة السلف في إثبات الكلام ، فقالوا : لله تعالى كلام ليس ككلام البشر ، وهو كلام نفسي ، ليس بحرف ولا صوت ولا لغة .

* صرح بعض الأشاعرة والماتريدية بأنّ القرآن يسمّى (كلام الله) مجازاً لا حقيقة ، وهذا قول جهّم .

* إنّ الماتريدية صرّحوا بأنّ موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله حقيقة ، بل سمع عبارات مخلوقة تدلّ على كلام الله تعالى ، وهذا هو عين قول جهّم . أمّا الأشاعرة فبعضهم قاربوا هذا التصريح وإن لم يصرّحوا به ، مع أنّه لازم مذهبهم لا محالة . ولكنّ الفريقين اتّفقوا على أنّ موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله تعالى حقيقة ، وهو قول جهّم .

وأخيراً ، أوكد أنّ الأشاعرة والماتريدية لم يقصدوا موافقة جهّم والمعتزلة في قولهم هذا ، بل هم يصرّحون بعدم خلق كلام الله تعالى ، ولكنّهم أتوا من قبل تسليمهم لبعض أصول جهّم ، فزلّوا وضلّوا ، وكانوا بذلك قاب قوسين أو أدنى من قول جهّم .



آبَا الْخَامِسُ

اثر مقالاته في مسائل يوم القيامة

وفيه فصلان :

الفصل الأول : مقالاته في مسائل يوم القيامة

الفصل الثاني : أثر هذه المقالات في الفرق الإسلامية

الفصل الأول مقالاته في مسائل يوم القيامة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مقالته في عذاب القبر

المبحث الثاني : مقالته في الصراط

المبحث الثالث : مقالته في الميزان

المبحث الرابع : مقالته في الشفاعة

المبحث الأول

مقالته في عذاب القبر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

المطلب الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها .

المطلب الأول

نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

أنكر جهنم عذاب القبر .

قال المملطي : « وأنكر جهنم عذاب القبر »^(١) .

وقال أبو حنيفة : « من قال : لا أعرف عذاب القبر ، فهو من الجهمية الهالكة ، لأنه أنكر قوله تعالى ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة: ١٠١] ، يعني عذاب القبر . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الطور: ٤٧] »^(٢) . وفي هذا إشارة قوية إلى أنّ الجهم أنكر عذاب القبر ، إذ أنّ أبا حنيفة من المعاصرين للجهم ، كما سبق بيانه .

ولكن هل كان جهنم أول من أنكر عذاب القبر ؟ روي أنّ أنس بن مالك رضي الله عنه أدرك أناساً يكذبون بالشفاعة وبعذاب القبر ، فعن عبد الله ابن الرومي قال : كنت عند أنس بن مالك رضي الله عنه ودخل عليه رجل فقال : يا أبا حمزة ، لقيت قوماً يكذبون بالشفاعة وبعذاب القبر . قال

(١) التنبيه والردّ (ص ١١٨) .

(٢) الفقه الأبسط لأبي حنيفة (ص ١٣٧) .

أنس : « أولئك الكذّابون ، لا تجالسهم »^(١) .

ولكن في إسناد هذه الرواية علي بن مسعدة ، اختلف النقاد فيه ، فقال البخاري (فيه نظر) ، وضعفه أبوداود ، والنسائي ، بينما وثقه آخرون^(٢) . أما عبد الله بن الرومي هذا فلم أهتد إلى ترجمته بعد طول البحث . وعلى فرض ثبوت هذه الحادثة ، فإنّ هؤلاء الذين أنكروا الشفاعة لم ينشروا بدعتهم ، ولم يذكر في كتب المقالات أو الفرق أنّ أحداً أنكر هذه الأمور قبل الجهمية والمعتزلة . فبهذا نستطيع أنّ نجزم بأنّ الجهم بن صفوان هو أوّل من نشر بدعة إنكار عذاب القبر .

ولم أقف على أدلة جهم في نفيه لعذاب القبر ، إلا أنّ عقيدته هذه موافقة لأصله العام في إنكار ما لا يدرك بالحسّ ، وقد سبق الردّ على هذا الأصل .



(١) رواه اللالكائي في أصول السنة (١١٩٨/٥) .

(٢) انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر (١٩٢/٣) .

المطلب الثاني

نقد هذه المقالة والرد عليها

إنَّ عذاب الكافر والفاجر في القبر أمرٌ ثابتٌ في الكتاب والسنة وإجماع السلف ، إلا أنه لم يرد في القرآن باسم (عذاب القبر) . ولكن الآيات الواردة فيه صريحة جداً ، وقد ذكر بعض علماء السلف بعض هذه الآيات . ومن أصرح ما ورد ، قوله جلَّ ذكره : ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦] ، ففيها التصريح بأن النار سيعرض آل فرعون عليها قبل قيام الساعة . لذا قال ابن كثير عند تفسيرها : « وهذه الآية أصلٌ كبيرٌ في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور »^(١) ، ثم ساق بعض الأدلة من السنة على ذلك .

ومنها قوله تعالى : ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١] ، وقد فسر هذه الآية كثير من الصحابة والتابعين ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه والحسن البصري وقتادة ، ما حاصله أنَّ المراد بها عذاب الدنيا وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم ، الذي هو عذاب النار^(٢) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الطور: ٤٧] ، وقد سبق استدلال أبي حنيفة بهاتين الآيتين ، حيث

(١) تفسير ابن كثير عند هذه الآية (٨٥ / ٤) .

(٢) انظر : تفسير الطبري عند هذه الآية (١٠ / ١٠) ، ومعارج القبول للحكمي

قال : « من قال : لا أعرف عذاب القبر ، فهو من الجهمية الهالكة ، لأنه أنكر قوله تعالى ﴿ سَعَذِبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة: ١٠١] ، يعني عذاب القبر . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الطور: ٤٧] » (١) .

وقد استدلل البخاري بهذه الآيات وغيرها لإثبات عذاب القبر ، فقد بوب في صحيحه في كتاب الجنائز : « بَاب مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ [الأنعام: ٩٣] . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : الْهُونُ هُوَ الْهَوَانُ ، وَالْهُونُ الرِّفْقُ . وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ سَعَذِبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرْدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١] ، وَقَوْلُهُ ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦] » (٢) .

وأما الأحاديث الواردة في عذاب القبر فكثيرة جداً ، منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت : دَخَلْتُ عَلَى عَجُوزَانِ مِنْ عَجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَتَا لِي إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ . فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أَنْعِمَ أَنْ أَصَدِّقَهُمَا ، فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ وَذَكَرْتُ لَهُ ، فَقَالَ : « صَدَقَتَا ، إِنَّهُنَّ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا » فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ (٣) .

(١) الفقه الأيسر لأبي حنيفة (ص ١٣٧) .

(٢) انظر : صحيح البخاري - مع الفتح (٢٧٤/٣) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب التعوذ من عذاب القبر

(١٧٨/١١ ، حديث ٦٣٦٦) ، ومسلم في كتاب المساجد ، باب

استحباب التعوذ من عذاب القبر (٨٧/٥ ، حديث ١٣٢١) .

ومن رواية أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليها قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ » (١) .

وقال الترمذي ، بعد ما روى حديث أبي هريرة رضي الله عنه في منكر ونكير : « وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، وَأَبِي أَيُّوبَ ، وَأَنَسٍ ، وَجَابِرٍ ، وَعَائِشَةَ ، وَأَبِي سَعِيدٍ ، كُلُّهُمْ رَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ » (٢) .

وقال الشيخ حافظ حكمي : « فصل : وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر ، فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر ، إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقّاده عن الجرم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ ، منهم : أنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس ، والبراء بن عازب ، وعمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله وعائشة أم المؤمنين ، وأسماء بنت أبي بكر ، وأبو أيوب الأنصاري ، وأم خالد ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري ، وسمرة بن جندب ، وعثمان ، وعلي ، وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وزيد بن أرقم ، وأبوبكرة ، وعبد الرحمن بن سمرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبوه عمرو ، وأم مبشر ، وأبوقتادة ، وعبد الله بن مسعود ، وأبوطلحة ، وأسماء أيضاً

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب العوذ من عذاب القبر (٢٤٨/٣) ، حديث (١٣٧٧) ، ومسلم في كتاب المساجد ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٩٠/٥) حديث (١٣٢٧) .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر (٣٧٥/٣) .

وعبد الرحمن بن حسنة ، وتميم الداري ، وحذيفة ، وأبو موسى ،
والنعمان بن بشير ، وعوف بن مالك رضي الله عنهم . . . (١) ، ثم
ساق الشيخ حافظ حكيمي جميع هذه المرويات .

والإيمان بنعيم القبر وعذابه أمر مجمع عليه بين أئمة السلف (٢) . قال
الإمام أحمد إن من أصول السنة : « . . . الإيمان بعذاب القبر » (٣) ،
وذكر ابن أبي عاصم في كتابه (السنة) أبواباً في إثبات عذاب القبر (٤) ،
وقال الطحاوي : « ونؤمن بـ . . . عذاب القبر لمن كان له أهلاً » ، ثم
قال شارحه ابن أبي العزّ : « قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في
ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وسؤال الملكين ، فيجب
اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ، ولا تتكلم في كفيته ، إذ ليس للعقل
وقوف على كفيته ، لكونه لا عهد له به في هذا الدار ، والشرع لا يأتي بما
تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول » (٥) .

وقال البربهاري إن من أصول الإيمان « . . . الإيمان بعذاب القبر

(١) معارج القبول شرح سلم الوصول للحكمي (٧٢٢-٧٢١/٢) .

(٢) من أنفس ما وقفت عليه من كتابات السلف في هذا الموضوع هو ما دونه البيهقي
في كتابه « عذاب القبر وسؤال الملكين » ، فقد جمع فيه مئات الروايات عن
عذاب القبر ، وأسبابه ، وطريقة النجاة منه ، فليراجع . ومن المعلوم أنّ
البيهقي من محدثي الأشاعرة ، إلا أنّ الأشاعرة موافقون تماماً لأهل السنة في
هذه المسألة ، وفي عموم مسائل البرزخ وأحوال القيامة وأشراط الساعة .

(٣) أصول السنة (ص ٥٤) .

(٤) انظر : السنة لابن أبي عاصم (٥٩٥-٦١٤) .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ (ص ٣٩٩) .

ومنكر ونكير»^(١) ، وقال ابن بطّة إنّ من أصول الإيمان « الإيمان بعذاب القبر وبمنكر ونكير»^(٢) ، وقال ابن أبي زمنين : « وأهل السنة يؤمنون بعذاب القبر - أعاذنا الله وإياك من ذلك»^(٣) ، وقال محمد بن القاضي أبي يعلى الحنبلي « ويجب الإيمان . . . بعذاب القبر ، وبمنكر ونكير»^(٤) .
فثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنّ عذاب القبر حقّ ، ولا ينكره إلا جاهل أو معاند للنصوص .



(١) شرح السنة (ص ٢٩-٣٠) .

(٢) الشرح والإبانة (ص ٢١٧) .

(٣) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ١٥٤) .

(٤) كتاب الاعتقاد لمحمد الحنبلي (ص ٣٢) .

المبحث الثاني

مقالته في الصراط

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك .
المطلب الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها .

المطلب الأول

نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

قال الملطي في إنكار جهم الصراط : « والآثار جاءت بتكذيب جهم في إنكاره أنّ الله يجيز على الصراط عباده »^(١) . ولم أجد غيره ممن نصّ على مقالته هذه .

والظاهر أنّ جهماً أوّل من أنكر الصراط من المنتسبين إلى الإسلام ، وليس له حجة عقلية أو عقلية سوى ردّه للنصوص وإنكاره ما لا يدرك بالحسّ . ولكن حاول بعض الباحثين المعاصرين تعليل مقالته هذه ، فقال : « وربما كان نفي جهم لفكرة الصراط متأثراً عن اعتقاده بأنّ المؤمن يذهب إلى الجنّة مباشرة ، وأن لا حاجة للجسر ليختبر عليه العباد ، فالمؤمنون يذهبون إلى الجنة والكفار إلى النار ، وذلك لأنّ جهماً يعتقد أنّ الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان ، فمن كان في قلبه إيمان دخل الجنة بدون اختبار »^(٢) ، وهذا محتمل ، والله أعلم .

(١) التنبيه والردّ (ص ١٠٦) .

(٢) الجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي للعسلي (ص ١٤٥) .

المطلب الثاني

نقد هذه المقالة والرد عليها

اختلف علماء السلف : هل ورد ذكر الصراط في القرآن أم لا ؟ بعد اتفاقهم بأن الإيمان بالصراط واجب لصحة الأدلة على ذلك من السنة . فقد قال بعض السلف إن (الورود) المذكور في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] هو الورود على الصراط ، وقال آخرون : بل هو الورود على جهنم . وممن قال بالتفسير الأول ابن مسعود رضي الله عنه ، وبالتفسير الثاني ابن عباس رضي الله عنه ^(١) . إلا أن الراجح من هذين القولين هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ، ذلك لأن النبي ﷺ أقسم بأن أهل الحديبية لا يدخلون النار ، فعن أمِّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا » . قَالَتْ : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَأَنْتَهَرَهَا ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢] » ^(٢) .

وجه الدلالة من هذا الحديث : أن النبي ﷺ أقسم بأن أهل الحديبية لن يدخلوا النار ^(٣) ، مع أن الله جلَّ وعلا أقسم في سورة مريم أن الناس

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١٤٧/٣) ، عند تفسير آية ٧١ من سورة مريم .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أصحاب الشجرة (٢٧٥/١٥ ، حديث ٦٣٥٤) .

(٣) وقد ورد هذا الفضل لغيرهم كذلك ، ففي مسلم عن عُمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ قَالَ : =

جميعاً يردونها ، فقال ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] ، فلو كان الورد في الآية بمعنى الدخول لأشكل الجمع بين القسمين ، فيتحتم الأخذ بقول ابن مسعود رضي الله عنه . وأما جواب النبي ﷺ لحفصة ، فإن النجاة لا تستلزم الوقوع ، كما في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا صَلَاحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَقْوَى الْعَزِيزُ ﴾ [هود: ٦٦] .

وعن السدي قال : سَأَلْتُ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] ، فَحَدَّثَنِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُمْ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ، ثُمَّ يَصْذُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمَحُ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَالرَّيْحِ ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ »^(١) . والحديث هذا واضح بأن بعض السلف فهموا من (الورد) الورد على الصراط . لذلك جزم النووي أن معنى الآية هو المرور على الصراط ، فقال : « والصحيح أن المراد به المرور على الصراط ، وهو منصوب على ظهر جهنم ، أعادنا الله منها ومن سائر المكروه »^(٢) . وقد ورد ذكر الصراط في أحاديث كثيرة ، منها : ما اتفق عليه الشيخان

= قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا » (مسلم ، حديث ٦٣٤) .

(١) رواه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة مريم (٣١٧/٥) ، حديث (٣١٥٩) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (حديث ٣١١) .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (١٦٤/١) .

من رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعاً في حديث الرؤيا ، وفيه : « فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْتِهِ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ . وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّغْدَانِ . هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّغْدَانِ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّغْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ . تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبِقُ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَزَدَلُ ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَغْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ . . . » (١) .

وعقد البخاري في صحيحه (باب : الصراط جسر جهنم) ، وساق فيه حديث أبي هريرة هذا بلفظ آخر (٢) .

وروى أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة : « ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيَجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْجَسْرُ ؟

قَالَ : « مَذْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيْبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ . لَهَا شَوْكَةٌ عُقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّغْدَانُ . الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرَّيْحِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ . فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا .

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب فضل السجود (٣٤١ / ٢) ، حديث (٨٠٦) ،

ومسلم في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (٢١ / ٣) ، حديث (٤٥٠) .

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب رقم اثنين وخمسين (٤٥٣ / ١١) .

فَمَا أَنتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ
لِلْجَبَّارِ . . . » الحديث (١) .

وفي مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَتْ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ
قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ
الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
فَقَالَ : « عَلَى الصُّرَاطِ » (٢) .

كما أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْصُّرَاطِ أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ السَّلَفِ وَعِلْمَاءِ السَّنَةِ .
قال البرهاري : « وَالْإِيمَانُ بِالْصُّرَاطِ عَلَى جَهَنَّمَ » (٣) ، وقال الطحاوي

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى « وجوه يومئذ
ناضرة » ، (١٣ / ٤٣٠ ، حديث ٧٤٣٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب
معرفة طريق الرؤية (٢٩ / ٣ ، حديث ٤٥٣) .

وأما شرح الغريب : فالدهض والزلة بمعنى واحد ، وهو الموضع الذي تزل فيه
الأقدام ولا تستقر .

والخطاطيف : جمع خُطَاف ، والكلاليب : جمع كَلُوب ، ومعناها واحد
وهو حديدة معطوفة الرأس .

والْحَسَكُ : هو الشوك صلب في الحديد . والسَّغْدَانُ : نبت له شوكة عظيمة من
كل جانب .

والمكدوس : كون الأشياء بعضها على بعض . انظر : المنهاج شرح صحيح
مسلم للنووي (٢٦ / ٣ - ٢٨) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين ، باب في البعث والنشور ، وصفة
الأرض يوم القيامة (١٧ / ١٣٢ ، حديث ٦٩٨٧) ، وغيره .

(٣) شرح السنة للبرهاري (ص ٢٩ - ٣٠) .

في عقيدته : « ونؤمن . . . بالصراط »^(١) ، وقال ابن بطة إن من أصول الإيمان « الإيمان بالصراط »^(٢) ، وقال ابن أبي زمنين : « وأهل السنة يؤمنون بالصراط وأن الناس يمرّون عليه يوم القيامة على قدر أعمالهم »^(٣) ، وقال محمد بن القاضي أبي يعلى الحنبلي « ويجب الإيمان . . . بالصراط »^(٤) .

فمن جميع ما سبق ، نستخلص أنّ الإيمان بالصراط من الأمور الثابتة في الكتاب والسنة والإجماع ، ولا مجال لإنكاره .



(١) العقيدة الطحاوية - مع شرح ابن أبي العزّ (ص ٤٠٤) .

(٢) الشرح والإبانة لابن بطة (ص ٢٢١) .

(٣) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ١٦٨) .

(٤) كتاب الاعتقاد ، لمحمد الحنبلي (ص ٣٣) .

المبحث الثالث

مقالته في الميزان

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك .
المطلب الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها .

المطلب الأول

نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

أنكر جهنم الميزان ، فقال الملطي : « وأنكر جهنم الميزان »^(١) . وقال الملطي عن بعض الجهمية « ومنهم صنف أنكروا أن يكون لله ميزان يزن فيه الخلق أعمالهم ، وأنكروا الصراط أن يكون الله عزّ وجلّ يجيز على الصراط أحداً »^(٢) .

وذكر عبد القاهر البغدادي في كتابه (أصول الدين) فصلاً في إثبات الحوض^(٣) والصراط والميزان وسؤال الملكين في القبر ، ثم قال : « أنكر ذلك الجهمية »^(٤) .

(١) التنبيه والردّ (ص ١٠٦) .

(٢) نفس المصدر (ص ٩٧) .

(٣) لم أجد من نصّ على أنّ الجهم نفسه أنكر الحوض ، إلا قول البغدادي هذا عن (الجهمية) ، ثم لا يستبعد إنكاره من جهنم ، فمن أنكر عذاب القبر والصراط والميزان ، فلا غرابة أن ينكر الحوض .

(٤) أصول الدين (ص ٢٤٥) .

وتتفق هذه المقالة مع تعريفه للإيمان ، حيث عرّفه بأنه مجرد المعرفة .
وبهذا ، فليس هناك حاجة إلى موازين الحسنة والسيئة ، بل على قوله في
الإيمان ، لا حاجة إلى العمل أصلاً ، فما بين الرجل وبين دخوله الجنة
إلى أن (يعرف) الله تعالى بقلبه !

فبهذا ثبت أن الجهم بن صفوان أول من أنكر الميزان .

المطلب الثاني

نقد هذه المقالة والرد عليها

إنّ وضع الميزان يوم القيامة من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها ،
فبخبير الصادق المصدوق ، يجب الإيمان بجميع ما ورد عن أهوال يوم
القيامة ، لذا فما علينا في الرد على الجهم إلا سياق الأدلة من الكتاب
والسنة على إثبات ما أنكره هو .

وأما مبدؤه في (ردّ الوحي وتقديمه ما يزعم أنه العقل على النقل) فقد
تكلمنا عليه فيما سبق .

وقد ورد ذكر الميزان في القرآن في آيات عديدة ، من أصرحها قوله
تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَلَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .
وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴾ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا
يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٨-٩] .

كما ورد الميزان في السنة النبوية ، فمن الأحاديث المتفق عليها ما رواه
أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى
اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» (١) .

وفي الترمذي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَقَالَ : « أَنَا فَاعِلٌ » .

قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ ؟

قَالَ : « أَطْلُبُنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصُّرَاطِ » .

قَالَ : قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصُّرَاطِ ؟

قَالَ : « فَاطْلُبُنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ » .

قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ ؟

قَالَ : « فَاطْلُبُنِي عِنْدَ الْحَوْضِ ، فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ » (٢) .

كما أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْمَوَازِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ السَّلَفِ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي أَصُولِ السَّنَةِ : « وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ » (٣) ، وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السَّنَةِ بَاباً فِي إِثْبَاتِ الْمِيزَانِ (٤) ، وَقَالَ الْبَرْبَهَارِيُّ : « وَالْإِيمَانُ

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » (٥٤٧/١٣ ، حديث ٧٥٦٣) ، ومسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢١/١٧) ، حديث ٦٧٨٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الصراط (٦٢١/٤ ، حديث ٢٤٣٣) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . وقال الألباني في (تخريج المشكاة) : إن سنده جيد (٢٨/٣ حديث ٥٥٩٥) .

(٣) أصول السنة (ص ٥٤) .

(٤) السنة (٥٢٢/١ - ٥٢٦) .

بالميزان يوم القيامة ، يوزن فيه الخير والشر ، له كفتان وله لسان »^(١) ، وقال الطحاوي في عقيدته : « ونؤمن . . . بالميزان »^(٢) ، وقال ابن بطة إن من أصول الإيمان « الإيمان بالموازين »^(٣) ، وقال ابن أبي زمنين : « وأهل السنة يؤمنون بالميزان يوم القيامة »^(٤) ، وقال محمد بن القاضي أبي يعلى الحنبلي « ويجب الإيمان . . . بالموازين »^(٥) .

وقال السفاريني بعد إيراد أدلة الميزان من الكتاب والسنة وآثار السلف : « فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان ، كما قال ابن عباس والحسن البصري وصرح بذلك علماؤنا ، والأشعرية ، وغيرهم ، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر ، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه »^(٦) .



(١) شرح السنة (ص ٢٩-٣٠) .

(٢) العقيدة الطحاوية - مع شرح ابن أبي العز (ص ٤٠٤) .

(٣) الشرح والإبانة (ص ٢٢٢) .

(٤) أصول السنة (ص ١٦٢) .

(٥) كتاب الاعتقاد محمد الحنبلي (ص ٣٢) .

(٦) لوامع الأنوار البهية (١٨٥ / ٢) .

المبحث الرابع

مقالته في الشفاعة

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك .
المطلب الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها .

المطلب الأول

نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

نصّ الملطي على مقالة جهم بن صفوان في الشفاعة حيث قال : « وأنكر جهم الشفاعة ، وأنّ قوماً يخرجون من النار »^(١) . وقال عن بعض الجهمية « ومنهم صنف أنكروا . . . الشفاعة ، أن يشفع رسول الله ﷺ لأحد من أمته ، وأن يخرج الناس من النار بعد ما دخلوها »^(٢) .

ولم أجد غيره نصّ على مقالة جهم هذه ، كما أنّ الملطي لم ينصّ على أنّه هل أنكر جميع أنواع الشفاعة ، أو بعض أنواعها فقط . والذي أميل إليه ، والعلم عند الله تعالى ، أنّه أنكر شفاعة الموحّدين لقوم دخلوا النار أن يُخرجوا منها ، لذلك قال الملطي عقب حكايته لهذا الإنكار : « وأنّ قوماً يخرجون من النار » .

وإنكار الشفاعة يستلزم القول بخلود أهل النار في النار - كما هو مذهب الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم . وهذا ما نجده في نصّ الملطي السابق .

(١) التنبيه والردّ (ص ١٢٨) .

(٢) نفس المصدر (ص ٩٧) .

إلا أن قول الجهم مخالف تماماً لقول المعتزلة والخوارج في حقيقة الأمر ذلك أن الجهم بن صفوان من غلاة المرجئة ، وعرف الإيمان بأنه هو المعرفة ، وأن المؤمنين فيه سواء ، وأن الكفر هو الجهل فقط . لذلك فلا يتصور عنده أن يدخل الله أحداً من المؤمنين في النار أصلاً ، ولا أن يُعَذَّب المؤمن على ذنب ، إذ الأعمال عنده خارجة عن مسمى الإيمان . فإنكاره للشفاعة موافق تماماً لتعريفه للإيمان ، وليس له علاقة بمسألة الوعد والوعيد كما هو عند المعتزلة ، والله أعلم .

وروي بإسناد ضعيف أن أنس بن مالك رضي الله عنه أدرك أناساً يكذبون بالشفاعة ، ولكن لضعف إسناده لا نستطيع أن نعتمد عليه^(١) . لذلك فيكون الجهم بن صفوان أول من ثبت عنه إنكار الشفاعة من المنتسبين للإسلام .



(١) انظر : (ص ٦٦٨) من الرسالة .

المطلب الثاني

نقد هذه المقالة والرد عليها

إنَّ الشفاعة أمر ثابت في الكتاب والسنة ، وهي تكريم لله للشافع ، ورحمة للمشفوع ، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ، ولا تقبل الشفاعة إلا برضاه . قال تعالى : ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكًا فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] .

فهذان شرطان لازمان لقبول الشفاعة . والشفاعة أنواع وأقسام ، ليس هذا البحث موضع بسطها ؛ إذ الغرض هنا إثبات حقيقة الشفاعة ، وأنها واقعة بإذن الله تعالى . فقد ثبتت الشفاعة في الكتاب والسنة ، وأجمع أهل السنة على الإيمان بها .

وقد ذكر الله تعالى الشفاعة في كتابه في أكثر من عشرين موضعاً ، منها آية النجم التي سبق ، ومنها قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩] .

ويلاحظ أنَّ الشفاعة أكثر ما وردت في القرآن في سياق نفيها لغير مستحقيها ، فدلَّ بمفهوم الآيات على جوازها لمن يستحقها^(١) .

وأما الأحاديث فكثيرة ، منها ما اتفق عليه الشيخان من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ ، وَأَحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ ، وَلَمْ

(١) انظر : الشفاعة عند أهل السنة للجديع (ص ٢٤) .

تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً ^(١) .

ومنها ما رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً في حديث الشفاعة الطويل ، وفيه : « فَيُشْفَعُ النَّبِيُّ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتِي ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ اِمْتَحَشُوا » إلخ الحديث ^(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي » ^(٣) .

وقد عدّ السيوطي حديث الشفاعة من الأحاديث المتواترة ، وذكر أنه رواه اثنا عشر صحابياً ^(٤) .

(١) رواه البخاري في كتاب التيمم ، الباب الأول (١ / ٥١٩ ، حديث ٣٣٥) ، ومسلم في كتاب المساجد ، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً (٥ / ٦ ، حديث ١١٦٣) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة » ، (١٣ / ٤٣٠ ، حديث ٧٤٣٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (٣ / ٢٩ ، حديث ٤٥٣) .

(٣) رواه أبوداود في سننه ، كتاب السنة ، باب في الشفاعة (حديث ٤٧٣٩ ، ٤ / ٢٣٦) وسكت عنه ، ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب منه (٤ / ٦٣٥ ، حديث ٢٤٣٥) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . والحديث هذا في إسناده ضعف يسير ، ولكن له شاهد من حديث جابر رضي الله عنه في سنن ابن ماجه (كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة ، حديث ٤٣١٠) ، لذلك أشار الألباني إلى أن الحديث صحيح لغيره (انظر : تحقيقه لمشكاة المصابيح ، ٣ / ١٥٥٨ ، حديث ٥٥٩٩) .

(٤) قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة (ص ٣٠٣-٣٠٥) .

كما تواترت النقول عن أئمة السلف في إثبات الشفاعة ، فقال الإمام أحمد في أصول السنة : « والإيمان بشفاعة النبي ﷺ »^(١) ، وذكر ابن أبي عاصم في (السنة) باباً في إثبات الشفاعة^(٢) ، وقال الطحاوي في عقيدته « والشفاعة التي ادخرها لهم حق ، كما روي في الأخبار »^(٣) ، وقال ابن بطة إن من أصول الإيمان « الإيمان بالشفاعة »^(٤) ، وقال البربهاري : « والإيمان بشفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين الخاطئين »^(٥) . وقال ابن أبي زمنين : « وأهل السنة يؤمنون بالشفاعة »^(٦) ، وقال محمد بن القاضي أبي يعلى الحنبلي في كتابه الاعتقاد : « فأما المسيئون الموحدون فإنهم يخرجون منها - يعني النار - بالشفاعة »^(٧) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وسائر أئمة المسلمين ، الأربعة وغيرهم ، وأنكرها كثير من أهل البدع »^(٨) .
وأما مسألة إخراج الموحد من النار بعد أن دخلوها ، فهذا نوع من

(١) أصول السنة (ص ٥٧) .

(٢) انظر : السنة لابن أبي عاصم (١/٥٢٦-٥٩١) .

(٣) العقيدة الطحاوية - مع شرح ابن أبي العز (ص ٢٢٩) .

(٤) الشرح والإبانة لابن بطة (ص ٢٢٣) .

(٥) شرح السنة للبرهاري (ص ٣١) .

(٦) أصول السنة (ص ١٦٢) .

(٧) كتاب الاعتقاد لمحمد الحنبلي (ص ٣٤) .

(٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/١٤٨) .

أنواع الشفاعة ، فإذا أثبتنا الشفاعة ، أثبتنا أن الله جلّ وعلا يخرج من النار قوماً بعد أن كانوا فيها ، ولقد صرّحت بهذا بعض الأحاديث ، منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المخرّج آنفاً ، ومنها حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ : « لَيُصِيبَنَّ أَقْوَامًا سَفَعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةٌ ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ ، يُقَالُ لَهُمْ : الْجَهَنَّمِيُّونَ » (١) .



(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب ما جاء في قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) (١٣ / ٤٤٤ ، حديث ٧٤٥٠) .

افصل الثاني

أثر هذه المقالات في الفرق الإسلامية

وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بمقالته في عذاب القبر
- المبحث الثاني : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بمقالته في الصراط
- المبحث الثالث : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بمقالته في الميزان
- المبحث الرابع : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بمقالته في الشفاعة

المبحث الأول

أثر مقالته على المعتزلة ومن وافقهم في عذاب القبر

اشتهر بين كثير من طلبة العلم أَنَّ المعتزلة بصفة عامة ينكرون عذاب القبر . ومما أدى بهم إلى هذا القول صنيع بعض العلماء . فمثلاً عَمَّم أبو الحسن الأشعري وجعل جميع المعتزلة والخوارج من المنكرين لعذاب القبر^(١) . وقال ابن حزم إِنَّ إنكار عذاب القبر « . . . قول من لقينا من الخوارج »^(٢) .

أما عبد القادر الجيلاني فقال إِنَّ « . . . أكثرهم - يعني المعتزلة - نفوا عذاب القبر والميزان »^(٣) .

ولكن عند الرجوع إلى كتب القوم ، نجد خلافاً في المسألة . فمثلاً نجد القاضي عبد الجبار - وهو كما لا يخفى محقق مذهبهم - خصَّص لعذاب القبر فصلاً في كتابه (شرح الأصول الخمسة) ، ذكر فيه « . . . أَنَّهُ لا خلاف فيه [يعني في عذاب القبر] بين الأمة إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو ، وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة ، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا ويقول : إِنَّ المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به »^(٤) ، وأثبت حقيقة عذاب القبر بأدلة من الكتاب

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٤٣٠) .

(٢) الفصل (١١٧/٤)

(٣) الغنية (ص ١١٦) .

(٤) شرح الأصول الخمسة (ص ٧٣٠) .

والسنة ، غير أنه أوجب على الله أن يحيي الموتى قبل هذا العذاب ، وأن يخلق الله فيهم العقل ليحسن التعذيب ، وبين أننا لا ندري متى يقع هذا العذاب : أهوفي البرزخ أوبعده ؟^(١) .

وفي كتابه الآخر (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) بين أن جمهور المعتزلة يقطعون بعذاب القبر ، والبعض منهم لا ينكره ولكن لا يقطع به ، بمعنى أنه يجوزه ، ولم ينكره أحد إلا ضرار بن عمرو وهو - عند القاضي - ليس من المعتزلة^(٢) . فبهذا جعل أكثر المعتزلة من المثبتين لعذاب القبر ، إلا أنه خالف أهل السنة في بعض مسائله كما لا يخفى .

ونجد أن الزمخشري قد فسر بعض آيات الكتاب بأنها دالة على عذاب القبر ، منها قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الطور: ٤٧] ، حيث قال : « دون يوم القيامة ، وهو القتل ببدر ، والقحط سبع سنين ، وعذاب القبر »^(٣) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة: ١٠١] قال : « قيل : هما القتل وعذاب القبر . وقيل : الفضيحة وعذاب القبر »^(٤) .

والإباضية بصفة عامة أثبتوا عذاب القبر كذلك . قال صاحب (بهجة أنوار العقول) : « إن عذاب القبر مما تواترت به الأحاديث »^(٥) ، كما

(١) انظر : نفس المصدر (ص ٧٣٠-٧٣٢) .

(٢) انظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (ص ٢٠١-٢٠٢) .

(٣) الكشف (٤١٧/٤) .

(٤) الكشف (٢٩١/٢) .

(٥) بهجة أنوار العقول للسالمي (١١٤/١) - نقلاً عن : الإباضية عقيدة ومذهباً للطعيمة (ص ١٢٥) .

ورد في مسندهم (مسند الربيع بن حبيب) عدة أحاديث في عذاب القبر ، ومنكر ونكير^(١) . وقال صاحب (مشارق أنوار العقول)^(٢) :
ثم عذاب القبر مما جاء به تواتر الأخبار معني فانتبه واعتقدن صدقه ولا تحل تعذيب ميت لوجوه يحتمل وبالبيت الأخير يظهر أنهم وافقوا المعتزلة في اشتراط إحياء الموتى قبل تعذيبهم .

ولم يتبين لي موقف الزيدية من هذه المسألة^(٣) .
فيظهر من هذا أنّ عذاب القبر من الأمور المختلف فيها بين المعتزلة ، فجمهورهم أثبتوه - خلافاً لما نقل عنهم في بعض الكتب السنية - والبعض منهم أنكروه . أما الإباضية ، فالمشهور عنهم أنهم أثبتوه .



(١) انظر : مسند الإمام الربيع بن حبيب (١٣/٣ - ١٤) - نقلاً عن : الإباضية عقيدة ومذهباً للطعيمة (ص ١٢٥) .

(٢) مشارق أنوار العقول للسالمي (ص ٣٥٥) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفطي (ص ٣٨٤) .

(٣) ذلك لأنّ الكتب التي بين يديّ عنهم - وهي قليلة والله المستعان - لم تذكر موقفهم تجاه هذه القضية ، غير أنّ الأمير حسين بن بدر الدين الزيدي لم يذكر الإيمان بعذاب القبر في عقيدته لما تكلم عن بعض أحوال الآخرة . انظر : العقد الثمين في معرفة رب العالمين ، للأمير الأكويع (ص ٦١) .

المبحث الثاني

أثر مقالته على المعتزلة ومن وافقهم في الصراط

ذكر أبو الحسن الأشعري في (المقالات) أن الفرق الإسلامية « » .
 اختلفوا في الصراط ، فقال قائلون هو الطريق ، وليس كما وصفوه بأنه
 أحد من السيف وأدق من الشعر « (١) » ، ولكنه لم يذكر أسماء الفرق التي
 أولت الصراط إلى هذا المعنى . وكذلك السفاريني ، فذكر قول القاضي
 عبد الجبار في المسألة - وسيأتي نقله - ثم ذكر أن بعضهم ذهبوا إلى أن
 الصراط هو عبارة عن الأدلة الواضحة ، ولم يذكر أسماءهم (٢) .

أما حافظ الحكمي ، فعمم وقال : « قد أنكر الصراط والمرور عليه أهل
 البدعة والهوى من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ، وتأولوا الورود
 برؤية النار ، لا أنه الدخول والمرور على ظهرها ، وذلك لاعتقادهم أن
 من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة . . . » (٣) .

غير أننا عند الرجوع إلى كتبهم ، نجد أن هذا التعميم ليس بدقيق .
 قال القاضي عبد الجبار « ومن جملة ما يجب الإقرار به : الصراط ،
 وهو طريق بين الجنة والنار ، يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار
 إذا راموا المرور عليه فلسنا نقول في الصراط ما يقوله الحشوية من
 أن ذلك أدق من الشعر وأحد من السيف ، وأن المكلفين يكلفون اجتيازه
 والمرور به فإن تلك الدار ليست بدار تكليف حتى يصح إيلام

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٤٧٢) .

(٢) انظر : لوايح الأنوار (١٩١/٢) .

(٣) انظر : معارج القبول (٨٥٦/٢) .

المؤمن وتكليفه المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحدة . . . » ثم بين أن بعض مشايخ المعتزلة ذهبوا إلى أن الصراط « . . . إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار » ولكنه ضعف هذا التفسير فقال « وذلك ممّا لا وجه له ، لأنّ فيه حملاً لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره ، وقد كررنا القول في أن كلام الله تعالى مهما أمكن حملة على الحقيقة فذلك هو الواجب دون أن يصرف عنه إلى المجاز »^(١) .

وذكر في كتاب آخر : « فإن قيل : أفصح ما يذكر في الصراط ؟ قيل له : أما على ما تقوله العامة في وصفه ، وعلى ما تقول في بعض الأخبار ، فلا يصحّ ذلك ، وإنما الذي يصحّ أن يكون طريقاً لأهل الجنة والنار بعد المحاسبة » ، وأنكر صراحة أن يكون الصراط أدقّ من الشعر وأحد من السيف^(٢) .

وذكر الزمخشري قول بعض السلف في أن (الورود) في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مریم: ٧١] هو الورود على الصراط لأنّ الصراط ممدود على جهنّم ، ولم يعلّق على هذا القول ، إلا أنّه رجّح في نهاية البحث - بعد ذكر عدّة تفاسير محتملة - أن القول الصحيح هو أن الورود الجثو حول جهنّم^(٣) . فلو كان من النافين لحقيقة الصراط ، لما ذكر

(١) شرح الأصول الخمسة (ص ٧٣٧-٧٣٨) .

(٢) انظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (ص ٢٠٥-٢٠٦) .

(٣) انظر : الكشف (٣/٣٦) .

الاحتمال أصلاً ، أو على الأقل ردّ عليه ، كما هي عادته في تفسير الآيات التي تخالف أقوال المعتزلة .

فثبت بهذا أنّ بعض أئمة المعتزلة أنكروا حقيقة الصراط ، والبعض الآخر منهم - مثل القاضي عبد الجبار - أثبتوا صراطاً حقيقياً ، ولكنهم لم يثبتوه على صفاته المذكورة في الأحاديث .

أما الإباضية ، فأكثرهم أثبت الصراط وأنه جسر يوضع على جهنم ، بل وبعضهم أثبت صفاته الواردة في السنة^(١) . بيد أنّ البعض الآخر - مثل السالمي - نفى حقيقة الصراط ، وقال إنه الطريق الواضح والدين المستقيم ، وأول الأحاديث الواردة في صفته^(٢) . وكذلك أوله صاحب كتاب (معالم الدين) ، وأنكر أن يكون هناك صراط حقيقي على جهنم^(٣) .

ولم يتبين لي موقف الزيدية والرافضة من هذه المسألة^(٤) .

(١) منهم أبوقاسم البرادي وغيره . انظر : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٣٨٧) .

(٢) انظر : مشارق أنوار العقول (ص ٢٨٢) - نقلاً عن : الإباضية عقيدة ومذهباً للطعيمة (ص ١٢٦) . وانظر كذلك : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية للبدوي (ص ٢٠٤) .

(٣) انظر : الحياة الآخرة للعواجي (ص ١٢٨١) ، حيث نقل عنه هذا الكلام .

(٤) للسبب الذي ذكرته من قبل . ويلاحظ أنّ الأمير حسين بن بدر الدين الزيدي لم يذكر الإيمان بالصراط في عقيدته لما تكلم عن بعض أحوال الآخرة . انظر : العقد الثمين في معرفة رب العالمين ، للأمير الأكوخ (ص ٦١) .

المبحث الثالث

أثر مقالته على المعتزلة ومن وافقهم في الميزان

أطلق أبو الحسن الأشعري أن جميع أهل البدع أنكروا الموازين ، وفسر قول المعتزلة فقال : « وحقيقة قول المعتزلة في الموازنة أن الحسنات تكون محبطة للسيئات وتكون أعظم منها ، وأن السيئات تكون محبطة للحسنات وتكون أعظم منها »^(١) . ولكن قال عبد القادر الجيلاني عن المعتزلة : « وأكثرهم نفوا عذاب القبر والميزان »^(٢) .

بيد أننا إذا رجعنا إلى كتبهم ، نجد أن المحققين منهم أثبتوا حقيقة الموازين . قال القاضي عبد الجبار ، بعد أن ذكر جملة من أحوال يوم القيامة ، منها الموازين : « وجملة ذلك أن كل هذه الأمور حق يجب اعتقاده والإقرار به . . . » ولقد صرح الله تعالى بوضع الموازين يوم القيامة « ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه ، المتعارف فيما بيننا ، دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس . . . » ولا شك أن لفظ (الميزان) ورد في القرآن بمعنى العدل ، ولكن « . . . كلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز . يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان الميزان إنما هو العدل ، لكان لا يثبت الثقل والخفة فيه معنى ، فدلّ على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما يشتمل عليه الموازين فيما بيننا »^(٣) .

وفي كتابه الآخر قال : « إن أكثر أهل العدل يثبتون الموازين

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٤٧٣) .

(٢) الغنية (ص ١١٦) .

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص ٧٣٤-٧٣٥) .

ولا ينكرونها ، كما نطق به الكتاب ، وإنما أنكره بعضهم » ، وجوز أن توزن الأعمال الحسنة والسيئة وزناً حقيقياً^(١) .

وسأل الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] « فإن قلت : ما المراد بوضع الموازين ؟ قلت : فيه قولان : أحدهما : إرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والإنصاف . . . والثاني : أنه توضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال »^(٢) ، ثم لم يرجح بين هذين القولين ، ولكنه ذكر بعض الآثار الواردة في الميزان ، فكأنه يميل إلى إثبات حقيقته .

وقد ذهب أكثر الإباضية إلى أن الميزان هو تمييز الأعمال وتفصيلها ، وأولوا الآيات والأحاديث الواردة في صفته ، حيث قالوا إن الأعمال أعراض وليست أجساماً فلا يمكن حمل النصوص على ظاهرها^(٣) .

وقال أحد أئمتهم : « وإنما المراد عندنا وعند معظم المعتزلة من الميزان ، اعتبار الحسنات وتمييزها عن غيرها ، والعدل الذي وضعه عزّ وعلا بين خلقه » ، ثم علّل كلامه بأن الميزان يحتاجه من لا يعرف مقادير الأشياء ، والله عالم بها^(٤) .

(١) انظر : فضل الاعتزال (ص ٢٠٤) ، و : متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (٢٤٧ / ١) .

(٢) الكشف (١٢١ / ٢٣) . وانظر كذلك (٨٥ / ٢) عند تفسيره للآية التاسعة من سورة الأعراف .

(٣) انظر : الإباضية عقيدة ومذهباً للطعيمة (ص ١٢٦) ، و : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية للبديوي (ص ٢٠٤) .

(٤) معالم الدين للمصعبي (١٩١ / ٢) - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٣٨٥) .

أما الزيدية فقد أثبتوا الموازين ، فقال الأمير حسين بن بدر الدين في عقيدته : « وأدين الله تعالى . . . بالحشر للعرض المشهور ، والإشهاد على الأعمال بغير زور ، ووضع الموازين ، وأخذ الكتب بالشمال واليمين . . . »^(١) .

إذاً إنَّ بعض المعتزلة والإباضية أنكروا حقيقة الميزان ، والبعض منهم أثبتته .

ونختم الكلام في هذه القضية بنقل كلام ابن أبي العز الحنفي إذ قال : « فعلينا الإيمان بالغيب ، كما أخبرنا الصادق عليه السلام ، من غير زيادة ولا نقصان . ويا خيبة من ينفي وضع الميزان القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع ، لخفاء الحكمة عليه ، ويقدر في النصوص بقوله : لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال ! وما أحرأه بأن يكون من الذين لا يقيم الله تعالى لهم يوم القيامة وزناً . ولولم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده ، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين . فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع عليه ؟ »^(٢) .



(١) العقد الثمين في معرفة رب العالمين ، للأمير الأكموع (ص ٦١)

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤١٩) .

المبحث الرابع

أثر مقالته على المعتزلة ومن وافقهم في الشفاعة

وجدنا فيما سبق أَنَّ المعتزلة ومن تبعهم اختلفوا في مسائل عذاب القبر والميزان والصراط ، ولكنهم - كلهم - أجمعوا على إنكار الشفاعة لعصاة الموحدين . كما أنهم أجمعوا على إنكار أن يخرج أحد من النار بعد أن دخلها ، وحملوا الأحاديث الواردة في الشفاعة على رفع درجات أهل الجنة ، أو على التائبين من أهل الكبائر .

قال القاضي عبد الجبار : « لا خلاف بين الأمة في أَنَّ شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة ، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن ؟ فعندنا أَنَّ الشفاعة للتائبين من المؤمنين ، وعند المرجئة أنها للفساق من أهل الصلاة »^(١) . واستدل على رأيه هذا بأدلة تثبت - على حدّ زعمه - أَنَّ الفسقة خالدون مخلّدون في النار « فقد دلت الدلالة على أَنَّ العقوبة تستحق على طريق الدوام ، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي ﷺ والحال ما تقدّم ؟ »^(٢) . وأما الأدلة التي تدلّ على عكس ذلك ، فإما أحاديث آحاد لا يصح الاحتجاج به ، أو أنها تحمل على أهل الكبائر إن تابوا^(٣) .

وقال في كتاب آخر : « ونزعم أَنَّ من أنكرها - يعني الشفاعة - فقد أخطأ الخطأ العظيم ، لكننا نقول لأهل الثواب دون أهل العقاب »^(٤) .

(١) شرح الأصول الخمسة (ص ٦٨٨) .

(٢) نفس المصدر (ص ٦٨٩) .

(٣) انظر : نفس المصدر (ص ٦٩١) .

(٤) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (ص ٢٠٧) .

ولقد وافقت الإباضية المعتزلة في هذا الباب كعادتهم ، فأثبتوا شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة لأمته قبل دخولهم الجنة ، ولكنهم خصّصوا هذه الشفاعة للمؤمنين - ويعنون بذلك الذين لم يلتبسوا بالكبائر ؛ إذ أهل الكبائر ليسوا بمؤمنين على قولهم . يقول أحدهم عن الشفاعة : « إنها عند أصحابنا إنما تكون في المحشر قبل دخول الكفار وعصاة الموحدين النار وهي مخزونة لا ينالها نبي مرسل ولا ملك مقرب ، حتى يأتيها سيدنا محمد ﷺ وهي المقام المحمود الذي وعده الله عز وجل ، ويحمده به الأولون والآخرون لفتحته إياه لهم بعد كونه مغلوقة لا يصل إليه أحد »^(١) .

وقد يغترّ القارئ بهذا الكلام إذ لم ينف صاحبه الشفاعة صراحة لأهل الكبائر ، ولكن إذا تأملنا النص ، نجد أنّ صاحبه صرح بأنّ عصاة الموحدين سيدخلون النار ، ثم ذكر شفاعة النبي ﷺ في فتح باب الجنة ، ولم يذكر أنّ عصاة الموحدين سيدخلونها ، بمعنى أنّ شفاعة النبي ﷺ مقتصرة في طلبه ربّه بفتح باب الجنة ومن ثمّ إدخال المؤمنين فيها . وتتأكد هذه العقيدة عند الرجوع إلى مسندهم (مسند الربيع بن حبيب) حيث ساق مؤلفه أحاديث كثيرة تنفي الشفاعة لأهل الكبائر ، منها حديث جابر مرفوعاً : « ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي »^(٢) .

(١) قناطر الخيرات للجيلاطي (٣٢٠/١) - نقلاً عن : الإباضية عقيدة ومذهباً للطعيمة (ص ١٦٣) . وانظر كذلك : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية للبدوي (ص ٢٠٤) .

(٢) مسند الربيع بن حبيب (٢٢/٤) - نقلاً عن : الإباضية عقيدة ومذهباً للطعيمة (ص ١٦٤) . ويلاحظ أنّ حديث جابر في سنن ابن ماجه (كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة ، حديث ٤٣١٠) على عكس هذا تماماً .

وقال صاحب (جوهر النظام) (١) :

ومن يت على الكبير عذبا وذلك في القرآن حكماً وجباً
ليس له شفاعاة من أحد من الورى حتى النبي أحمد
لكنه في النار قطعاً يخلد فهوبها معذب مؤبد
كما ذهب الزيدية إلى إنكار الشفاعاة لعصاة الموحدين ، واستدلوا بقوله
تعالى ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] . (٢) . وقال
الأمير حسين بن بدر الدين : « فصل : فإن قيل : ما تقول في الشفاعاة
فقل : أدين الله تعالى بثبوتها يوم الدين ، وإنما تكون خاصة للمؤمنين ،
دون من مات مصرأً من المجرمين على الكبائر ، ليزيد نعيماً إلى نعيمهم
وسروراً إلى سرورهم ، ولمن ورد العرض وقد استوت حسناته وسيئاته ،
فيشفع له النبي ﷺ ليرقى درجة غير المكلفين في الصبيان والمجانين .
وإنما قلنا إنه لا بد من ثبوتها لقوله تعالى ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا
مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] ، قيل : هو الشفاعاة . وقال ﷺ « من كذب
بالشفاعة لم ينلها يوم القيامة » . وأما أنها تكون لمن ذكرناها فلقوله
تعالى ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] ، ما للظالمين
من أنصار ، وقول النبي ﷺ « ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » ،
وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، كل ذلك يدل
على ما قلنا » (٣) . وقال في موضع آخر : « فصل : فإن قيل : ماذا تدين به

(١) الجوهر النظام للسالمي (ص ١٢) .

(٢) انظر : الزيدية : نشأتها ومعتقداتها ، للقاضي الأكوخ (ص ٥٩) .

(٣) العقد الثمين في معرفة رب العالمين ، للأمير الأكوخ (ص ٦٢-٦٣) .

في أهل الكبائر سوى أهل الكفر ، فقل : أسميهم فساقاً . . . وأدين الله تعالى بأنهم متى ماتوا مصرّين على الكبائر فإنهم يدخلون نار جهنم ويخلدون فيها أبداً ، لا يخرجون في حالٍ من الأحوال ^(١) .

كما فصل الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى أدلة الزيدية في نفي الشفاعة لأهل الكبائر في كتابه الضخم (الدرر الفرائد في شرح كتاب القلائد) ، وبين أن الشفاعة - عندهم - مقتصرة على الصالحين دون الفاسقين ، والأدلة التي يستدل بها أهل السنة على جواز الشفاعة للفاسقين إنما هي في حق الفاسق التائب ^(٢) .

وفي متهم المشهور بـ (الثلاثين مسألة) نصّ على « . . . أن شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ثابتة قاطعة ، ولا تكون إلا لمن يدخل الجنة ، فيزيدهم الله نعيماً على نعيمهم وسروراً إلى سرورهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] ، ولا شك أن الفاسق ظالم بلا خلاف بين أمة محمد فلا يجوز أن يشفع النبي ﷺ لأحد من الفساق ، وإذا لم يجز أن يشفع لهم ، لم تبق الشفاعة إلا للمؤمنين ^(٣) .

والزيدية يؤمنون أن « . . . من مات كافراً أو عاصياً لم يتب فهو من

(١) العقد الثمين في معرفة رب العالمين ، للأمير الأکوع (ص ٥٧)

(٢) انظر : الدرر الفرائد في شرح كتاب القلائد (ج ٢ ، ورقة ٧٥ ب وما بعدها) ، نقلاً عن : الإمام المهدي أحمد ابن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي للكمالي (ص ٤٠١-٤٠٧) .

(٣) الثلاثون مسألة للدصاص (س ٢٠) .

أصحاب السعير خالداً فيها أبداً»^(١) .

وقد فرّق بعض الباحثين بين مقالة الجهمية والمعتزلة ، فقال : « تنكر الجهمية الشفاعة مطلقاً ، سواء أكانت لرفع الدرجات في الجنة أم لإخراج العصاة من النار ، وهم بذلك يخالفون أهل السنة والمعتزلة والزيدية والخوارج ، ويعرضون إعراضاً كاملاً عما ورد في إثباتها من نصوص »^(٢) . ويمكن أن نستنبط أصلاً لهذا القول من كلام بعض الجهمية حيث نقل الملطي عنهم « ومنهم صنف أنكروا . . . الشفاعة ، أن يشفع رسول الله ﷺ لأحد من أمته ، وأن يخرج الناس من النار بعد ما دخلوها »^(٣) . فقولهم (أن يشفع لأحد من أمته) يؤخذ منه نفي جميع أنواع الشفاعة ، إلا أن هذا القول أثر عن (بعض الجهمية) ولم يؤثر عن جهم بن صفوان نفسه ، فالله أعلم بالصواب .

ولئن وافقت الخوارج والمعتزلة والزيدية جهم بن صفوان في هذه المسألة ، فقد خالفه في هذا الأصل الرافضة ، حيث فتحوا باب الشفاعة لجميع آل البيت ، وهي خاصة للشيعة ومقبولة حتماً عندهم^(٤) .



(١) الزيدية : نظرية وتطبيق لشرف الدين (ص ٧٦) .

(٢) الحياة الآخرة للعواجي (٣٥٨/١) .

(٣) التنبيه والردّ (ص ٩٧) .

(٤) انظر : الحياة الآخرة للعواجي (٣٥٩-٣٦٦) .

الخلاصة

إنّ جهنم بن صفوان هو أول من أنكر عذاب القبر ، والصراط ، والميزان ، ولقد وافقه على هذا بعض طوائف المعتزلة والإباضية والزيدية .

وهو أيضاً أول من أنكر الشفاعة ، إلا أنّه أنكرها بالكلية ، والمعتزلة ومن اتبعهم أنكروا حقيقتها وقصروها على الموحدين فقط .



آباء السادة

أثر مقالة في القدر في الفرق الإسلامية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : مقالته في القدر

الفصل الثاني : أثر هذه المقالة في الفرق الإسلامية

الفصل الأول مقالته في القدر

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

المبحث الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها

المبحث الأول

نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

وفيه خمسة مطالب :

- المطلب الأول : بيان مقالة جهم في القدر .
- المطلب الثاني : المسائل التي أثرت على جهم في قوله في القدر
- المطلب الثالث : نشأة القول بالقدر في الإسلام .
- المطلب الرابع : منشأ قول جهم في القدر .
- المطلب الخامس : أدلة قول جهم في هذه المسألة .

المطلب الأول

بيان مقالة جهم في القدر

استفاض قول جهم في مسألة الجبر بين جميع علماء المقالات ، حتى أصبح علماً عليه ، فلا تكاد تجد كتاباً في المقالات إلا وينصّ على عقيدته في الجبر . وإليك بعض هذه النقول .

قال أبو الحسن الأشعري : « الذي تفرد به جهم القول . . . أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده وأنه هو الفاعل ، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز ، كما يقال : تحركت الشجرة ، ودار الفلك ، وزالت الشمس ، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه ، إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل وخلق له إرادة للفعل واختياراً له منفرداً له بذلك ، كما خلق له طولاً كان به طويلاً ، ولوناً كان به متلوناً . . . »^(١) .

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٢٧٩) .

وقال : « وحكى زرقان عن الجهم أنه كان يقول . . . لا فاعل إلا الله عز وجل » (١) .

وقال عبد القاهر البغدادي : « الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعة كلها ، وقال : لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز ، كما يقال : زالت الشمس ، ودارت الرحي ، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفنا به » (٢) .

وقال ابن حزم : « اختلف الناس في هذا الباب [يعني في القدر] ، فذهبت طائفة إلى أنّ الإنسان مجبر على أفعاله وأنه لا استطاعة أصلاً له ، وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الأزارقة » (٣) .

وحكى الشهرستاني بعض مقالاته فقال : « منها قوله في القدرة الحادثة أن الإنسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله ، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وينسب إليه الأفعال مجازاً كما ينسب إلى الجمادات ، كما يقال : أثمرت الشجرة ، وجرى الماء ، وتحرك الحجر ، وطلعت الشمس ، وغربت ، وتغيّمت السماء ، وأمطرت ، وأزهرت الأرض ، وأنبتت إلى غير ذلك . والثواب والعقاب جبر كما أنّ الأفعال جبر . قال : وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان

(١) نفس المصدر (ص ٥٨٩) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص ١٩٤) .

(٣) الفصل (٣٣ / ٣) .

جبراً . . . وهو من الجبرية الخالصة» (١) .

وقال عبد القادر الجيلاني : « تفرّد جهنم بن صفوان بأنّ الإنسان إنما ينسب إليه ما يظهر منه على المجاز لا على الحقيقة ، كما يقال : طالت النخلة ، وأدركت الثمرة » (٢) .

وذكر الرازي جهماً ضمن الفرق الجبرية وقال : « وكان من قوله إن العبد ليس قادراً البتّة » (٣) .

وحكى المطرزي أنّ جهماً كان يقول « إنه لا فعل لأحد على الحقيقة إلا الله تعالى ، وأن العباد فيما ينسب إليهم من الأفعال كالشجرة تحركها الريح ، فالإنسان عنده لا يقدر على شيء ، إنما هو مجبر في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في الجمادات وتنسب إليه مجازاً كما تنسب إليها » (٤) .

وذكر الصفدي ترجمته فقال : « جهنم بن صفوان ، رأس الجهمية ، الذين ينسبون إليه من المجبرة . ذهب إلى أن الإنسان لا يوصف بالاستطاعة على الفعل ، بل هو مجبور بما يخلقه الله تعالى من الأفعال على حسب ما يخلقه في سائر الجمادات ، وأن نسبة الفعل إليه إنما هو بطريق المجاز ، كما يقال جرى الماء وطلعت الشمس وتغيّمت السماء ، إلى غير ذلك . . . والثواب والعقاب والتكليف جبر كما أن

(١) الملل والنحل (١ / ٧٣) .

(٢) الغنية (ص ١١٧) .

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١٠٤) .

(٤) المغرب في ترتيب المغرب (١ / ١٧١) .

أفعال العباد جبر» (١) .

وأنشد ابن القيم (٢) :

والعبد عندهم فليس بفاعل بل فعله كتحرك الرجفان
وهبوب ريح أو تحرك نائم وتحرك الأشجار للميلان
والله يصليه على ما ليس من أفعاله حرّ الحميم الآن
لكن يعاقبه على أفعاله فيه تعالى الله ذو الإحسان
كما جاء وصف عقيدته في القدر بشيء من التفصيل في بعض كتب
المعتزلة . قال القاضي عبد الجبار : « اعلم أنَّ المعقول من المذاهب التي
تخالف قولنا في المخلوق هو قول جهم ، لأنّه لم يعلّق هذا الفعل بالواحد
مّا على وجه الحقيقة ، بل جعل العبد فاعلاً له على وجه المجاز ، وأجراه
مجرى إضافة الإحراق إلى النار ، ومجرى إضافة اللون إلى المَلُون ،
وأخرج الواحد مّا من كونه قادراً على الحقيقة ، وجعل وصفه بذلك مقيداً
لكونه حياً يصح أن يريد ويكره ، وقال : إنّما تفارق التصرفات المضافة إلى
العبد الألوان وغيرها من حيث إنّهُ تعالى يبتدي اللون من دون أمر معه ،
ويفعل الحركة مع الإرادة ، فيخلقهما جميعاً . . . » (٣) .

وقال صاحب كتاب (الحور العين) أنّ جهماً كان يقول « » . أنّه لا
فعل لأحدٍ على الحقيقة إلا الله تعالى ، وإنّ الخلق فيما ينسب إليهم من
الأفعال كالشجرة تحركها الريح ، إلا أنّ الله تعالى خلق في الإنسان قوة

(١) الوافي بالوفيات (١٦٠/١١ - ١٦١) .

(٢) نونية ابن القيم - مع شرح الهزاس (٢٦/١) .

(٣) المحيط بالتكليف (ص ٣٦٣) .

بها كان الفعل ، وخلق فيه إرادة الفعل واختياره ، كما خلق فيه سروراً بذلك وشهوة له « (١) .

إذاً ، نستخلص من هذه النقولات ما يلي (٢) :

- ١ (أن جهنم بن صفوان قال بالجبر ، بمعنى أن الإنسان مضطر إلى عمله .
- ٢ (أن الله تعالى هو خالق أفعال العباد ، ولا خالق ولا فاعل غير الله .
- ٣ (أن الإنسان لا يوصف بالاستطاعة ، فليس لديه اختيار ولا مشيئة ولا قدرة ولا إرادة أصلاً .

٤ (أن الأعمال لا تنسب إلى فاعليها إلا عن طريق المجاز ، كما تنسب الحركات إلى الجمادات .

٥ (الفرق بين الإنسان والجمادات عنده أن الله يخلق في الإنسان قوة تكون بها الفعل ، ويخلق فيه إرادة واختياراً بها يريد ويختار الفعل ، ويخلق له سروراً به يسرّ بالفعل ، كما خلق له طويلاً كان به طويلاً ، ولوناً كان به متلوناً . فغاية الفرق بين الإنسان والجمادات إثبات قدر واختيار زائد للإنسان ، هي بمنزلة اللون والطول ، أي خارج عن مشيئة الإنسان .



(١) الحور العين للحميري (ص ٢٥٦) .

(٢) علاوة على هذه النقاط ، فإن جهنماً قد أنكر علم الله السابق ، الذي هو أحد أركان الإيمان بالقدر كما سنبينه . ولقد أفردت لهذه المسألة - أعني إنكاره العلم السابق - فصلاً خاصاً ، فليراجع (انظر : ص ٨٢٥) .

المطلب الثاني

المسائل التي أثرت على جهنم في قوله في القدر

من أهم ما أدى به إلى هذا القول هو مبالغته في نفي التشبيه بين الله وبين الخلق ، بحيث نفى كل صفة موجودة في الخلق عن الله ، وكذلك نفى كل صفة موجودة في الله عن الخلق .

وقد نبه ابن حزم على هذا التأثير حيث قال عن الجبرية : « فقالوا : لما كان الله تعالى فعالاً وكان لا يشبهه أحد من خلقه ، وجب أن لا يكون أحد فعالاً غيره »^(١) . وقد تكلمنا عن مقالته في الصفات ، والرد عليها ، في مبحث سابق^(٢) .

إلا أنني أعني بهذا العنوان المسائل المتعلقة بباب القدر ، وهي - حسب ما وقفت عليه - مسائل سبع وجدت للجهنم فيها قولاً . ولم أفصل القول في هذه المسائل ، بذكر قول كل فرقة بالتفصيل ، وأدلتهم ، والرد عليها ، لسببين : الأول : أن هذا الأمر يطول ذكره جداً كما لا يخفى ، بل لا أكون مبالغاً لو قلت إن أكثر هذه المسائل تستحق دراسة كاملة بمفردها^(٣) .

(١) الفصل (٢٢/٣) .

(٢) انظر : (ص ٣٨٣) وما بعدها .

(٣) كما قد فعل بعض الباحثين في رسائل جامعية مختلفة ، منها مسألة (الحكمة والتعليل) ، فقد أخذها كرسالة جامعية الباحث : محمد المدخلي ، وكذلك مسألة (التكليف بما لا يطاق في القضاء والقدر) ، فقد كتب فيها الباحث : أحمد بن علي العال . ولقد بحث أكثر هذه المسائل الباحث : محمد عبد القادر في رسالته : (المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين) =

والسبب الثاني : أنني لم أقف على ما استدلل به جهنم لهذه الأقوال ، فلا يمكن الرد عليها بالتفصيل ، ولقد اكتفيت ببيان الحق في هذه المسائل مع أدلتها في المبحث الثاني من هذا الفصل . وأما في هذا المطلب ، فركزت على بيان قول جهنم بن صفوان فيها ، وبيان موجز حول علاقة المسألة بالقضاء والقدر .

أولاً : إنكار الحكمة والتعليل

إن مسألة الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى من المسائل المختلف فيها بين الفرق الإسلامية ، فالمعتزلة أفرطوا في تحقيقها حتى وصل الأمر بهم إلى إنكار خلق أفعال العباد ، ظناً منهم أن ذلك يكون ظلماً من قبل الله تعالى . وفرط جهنم بن صفوان والأشاعرة فأنكروا الحكمة والتعليل بالكلية لكي يسلبوا من العباد المشيئة ، فإن سئلوا : كيف يكلف الله العباد ثم يعذبهم ، مع أنه جبرهم على الأعمال ؟ قالوا : إن الله يفعل ما يشاء ، وليس لأفعاله غاية ولا فعل شيئاً لحكمة أو مصلحة . وأما أهل السنة ، فتوسطوا في هذه المسألة ، وفصلوا في الأمر ، كما سنبين مذهبهم إن شاء الله في المبحث القادم .

ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع إنكار جهنم بن صفوان الحكمة في أفعال الله ، فقال : « والجهنم بن صفوان ومن اتبعه ينكرون حكمته ورحمته ، ويقولون : ليس في أفعاله وأوامره لام كي ، لا

= وبحث بعضها الباحث : خالد عبد اللطيف محمد نور في رسالته للدكتوراه (مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه) ، وغير ذلك من الرسائل والأبحاث .

يفعل شيئاً لشيء ، ولا يأمر بشيء لشيء «^(١) . كما ذكر أنه هو الذي أصّل هذا القول^(٢) .

وقال أيضاً : « وكذلك الحكمة ، أجمع المسلمون على أنّ الله تعالى موصوف بالحكمة ، لكن تنازعوا في تفسير ذلك . فقالت طائفة : الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذي أراده ، ولم يثبتوا إلا العلم والإرادة والقدرة . وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم : بل هو حكيم في خلقه وأمره ، والحكمة ليست مطلق المشيئة . . . بل الحكمة تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة . . . وأصحاب القول الأول ، كجهم بن صفوان وموافقيه ، كالأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، يقولون : ليس في القرآن لام التعليل في أفعال الله ، بل ليس فيه إلا لام العاقبة . . . »^(٣) .

كما بيّن رحمه الله أنّ جهماً كان ينكر أن يكون الله أرحم الراحمين ويقول : (بل يفعل ما يشاء) ، بمعنى أنّه يرجّح أحد المتماثلين بلا سبب ، وأنّ معنى (الحكيم) عنده هو مجرد العلم أو القدرة ، وكان جهم يخرج إلى الجذمي ويقول : أرحم الراحمين يفعل مثل هذا بهؤلاء ؟^(٤) . وكان يقول

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٦٦ / ٨) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٨ / ٨) .

(٣) انظر : منهاج السنة (١ / ١٤١ - ١٤٣) ، و : الردّ على من قال بفناء الجنة والنار لابن تيمية (ص ٨٣) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٦٠ / ٨) .

إنَّ الله أمر عباده بأنواع من العبادات لا لحكمة مطلوبة ولا لسبب ، بل لمحض المشيئة^(١) .

وعلق ابن القيم على قول جهنم عند رؤيته للجذمي بقوله : « يعني أنه ليس ثم رحمة في الحقيقة ، وأنَّ الأمر راجع إلى محض المشيئة الخالية عن الحكمة والرحمة ، ولا حكمة عنده ولا رحمة ، فإنَّ الرحمة لا تعقل إلا من فعل من يفعل الشيء لرحمة غيره ونفعه والإحسان إليه ، فإذا لم يفعل لغرض ولا غاية ولا حكمة ، لم يفعل الرحمة والإحسان »^(٢) .
وأشد ابن القيم^(٣) :

وكذاك قالوا ما له من حكمة هي غاية للأمر والإتقان ما ثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل بلا رجحان فثبت بهذا أنَّ جهنم بن صفوان هو أوَّل من أنكر الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى من المنتسبين إلى الإسلام ، علماً بأنَّ هذا هو قول الفلاسفة قبله ، سواء بسواء^(٤) .

(١) انظر : الجواب الصحيح (٤٠/٢) ، و (٥٢٢/٦) .

(٢) شفاء العليل (١١٩/٢) .

(٣) نونية ابن القيم - مع شرح الهزاس (٢٦/١) .

(٤) سئل أرسطو: (إذا كان الإله لم يزل ، ولا شيء غيره ، ثم أحدث العالم ، فلم أحدثه؟) فأجاب : « (لِمَ) غير جائزة عليه ، لأنَّ (لِمَ) يقتضي العلة ، والعلة محمولة فيما هي علة له من معلِّ فوقه ، ولا علة فوقه ، وليس بمركب فتحيل ذاته العلل ، ف (لِمَ) عنه منفية » . انظر : الملل والنحل للشهرستاني (ص ٤٦٥) ، بتصرف يسير .

ثانياً : التحسين والتقبيح العقليين

إنَّ مسألة (التحسين والتقبيح العقليين) لها علاقة وثيقة بالحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ، فإنها ناتجة عنها . ومن أنكر التحسين والتقبيح ، أذاه إلى القول بأنَّ الثواب من الله ليس جزاء على فعل الطاعات ، وأنَّ العقاب ليس جزاء على فعل المحرّمات ، فلا شيء واجب على الله . وبهذا استطاع هؤلاء أن يقولوا إنَّ العباد ليسوا بفاعلين على الحقيقة ، ومع ذلك يستحقون الثواب أو العقاب ^(١) .

نقل شيخ الإسلام عن جهم أنّه أول من قال إنَّ الله جلا وعلا « لا يفعل لحكمة ، ولا في الأفعال المأمور بها ما لأجله كانت حسنة ، ولا المنهي عنها ما لأجله كانت سيئة » ^(٢) . وقال إنَّ جهماً كان لا يثبت حسناً ولا قبيحاً إلا بالأمر والنهي ^(٣) ، وأنّه كان يقول إنَّ حُسن التوحيد والصدق ، وقُبْح الظلم والشرك والكذب لا يعرف إلا بالشرع ، لا العقل ^(٤) .

وقد يُظنَّ أنَّ هذا النقل يتعارض مع ما نقله الشهرستاني عنه إذ قال إنَّ جهماً « موافق للمعتزلة في . . . إيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع » ^(٥) . ونقل الصفدي هذا أيضاً إذ قال : « ووافق المعتزلة في . . . إيجاب المعارف بالعقل » ^(٦) . والظاهر أنَّ الصفدي أخذ كلامه عن

(١) انظر : القضاء والقدر للمحمود (ص ٢٥٧) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩٢ / ٤) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦٧٦ / ١١) .

(٤) انظر : الجواب الصحيح لابن تيمية (٣٠٨ / ٢) .

(٥) الملل والنحل (١ / ٧٤) .

(٦) الوافي بالوفيات (١٦٠ / ١١ - ١٦١) .

الشهرستاني بدون أن يبين ذلك^(١) ، كما هو صنيع كثير من العلماء المتقدمين .

إلا أنه لا تعارض بين هذين القولين ، لأن شيخ الإسلام يحكي قوله في هذه المسألة - أعني مسألة التحسين والتقيح العقليين - والشهرستاني يبين القاعدة العامة التي بنى جهم عليها عقيدته ، وهو تقديم العقل على النقل (وقد يفهم من هذا النقل القول بوجوب معرفة الله تعالى بالعقل)^(٢) . فنقل الشهرستاني متعلق بالجانب التأصيلي عند جهم ، ونقل شيخ الإسلام متعلق بهذه المسألة .
فالحاصل أن جهم بن صفوان كان يقول إن الحسن والقبح لا يعرف إلا بالشرع ، وليس للعقل دور في تحسين الأفعال أو تقيحها . ومما يؤيد هذا ، ويبين علاقة هذه المسألة بباب القدر ، ما نقله القاضي عبد الجبار المعتزلي عنه ؛ إذ قال : « . . . وزعم أنه تعالى جعل هذه الأفعال علامة الثواب ، وجعل بعضها علامة العقاب ، وحتى أجاز أن يجعل العلامة الدالة على الثواب الكفر ، والعلامة الدالة على العقاب الإيمان ، وحتى يجوز أن يجعل العلامة في ذلك الأمراض والمصائب ، والآلام والألوان . . . »^(٣) .

(١) بحجة أن الصفدي متأخر عنه ، وكلامه عن الجهم يشبه كلام الشهرستاني عنه ، بل وفي بعض الفقرات يشبهه حرفاً بحرف .

(٢) سبق وأن ذكرت عدة احتمالات لهذه الجملة في (ص ١٤٠) من الرسالة .

(٣) المحيط بالتكليف (ص ٣٦٣) .

ثالثاً : إنكار الأسباب والطبائع

وهذه المسألة مبنية كذلك على ما سبق ، فمن أنكر الحكمة في أفعال الله ، أنكر أن يكون في الوجود سبب يتسبب أمراً ، بل يقترون أحد الأمرين بالآخر بدون علاقة سببية بينهما ، وبناء على هذا ، يجوز أن يدخل الله العباد الجنة أو النار بدون سبب منهم .

وقد ذكر شيخ الإسلام أن الجهم بن صفوان هو أول من عرف عنه إنكار الأسباب^(١) ، وأنه كان يقول « إنه ليس في الوجود سبب يفعل به ، بل يقترون أحد الحادثين بالآخر »^(٢) .

قال شيخ الإسلام : « فمن قال من أهل الكلام : إنه لا يفعل الأشياء بالأسباب ، بل يفعل عندها لا بها ، ولا يفعل لحكمة ، ولا في الأفعال المأمور بها ما لأجله كانت حسنة ، ولا المنهي عنها ما لأجله كانت سيئة ، فهذا مخالف لنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة من السلف . وأول من قاله في الإسلام جهم بن صفوان الذي أجمعت الأمة على ضلالته ، فإنه أول من أنكر الأسباب والطبائع . . . ونصوص الكتاب والسنة في إبطال هذا كثيرة جداً »^(٣) . كما صرح في موضع آخر أن جهماً هو أول من أنكر ما في الأجسام من الطبائع ، وما في خلق الله وأمره من الحكمة ، وما في المخلوقات والشرائع من الأسباب^(٤) .

(١) انظر : جامع الرسائل لابن تيمية (١ / ٨٨) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤٣ / ١٤) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤ / ١٩٢) .

(٤) الصفدية (٢ / ٣٣٠) .

وقد فسر ابن القيم معنى إنكار الأسباب وعلاقته بالقدر حين قال :
 « وبالجمله : فليس إسقاط الأسباب من التوحيد . بل القيام بها واعتبارها
 وإنزالها في منازلها التي أنزلها الله فيها : هو محض التوحيد والعبودية .
 والقول بإسقاط الأسباب هو توحيد القدرية الجبرية ، أتباع جهم بن صفوان
 في الجبر ، فإنه كان غالباً فيه . وعندهم أنّ الله لم يخلق شيئاً بسبب ،
 ولا جعل في الأسباب قوى وطبائع تؤثر ، فليس في النار قوة الإحراق ،
 ولا في السمّ قوة الإهلاك ، ولا في الماء والخبز قوة الريّ والتغذي به ،
 ولا في العين قوة الإبصار ، ولا في الأذن والأنف قوة السمع والشم . بل
 الله سبحانه يحدث هذه الآثار عند ملاقة هذه الأجسام ، لا بها . فليس
 الشعب بالأكل ، ولا الريّ بالشرب ، ولا العلم بالاستدلال ، ولا الانكسار
 بالكسر ، ولا الإزهاق بالذبح ، ولا الطاعات والتوحيد سبباً لدخول الجنة
 والنجاة من النار ، ولا الشرك والكفر والمعاصي سبباً لدخول النار . بل
 يدخل هؤلاء الجنة بمحض مشيئته من غير سبب ولا حكمة أصلاً ،
 ويدخل هؤلاء النار بمحض مشيئته من غير سبب ولا حكمة »^(١) . وهذه
 الجمل الأخيرة توضّح علاقة هذه المسألة بمسألة القضاء والقدر .

رابعاً : معنى الاستطاعة

سبق أن بيّنا أنّ جهماً أنكر الاستطاعة كلها ، كما نصّ على ذلك غير
 واحد من أهل العلم ، وهذا أداه إلى القول بالجبر الخالص . وقد أنكر
 جهم أن يكون للعبد أي استطاعة ، سواء قبل الفعل أو معه .

(١) مدارج السالكين (٤٥٩ / ٣) .

خامساً : جواز تكليف ما لا يطاق

بما أنَّ جهنم بن صفوان جعل العباد مثل الريشة في مهب الريح ، لا يقدرّون على شيء من أفعالهم ، اضطّره إلى القول بأنَّ الله جل وعلا يجوز له أن يكلف عباده بما لا يطيقون^(١) . يقول شيخ الإسلام : « وإطلاق القول بأنّه يجبر العباد كإطلاق القول بأنّه يكلفهم ما لا يطيقون . هذا سلب قدرتهم على ما أمروا به ، وذلك سلب كونهم فاعلين قادرين »^(٢) .

وحكى شيخ الإسلام عن جهنم أنّه كان من المجوّزين لتكليف الأعمى بالبصر ، والفقير بالنفقة ، والزمن بالسير إلى مكة إذا جاء الشرع بذلك^(٣) . وأنشد ابن القيم عنه أنّه كان يقول^(٤) :

ما كلف الجبار نفساً وسعها أنى وقد جبرت على العصيان

سادساً : تفسير الظلم المنزّه عن الله

إنّ مسألة القدر متعلّقة تماماً بتفسير (الظلم) الذي يجب أن ينزه عن الله فكل فرقة من الفرق التي خاضت في مسألة القدر فسّروا هذا الظلم بما يوافق قولهم في القدر ، وهي من أهمّ المسائل المتعلّقة بالقدر^(٥) .

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٦٥ / ١) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٦٩ / ٨) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٩٧ / ٨) . وقال أيضاً إنّ الجهمية كانت تقول بأنّه قد يكلف الشخص بما يعجز عنه . انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١٦ / ١٩) .

(٤) نونية ابن القيم - مع شرح الهزّاس (٤٥ / ١) .

(٥) انظر : شرح حديث أبي ذرّ لابن تيمية (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، ٣ / ٢١١) .

وقد ذهب جهم إلى تفسير الظلم بمعنى خاص ، حيث فسّر الظلم بأنه « هو الممتنع لذاته ، وهو المحال لذاته ، وإن كان ما يمكن أن يكون فالربّ قادر عليه ، وكل ما كان قادراً عليه لا يكون ظلماً »^(١) .

وقد ألف شيخ الإسلام رسالة قبل وفاته بقليل باسم (رسالة في معنى كون الربّ عادلاً وفي تنزهه عن الظلم)^(٢) ، صدرها بقوله : « اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أنّ الله تعالى عدل قائم بالقسط لا يظلم شيئاً ، بل هو منزّه عن الظلم .

ثم لما خاضوا في القدر تنازعوا في معنى كونه عادلاً في الظلم الذي هو منزّه عنه .

فقلت طائفة : الظلم ليس بممكن الوجود ، بل كل ممكن إذا قدر وجوده منه فإنه عدل ، والظلم هو الممتنع ، مثل الجمع بين الضدين وكون الشيء موجوداً معدوماً ، فإنّ الظلم : إما التصرف في ملك الغير - وكل ما سواه ملكه ، وإما مخالفة الأمر الذي تجب طاعته - وليس فوق الله تعالى أمر تجب عليه الطاعة . وهؤلاء يقولون : مهما تصوّر وجوده وقدر وجوده فهو عدل . وإذا قالوا : كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، فهذا أمر أوهم^(٣) . وهذا قول المجبرة ، مثل جهم ومن اتبعه ، وهو قول الأشعري وأمثاله من أهل الكلام وقول من وافقهم من الفقهاء

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٣٠٤ / ٢) .

(٢) انظرها في : جامع الرسائل لابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم (المجموعة الأولى ، ١٢٠ / ١ - ١٤٢) .

(٣) كذا في الأصل المطبوع ، ولم يتبين لي معناه أو وجه تصحيحه .

وأهل الحديث^(١) والصوفية »^(٢) . .

وقال شيخ الإسلام إنَّ الجهم كان يقول « إنَّه تعالى يعذب بلا ذنب ، وقد تبعه طائفة تنسب إلى السنة ، كالأشعري وغيره ، وهو قول القاضي أبي يعلى وغيره ، وقالوا : إن الله يجوز أن يعذب الأطفال في الآخرة عذاباً لا نهاية له من غير ذنب فعلوه »^(٣) .

وعلى هذا ، جوز جهم بن صفوان أن يعذب الله عبداً على أمرٍ لا يتعلّق به أصلاً^(٤) .

وأنشد ابن القيم^(٥) :

والظلم عندهم المحال لذاته أنى ينزّه عنه ذو السلطان
ويكون مدحاً ذلك التنزيه ما هذا بمقبول لدى الأذهان
وهذا التفسير للظلم موافق لقوله في القدر ، لأنّه إذا عورض بأنّ إيجاب
العباد على أفعالهم ثم تعذيبهم على ذلك ظلم ، أجب : إنّ الظلم معناه

(١) إنّ هذا التفسير (للظلم) هو قول بعض أئمة السنة كذلك ، كما بين شيخ الإسلام هنا . إلا أنّ هؤلاء الأئمة أرادوا الردّ على القدرية الذين كانوا يوجبون على الله أفعالاً بمقتضيات عقولهم ، فردّوا عليهم بأنّ الله يفعل ما يشاء ، ولا معقّب لحكمه ، وليس يجب عليه تعالى شيء . فهم - وإن وافقوا جهماً في هذا التفسير - فقد ذهبوا إليه من منطلق آخر ، ثم هؤلاء كانوا من أبعد الناس عن القول بالجبر .

(٢) جامع الرسائل (١٢١/١ - ١٢٢) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦٧٦/١١) .

(٤) انظر : شرح أصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص ٦٤٠) .

(٥) نونية ابن القيم - مع شرح الهزاس (٢٦/١) .

التصرف في ملك الغير ، أو مخالفة الأمر الذي تجب طاعته ، وهما ممتنعان في حق الله ، فلا يكون فعله هذا ظلماً .

سابعاً : الإرادة الإلهية هل تستلزم الرضا والمحبة ؟

القول في هذه المسألة له علاقة وثيقة بالقدر ، وهي مبنية على مسألة الحكمة والتعليل ، والتحسين والتقييح .

ومن العجيب أن جميع الفرق المخالفة لأهل السنة - من الجبرية والقدرية - اتفقوا فيما بينهم في هذه المسألة ، وخالفوا قول الحق فيها ، فجعلوا الإرادة بمعنى المحبة والرضا . إلا أن منطلقاتهم ونتائجهم مختلفة كل الاختلاف ، فالمعتزلة ومن وافقهم قالوا بأن الله لا يحب الفساد ، إذا لا يريد ، وإذا لم يرد ، لا يخلقه ، فالإنسان هو خالق هذه الأفعال من الكفر والفسوق والعصيان . بينما ذهب الجبرية إلى أن الله تعالى خالق كل شيء ، ومعنى ذلك أن كل شيء خلقه فهو يريده ويحبه ، إذاً هو يحب الشر والفساد^(١) .

وذكر ابن أبي العزّ لما تكلم عن آراء الفرق في القدر أن منشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة ، وبين المحبة والرضى ، فإن الجبرية والقدرية سَوّوا بينهما ، ثم اختلفوا ، فقالت الجبرية : الكون كله بقضائه وقدره ، فيكون محبوباً مرضياً ، وقالت القدرية النفاة : ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له ، فليست مقدرة ولا مقضية ، فهي خارجة عن مشيئته وخلقته^(٢) .

(١) انظر : القضاء والقدر للمحمود (ص ٢٩٤) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ (ص ٢٥١) .

قال شيخ الإسلام ، حاكياً قول جهنم في هذه المسألة : « وقابلهم - أي المعتزلة - الخائضون في القدر من المجبرة ، مثل الجهم بن صفوان وأمثاله ، فقالوا : ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة ، والأمر والنهي لا يستلزم الإرادة ، وقالوا : العبد لا فعل له البتة ولا قدرة . . . » (١) .

وبيّن موافقة جهنم للقدرية بقوله : « وجهنم ومن وافقه من المعتزلة اشتركوا في أنّ مشيئة الله ومحبه ورضاه بمعنى واحد ، ثم قالت المعتزلة : وهولا يحب الكفر والفسوق والعصيان ، فقالوا : إنّه يكون بلا مشيئته . وقالت الجهمية : بل هو شاء ذلك ، فهو يحبه ويرضاه ، وأبو الحسن وأكثر أصحابه وافقوا هؤلاء ، فذكر أبو المعالي الجويني أنّ أبا الحسن أول من خالف السلف في هذه المسألة ولم يفرق بين المشيئة والمحبة والرضا » (٢) .

فهذه سبعة أمور أثرت على جهنم في قوله بالجبر (٣) ، ولكن هل كان هو أول من خاض في باب القدر ؟ هذا ما سنبيّنه في المسألة القادمة . . .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٧/١٣) . وانظر كذلك (٣٤٢/٨) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٧٥/٨) .

(٣) الأمر العجيب الملفت للنظر هو أنّ جميع هذه المقالات قد انفرد شيخ الإسلام بحكايتها عن جهنم بن صفوان ، والله أعلم بسرّ ذلك . وقد يقال : إنّ شيخ الإسلام قد حكى في هذه المقالات السبع لازم قوله في الجبر ، إلا أنّه من المعلوم أنّ لازم القول قد لا يكون قولاً ، ثم إنّ شيخ الإسلام معروف بالدقة والأمانة في نقل مقالات الآخرين ، فربما اطّلع على بعض المصادر التي خفيت على غيره .

المطلب الثالث

نشأة القول بالقدر في الإسلام

إنَّ الاختلاف في مسألة قدر الله من أقدم الخلافات بين الأمة الإسلامية ، فقد خاض الصحابة فيما بينهم في هذه المسألة والنبي ﷺ بين أظهرهم ، ولكن سرعان ما انتهوا عن هذا لما نهاهم النبي ﷺ عن ذلك ، فكفوا ورجعوا عما هم فيه ^(١) . فلذلك لم يكن بين الصحابة بعد هذه الحادثة أي خلاف في مسألة قضاء الله وقدره ، حيث اتفقت كلمتهم على أنَّ الله يعلم ما سيكون ، وأنَّ الأمر كله بيده ، لا حول ولا قوة إلا به ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، والآثار الواردة عنهم في هذا الباب ، في إثبات القدر والذم على من أنكره ، أمر متواتر لا ينكره إلا معاند .

ثم ظهر معبد الجهني في البصرة ، في أواخر عهد الصحابة ، فأنكر علم الله السابق للأشياء ، وقال إنَّ الأمر أنف ، أي مستأنف ، فتبرأ منه عبد الله بن عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة يومئذ . ومعبد يعدُّ أول من أعلن القول بالقدر في الإسلام ، وقد أخذ مقالته هذه من رجلٍ نصراني ، ثم أخذها عن معبد غيلان الدمشقي .

قال الأوزاعي : « أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن ، كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني ، وأخذ غيلان عن معبد » ^(٢) . وقال ابن عون : « أدركت الناس وما يتكلمون إلا

(١) انظر القصة في سنن الترمذي ، كتاب القدر ، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر (٤ / ٤٤٣ ، حديث ٢١٣٣) .

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤ / ٨٢٧) .

في علي رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه ، حتى نشأ ههنا حقير يقال له : سنسويه البقال » ، ثم قال حماد بن زيد ، الراوي عن ابن عون : « ما ظنكم برجل يقول به ابن عون هو حقير ؟ » ^(١) . وعن يونس بن عبيد قال : « أدركت البصرة وما بها قدري إلا سنسويه ومعبد الجهنني وآخر ملعون في بني عوافة » ^(٢) . وكان مسلم بن يسار يقول : « إنّ معبداً يقول بقول النصارى » ^(٣) .

وتأثر غيلان بالنصارى واضح جلي ^(٤) .

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٨٢٦/٤) .

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٨٢٦/٤) .

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٢٥/١) .

(٤) إنّ النصارى - كغيرهم من الملل - على عقائد مختلفة في مسألة القدر ، إلا أنّ عامتهم استقروا على أنّ الله يعلم الأمور قبل حدوثها وأنّ الإنسان خالق أفعاله ، فمشيئة الإنسان هي النافذة والمحكمة ، دون مشيئة الله . ومن الأمثلة على ذلك ، قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الجاثليق - اسم كبير قساوسة النصارى في الشام - حيث خطب عمر خطبة قال فيها : « من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلّل فلا هادي له » ، فقال الجاثليق : « لا ! » ، فسأل عمر عما قال ، فلما ترجم له ، أعاد عمر هذه الجملة ، فنفض الجاثليق ثوبه وقال : « إنّ الله لا يضلّ أحداً » ، فلما سمع مقالته عمر ، قال : « كذب عدوّ الله ، الله خلقك والله أضلك ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله ، والله لولا ولت عقد لك لضربت عتقك . . . إلخ القصة » . وانظرها في : السنة لعبدالله بن أحمد (٤٢٣/٢) .

ومما يؤكد هذا الأثر أن يوحنا الدمشقي - وسبق ذكره والكلام على نظريته في القدر (انظر : ص ٤١٠) - كان معاصراً لمعبد وغيلان ، وكان يؤلف في =

يقول شيخ الإسلام بعد أن ذكر علم الله والكتابة : « فهذا القدر هو الذي أنكره القدرية الذين كانوا في أواخر زمن الصحابة ، وقد روي أن أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له سنسويه المجوسي ، وتلقاه عنه معبد الجهني . ويقال : أول ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة ، فقال رجل : احترقت بقدر الله تعالى ، فقال آخر : لم يقدر الله هذا . ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر ، فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر ردّه عليهم من بقي من الصحابة ، كعبد الله بن عمر رضي الله عنه ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه ، ووائل بن الأسقع رضي الله عنه ، وكان أكثره بالبصرة والشام ، وقليل منه بالحجاز ، فأكثر كلام السلف في ذم هؤلاء القدرية . . . » (١) .

وهؤلاء القدرية الأولى كانوا ينكرون علم الله السابق ومشيتته النافذة ، وأن الله خلق أفعال العباد . فلما تواترت الأمة بالإنكار عليهم وتكفيرهم ،

= مسائل الإيمان والقدر ، وقد ألف كتاباً سماه (الإيضاح الصريح في المذهب الصحيح) ، بين فيه عقيدته في القدر ، وهويشه تماماً عقائد بعض القدرية ، حيث قال فيه : « . . . ليس من الصواب أن ننسب إلى الله أفعالاً تكون أحياناً خسيصة وظالمة . . . فلم يبق إلا أن نقول إن الإنسان الذي يفعل ويصنع هو منشئ أفعاله ، وأنه مخلوق مزود بحرية الإرادة » . انظر : مذاهب الإسلاميين للبدوي (ص ١١٥) . وقد قارن بعض علماء المستشرقين بين عقائد يوحنا الدمشقي هذا وعقائد المعتزلة ، فوجدوا بينهما تشابهاً كثيراً ، مما جعلهم يقررون أن يوحنا هو الذي تولى كبر بث أفكار القدر بين المسلمين .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٨٤/٧) . وانظر كذلك (٤٥٠/٨) ،

و (٤٩٠/٢٨) .

صار جمهور القدرية يقرّون بالعلم المتقدم والكتاب السابق ، ولكن أنكروا عموم مشيئة الله تعالى وقدرته وخلقه لأفعال العباد ، فاستقروا على أنّ الله (لا يخلق الشر)^(١) .

ثمّ ظهر جهم بن صفوان ، ووافق هؤلاء القدرية في نفي العلم السابق^(٢) ، ولكن ذهب إلى نقيض قولهم في المشيئة وخلق أفعال العباد . فقد يكون قول جهم كرد فعل لقول هؤلاء القدرية . يقول ابن عساكر : « ولما بدأ يذيع رأي معبد أخذ في الردّ عليه جهم بن صفوان بخراسان فوقع في الجبر ، ونشأ عنه مذهب الجبرية »^(٣) . وذكر شيخ الإسلام أنّ مقالته حدثت كرد فعل لمقالة القدرية^(٤) .

ثم جاء المعتزلة وخالفوا جهماً في كلتا المسألتين ، فأثبتوا العلم السابق ، وأنكروا المشيئة وخلق أفعال العباد . وهذا الترتيب - أعني أسبقية جهم على المعتزلة - هو قول بعض الباحثين^(٥) ، وهناك احتمال أنّ البدعتين ظهرتتا في وقت متقارب جداً ، والصراع بينهما ساعد في نشر البدعتين في آن واحد .

هذا ، وليعلم أنّ لقب (القدرية) قد أطلق على المنكرين للقدر - كالمعتزلة - وعلى الغالين فيه - كالجهمية . لذلك فيجب التنبيه إلى أنّ

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٥٠ / ٨) .

(٢) وستحدّث عن مقالته في علم الله في الفصل الأول من الباب السابع . انظر : (ص ٨٢٥) من الرسالة .

(٣) تبين كذب المفترى (ص ١١) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٦٠ / ٨) .

(٥) انظر : القضاء والقدر للمحمود (ص ٢٠٢) .

بعض أئمة السلف قد وصف الجهمية بهذا اللقب ، فمثلاً نجد الخلال
يعنون في كتابه السنة ب : « الرد على القدرية وقولهم إنّ الله جبر العباد
على المعاصي »^(١) .



(١) السنة للخلال (٥٤٩ / ٣) .

المطلب الرابع

منشأ قول جهنم في القدر

ذكرنا فيما سبق أنَّ القدرية قد تأثروا بالنصارى في قولهم بنفي المشيئة ، فالسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو : هل استورد جهنم بن صفوان هذه المقالة من الأمم الأخرى ، وهل كان لغيره أثر في وصوله إلى هذا القول ؟

لقد ذكر بعض الباحثين أن جهماً أخذ هذه المقالة عن شيخه في التعطيل الجعد بن درهم ، وأنه أول من قال بالجبر في الإسلام ، وإنما نشرت المقالة على يد جهنم فنسبت إليه ، كما حصل في مسألة الصفات^(١) . ولكن عند الرجوع إلى المصادر الأصلية ، لا نجد ذكراً لقول جعد في القدر ، إلا ما أشار إليه عبد القاهر البغدادي حيث قال : « ثم حدث في زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني ، وغيلان الدمشقي ، والجعد بن درهم ، وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة . . . »^(٢) . كما ذكر فرقة (الخمارية) ، وهذه الفرقة تأثرت بجعد في قوله « بأنَّ النظر الذي يوجب المعرفة تكون تلك المعرفة فعلاً لا فاعل لها » ، وأنَّ هذه الفرقة زعمت أنَّ الخمر ليست من فعل الله ، وإنما هي من فعل الخمار لأنَّ الله لا يفعل ما يكون سبب المعصية^(٣) .

(١) وهذا رأي فضيلة الشيخ د . / عبد الرحمن المحمود في كتابه : القضاء والقدر (ص ٢٠٣) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص ٢٥) . كما ذكر نفس هذه العبارة ابن الجوزي في تلييس إبليس (ص ٩٩) .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٤٨) .

وأشار الحافظ ابن حجر إلى قوله إذ قال : « إنه - أي الجعد - جعل في قارورة تراباً وماء ، فاستحال دوداً وهواماً ، فقال : أنا خلقت هذا ، لأنني كنت سبب كونه . . . »^(١) . وهذا ، مع أنه ليس من قول القدرية ، إلا أنه يشبه قولهم في أن الإنسان خالق بعض الأشياء .

والذي يظهر - والله أعلم - أن جعد بن درهم لم يكن من القائلين بالجبر ، وبالتالي فلم يأخذ جهم قوله عنه . ويؤكد هذا أن شيخ الإسلام ذكر أن جهماً هو أول من أنكر استطاعة العبد وقال بالجبر^(٢) .

ومن المعلوم أن بعض فرق اليهود والنصارى كانوا يقولون بالجبر ، فهم - كغيرهم من الملل والنحل - تفرقوا فيما بينهم في كثير من المسائل ، منها مسألة القدر والمشية ، وكان من كلتا الديانتين فرق يقولون بالجبر^(٣) .

ومن القائلين بالجبر قبل جهم بن صفوان : الصابئة ، وبعض فلاسفة اليونان . وعلاقة جهم مع هاتين الطائفتين أوضح ، لأنه كان يعيش بين مجتمع صابئي ، وناظر السمنية الذين تأثروا بالفكر اليوناني .

فأما الصابئة ، فكانوا يقولون بالجبر ، وقد أثروا على عدد من أصحاب الكلام^(٤) .

(١) لسان الميزان (٣٠٧/٢) .

(٢) انظر : الاستغاثة في الرد على البكري (١٧٥/١) .

(٣) انظر : القضاء والقدر للمحمود (ص ١٣٧-١٤٠) ، و المخالفون في القدر للرحيلي (ص ٧٩-٨٠ ، و ٩٤-٩٧) .

(٤) انظر : القضاء والقدر للمحمود (ص ١٣٦) . ولقلة المصادر حول الصابئة ، لم أتمكن من الوصول إلى تفاصيل قولهم في هذا الباب ، والله المستعان .

وأما فلاسفة اليونان ، فقد اختلفوا في القدر أيما اختلاف ، فالبعض منهم أثبتته^(١) ، غير أن غالبهم والمشهورين منهم ، مثل أرسطوطاليس ، أنكره^(٢) . ولكن المجتمع اليوناني لم يتأثر بهذا الاختلاف بين فلاسفتهم ، فالفكر السائد عند عوامهم هو القول بالجبر ، بمعنى أن الإنسان لا يستطيع أن يفرّ من قضاء الآلهة . ومن نظر إلى قصصهم وقرأ مسرحياتهم ، ظهر ذلك واضحاً جلياً ، ومن أشهر هذه المسرحيات على الإطلاق ، مسرحية سوفوكليس المسمى : (الملك إيدياس) . وهذه المسرحية كانت تمثل في المواسم والاجتماعات ، وهي كلها تدور حول قضية الجبر^(٣) .

(١) مثل (هرقليطس) المتوفى سنة ٥٠٤ ق . م . ، حيث كان يقول : « الحياة والموت ، والخلق والفناء ، كلها بقدر ، والحركات مقدورة » . انظر :

The Pre-Socratic Philosophers , by Freeman (p . 109)

(٢) إن أرسطاطليوس أنكر القدر الإلهي ، ولكنه أثبت القدر الطبيعي ، بمعنى أنه كان يقول بربط الأسباب بأمور طبيعية وعقلية ، لا بقدره إلهية . ولقد تحدث عن نظريته في القدر في كتابه (الميتافيزيقيا - يعني ما وراء الطبيعة) في فصل كامل ، قال فيه : « فكلّ حيّ سيموت ، ولكن هل سيموت بسبب مرض ، أو قتل . . . ؟ لم يقدر ، ولكنه متعلق بأمور أخرى » . انظر : (الميتافيزيقيا) لأفلاطون ،

Metaphysics , by Plato , Book VI , Section 3 (in : The Great Books of the World Series , v . 8 , p 549)

(٣) ولشهرة هذه المسرحية وأهميتها ، صارت من مقررات الدراسة عند كثير من المدارس والجامعات في الغرب - وأذكر أنني قرأتها وعلقت عليها أثناء دراستي في الجامعة كذلك .

والقصة - باختصار - تدور حول شخصية (إيدياس - Oedipus) . فقد =

وبين شيخ الإسلام تقارب قول جهنم مع قول الفلاسفة في باب القدر

= تكهن إيديباس عند صنم من أصنام قومه ، فأخبر بأنه سيقتل أباه ويتزوج بأمه ، وكان يحبهما كثيراً ، فتحير من أمره ، فعزم على أن يغادر من بلد والديه وأن لا يرجع إليهما أبداً ، فهرب إلى بلد مجاورة ، وترقى من منصب إلى منصب حتى أصبح ملكها ، حيث تزوج بملكها ، بعد أن قُتل الملك القديم على أيدي بعض قطاع الطريق . فلما كان جالساً في قصره ، دخل عليه كاهن وأخبره بأنه قد قتل أباه وتزوج أمه ، فأصابه الرعب ، وتهدد الكاهن بالقتل والحبس ، وحين هوفي هذه الحالة المذعورة ، دخلت عليه الملكة ، فسألته عن سبب حاله ، فلما أخبرها ، استهزأت بالكاهن ، وقالت : (أتصدق هؤلاء؟ فإن ذويه قد دخلوا على زوجي الملك ، وأخبروه بأن ابناً له سيقتله ، فلما ولدتُ غلاماً ، أمر بالغلام فقتل . ثم بعد سنوات طويلة قُتل زوجي على أيدي بعض قطاع الطريق في مكان كذا وكذا) ، فتنبه إيديباس ، وقال لها : (ماذا تقولين؟ في أي مكان؟)

ثم تبين له أنه كان من ضمن هؤلاء القطاع ، وأنه لم يشعر تلك الساعة أنه قتل الملك ، ولكن بقي إشكال هو أن والديه في بلد مجاورة . . . ، وتستمر القصة إلى أن استدعى إيديباس بعض أكابر قريته ، فأخبره بأنه لم يكن ابناً للرجل والمرأة الذين ربّياه ، بل أهدي إليهما في طفولته ، فاستدعى الرجل الذي أهده ، وسأله عن أصله ، فقال إن الملك القديم قد أعطاه إياه وأمر بقتله ، ولكن أخذته العاطفة والرحمة ، فذهب به إلى بلد آخر وأعطاه لهذا الرجل . . . إلخ القصة . فتبين أنه فعلاً قد قتل والده وتزوج بأمه . والشاهد من القصة - وهي مصرحة في القصة نفسها - أن الإنسان مهما حاول فلا يستطيع أن يفر من القضاء ، وأنه مجبور بجزء قدره إلى ما كتب له .

ومما يدل على أهمية هذه القصة كذلك ، أن العالم اليهودي (فرويد) قد تبني نظريته السايكولوجية المشهورة - والتي أستحي عن التعبير عنها لخبثها - على هذه القصة ، وسمى هذه النظرية (عقدة إيديباس) أو (عقدة أوديب) . =

فقال : « وقول جهنم ومن وافقه : إنّ الإيمان مجرد العلم والتصديق ، وهو بذلك وحده يستحق الثواب والسعادة ، يشبه قول من قال من الفلاسفة المشائين وأتباعهم : إنّ سعادة الإنسان في مجرد أن يعلم الوجود على ما هو عليه ، كما أنّ قول الجهمية وهؤلاء الفلاسفة في مسائل الأسماء والصفات ، ومسائل الجبر والقدر ، متقاربان ، وكذلك في مسائل الإيمان » (١) .

فخلاصة القول في هذا ، أننا لا نستطيع أن نجزم أنّ جهماً أخذ مقالته عن بعض الأمم الأخرى ، ولكن نقول : إنه ليس أول من قال بالجبر ، فقد سبقه إلى ذلك كثير من الملل والأمم ، وكان له علاقة مباشرة باثنين منهما : الصابئة وفلاسفة اليونان ، والله أعلم .



= انظر القصة بكاملها في : (مجموع مؤلفات أوديب) ، ضمن :
(The Great Books of the World Series , v . 4 ,
pps . 99 - 113)

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥٨٥ / ٧) .

المطلب الخامس

أدلة قول جهيم في هذه المسألة

بعد طول البحث ، لم أجد الأدلة التي تبناها جهيم للوصول إلى هذا القول ، ولم أجد من ذكر أدلة الجهمية كذلك ، إلا أن الإمام يحيى ابن الحسين ، إمام الزيدية في القرن الثالث الهجري ، قد أورد بعض أدلة (الجبرية) في كتابه (الرد على المجبرة القدرية)^(١) ، ولكن عند قراءة الرسالة ، يظهر جلياً أنه يقصد بـ (الجبرية) أهل السنة ، لا الجهمية . ومن المعلوم أن المعتزلة بصفة عامة يصفون كل من أثبت قدرة الله ومشيئته النافذة بالجبر .

وهذا الشخ في المعلومات حول أدلتهم أدى ببعض الباحثين المعاصرين لمحاولة استخراج أدلة الجبرية من القرآن^(٢) ، إلا أن ذكر هذه الأدلة ما هو إلا اجتهادات واستنباطات من هؤلاء الباحثين ، ولا نستطيع أن نجزم أن جهماً كان يستدل بها . بل إن بعض الباحثين المعاصرين يرى أن جهماً لم يصل إلى هذه النظرية نتيجة بحث في القرآن والسنة ، وإنما وصل إليها بناء على قوله في الصفات^(٣) .

(١) وهي موجودة ضمن (رسائل العدل والتوحيد) ، تحقيق : محمد عمارة (٢ / ٣٣-٦٩) .

(٢) انظر على سبيل المثال : مذاهب الإسلاميين للبدوي (١ / ٩٧-١٠٠) ، و : القضاء والقدر للمحمود (٣٢٨-٣٣١) .

(٣) انظر : القضاء والقدر في الإسلام للدسوقي (٢ / ١٤٠) .

فإذا كانت هذه هي صورة الحال ، فلا أرى كثير فائدة من ردّ هذه الأدلة ما دام أننا لا نستطيع أن ننسبها إلى جهنم أو الجهمية^(١) .



(١) والردّ على فهمهم لهذه الأدلة القرآنية سهل ، إذ ليس فيها أكثر من أنّ الله خالق أفعال العباد وأنّ مشيئته نافذة ، ولونظرنا إلى آيات آخر - وسيأتي في المبحث القادم - نجد أنّ الله قد أثبت للإنسان قدرة ومشئته ، ونسب أفعالهم إليهم . وهذا الباب من أحسن الأمثلة في ردّ أهل البدع ببدعة مقابلة لهم ، فنستطيع أن نردّ على أدلة (المجبرة) بأدلة (القدرية) ، ونردّ على أدلة (القدرية) بأدلة (المجبرة) . انظر : القضاء والقدر للمحمود (ص ٢٩٩-٣٥٤) .

المبحث الثاني

نقد هذه المقالة والرد عليها

ينحصر الكلام في هذا المبحث في أربعة مطالب :

المطلب الأول : بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر .

المطلب الثاني : بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في المسائل المتعلقة بالقدر .

المطلب الثالث : بيان موقفهم من لفظ (الجبر) .

المطلب الرابع : تناقضات جهم بن صفوان في مقالته في الجبر .

المطلب الأول

عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر ونسبة أفعال العباد إليهم

إنَّ الإيمان بقضاء الله وقدره من أركان الإيمان الستة ، وأصل من أصول الإسلام ، فقد أجاب النبي ﷺ جبريل لما سأله عن الإيمان : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره »^(١) .

وقد ذكر الله جل وعلا في كتابه أنه خلق كل شيء بقدر ، منها قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَنْخِذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرُهُ مَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ١-٢] وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإيمان (١ / ٢٧٢ ، حديث ٨) .

وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿ [القمر: ٢]

وتنقسم مسائل القدر إلى قسمين :

القسم الأول : ما يتعلق بالله جلّ وعلا .

والقسم الثاني : ما يتعلق بالعبد .

القسم الأول

ما يتعلق بالله جلّ وعلا

فأما ما يتعلق بجانب الخالق ، فقد بين أئمة السلف أنّ الإيمان بالقدر مبني على أربعة أركان ، لا يكون إيمان المؤمن صحيحاً إلا بهذه الأركان الأربعة ، وهي : العلم ، والكتابة ، والمشیئة ، والخلق .

(١) العلم

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأنّ الله جلّ وعلا يعلم كل شيء ، يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وما لا يكون لو كان كيف يكون^(١) .

قال الله جلا وعلا : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] وفي الحديث المرفوع : « قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْعَرَفُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ ؟ قَالَ : كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَوْ لِمَا

(١) وقد فصلت الأدلة على علم الله الشامل في المبحث الأول من الباب السابع ،

فليراجع .

يُسَرُّ لَهُ « (١) .

(٢) الكتابة

ويؤمن أهل السنة أنّ الله قد كتب ما كان وما سيكون ، وأنّ كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٠] . وقال النبي ﷺ : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء » (٢) .

(٣) المشيئة

وأهل السنة يثبتون مشيئة الله النافذة ، وأنّ ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلا يخرج عن إرادته شيء ، ولا يحصل بدون إرادته شيء . قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] وقال رجل للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتني لله عدلاً ؟ بل ما شاء الله وحده » (٣) .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب القدر ، باب جف القلم على علم الله (٤٩١/١١ ، حديث ٦٥٩٦) ، ومسلم في القدر ، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه (٤١٤/١٦ ، حديث ٦٦٧٩) من مسند عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر ، باب حجاج آدم موسى (٤١٩/١٦ ، حديث ٦٦٩٠) ، والترمذي في كتاب القدر ، باب منه (حديث ٢١٥٧) من مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

(٣) رواه ابن ماجه (حديث ٢١١٧) ، وأحمد في مسنده ، (٢١٤/١) ، وابن =

٤ (الخلق

ويؤمن أهل السنة أن الله جل وعلا خالق كل شيء ، بما في ذلك أفعال العباد ، فلا يقع شيء إلا بخلقه .

قال جل وعلا : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]

وفي الحديث المرفوع : « إن الله يصنع كل صانع وصنعه »^(١) .
ولقد أجمع السلف على إثبات علم الله وقدرته ومشيتته وخلقه . قال إسماعيل بن يحيى المزني : « فالخلق عاملون بسابق علمه ، ونافذون لما خلقهم له من خير وشر لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعا ، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعا »^(٢) . وقال البربهاري : « والإيمان بأن الله قد علم ما كان من أول الدهر ، وما لم يكن ، وما هو كائن أحصاه وعدّه عدا ومن قال : إنه لا علم إلا ما كان وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم . . . قد علم الله ما العباد عاملون ، وإلى ما هم صائرون ، لا يخرجون من علم الله ولا يكون في الأرضين والسموات إلا ما علم الله تعالى »^(٣) . وقال ابن بطة العكبري : « ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ،

= أبي شيبة (رقم ٦٧٤٢) ، وغيرهم ، كلهم عن ابن عباس رضي الله عنه .
وصححه الألباني في الصحيحة (حديث ١٣٩) .

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (حديث ٩٢ ، ص ٣٣) ، وابن أبي عاصم في السنة (حديث ٣٥٧) ، والحاكم في المستدرک (٣١ / ١) ، وغيرهم ، وصححه الألباني في الصحيحة (حديث ١٦٣٧) .

(٢) شرح السنة للمزني (ص ٧٦) .

(٣) شرح السنة للبربهاري (ص ٣٧-٣٩) .

قليله وكثيره ، مقدور واقع من الله عز وجل على العباد ، في الوقت الذي أراد أن يقع ، لا يتقدم الوقت ولا يتأخر ، على ما سبق بذلك علم الله «^(١) وقال ابن أبي زمنين : « ومن قول أهل السنة أنّ المقادير كلها خيرها وشرها حلوها ومرها من الله عز وجل ، فإنه خلق الخلق وقد علم ما يعملون وما إليه يصيرون »^(٢) ، وقال الصابوني : « ويعتقدون ويشهدون أنّ الله عز وجل أجل لكل مخلوق أجلاً ، وأن نفساً لن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت ، وليس له عنه فوت »^(٣) .

ويلاحظ أنّ جهنم بن صفوان قد أنكر علم الله السابق (ويلزم من ذلك إنكار الكتابة) ، ولكنه غلا في جانب المشيئة والخلق .

القسم الثاني

ما يتعلق بجانب العبد

وأما ما يتعلق بجانب العباد ، فأهل السنة يثبتون أنّ للعباد قدرة ومشية ، وأنهم يريدون ويختارون ، وأنهم فاعلون على الحقيقة ، وأنّ أفعالهم قائمة بهم ومنسوبة إليهم ، فيستحقون المدح والذم والجزاء والعقاب على أعمالهم .

١ (إثبات القدرة والمشية للعبد

إنّ إثبات القدرة والمشية للعبد أمر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع .

(١) الشرح والإبانة لابن بطة (ص ٢١٥) .

(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ١٩٧) .

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٠٩) .

فالله جلّ ذكره قد أثبت للعبد مشيئة ، فقال : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠] .

كما نسب إليهم القدرة : ﴿ وَعَدُوا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيرِينَ ﴾ [القلم: ٢٥] ، والقوة : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعِفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤] ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥] فلم ينف عنهم قوتهم ، بل أثبت جلّ ذكره قوته التي هي أكبر وأشدّ وأقوى من كل قوة .

وفرق جلّ وعلا بين المستطيع وغير المستطيع ، فقال : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ ﴾ [آل عمران: ٩٧] ، وقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .

يقول ابن قتيبة ، بعد إirاده لجملة من الأقوال في القدر : « وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدلٌ لا يجور كيف خلق وكيف قدر وكيف أعطى وكيف منع ، وأنه لا يخرج عن قدرته شيء ولا يكون في ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد . . . فإن أعطى فبفضل ، وإن منع فبعدل ، وأن العباد يستطيعون ، ويعملون ، ويجزون ما يكسبون ، وأن الله لطيف يتدبّر بها من أراد ويتفضل بها على من أحب ، يوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته ويسمعها من حقت عليه كلمته . فهذه جملة ما ينتهي إليه علم ابن آدم من قدر الله عزّ وجلّ ، وما سوى ذلك مخزون عنه » ^(١) .

(١) الاختلاف في اللفظ (ص ٢٢) .

قال ابن قدامة : « ونعلم أَنَّ الله سبحانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك ، وأنه لم يجبر أحداً على المعصية ولا اضطره إلى ترك طاعة . قال تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [غافر: ١٧] . فدلّ على أَنَّ للعبد فعلاً وكسباً يجزى على حسنه بالثواب ، وعلى سيئه بالعقاب ، وهو واقع بقضاء الله وقدره » (١) .

ويقول شيخ الإسلام : « ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها . . . أَنَّ العباد لهم مشيئة وقدرة ويفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه ، مع قولهم أَنَّ العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله . . . والقرآن قد أخبر بأنَّ العباد يؤمنون ، ويكفرون ، ويفعلون ، ويعملون ، ويكسبون ، ويطيعون ، ويعصون ، ويقىمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويحجون ، ويعتصرون ، ويقتلون ، ويزنون ، ويسرقون ، ويصدقون ، ويكذبون ، ويأكلون ، ويشربون ، ويقاثلون ، ويحاربون ، فلم يكن من السلف والأئمة من يقول : إِنَّ العبد ليس بفاعل ولا مختار ، ولا مريد ولا قادر ، ولا قال أحدهم : إِنَّه فاعل مجازاً ، بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أَنَّ العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله . وأول من ظهر عنه إنكار ذلك هو الجهم بن صفوان وأتباعه . . . » (٢) .

(١) لمعة الاعتقاد (ص ١٨٦) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٦٩/٨) .

لذلك ، فقد أجمع السلف قاطبة على أَنَّ العبد فاعل ومختار ومريد وقادر (١) .

وفي هذه الأدلة ردّ على قول جهنم بن صفوان ، حيث أنكر المشيئة بالكلية . وهناك أمر آخر يدل على هذا ، وهو دليل حسي ، ذلك أَنَّ كل إنسان يعرف الفرق بين حركاته الاضطرارية والاختيارية . يقول شيخ الإسلام إنَّ « كل عاقل يجد تفرقة بديهية بين قيام الإنسان وقعوده وصلاته وجهاده ، وزناه وسرقته ، وبين ارتعاش المفلوج وانتفاض المحموم ، ويعلم أن الأول قادر على الفعل مريد له مختار ، وأن الثاني غير قادر عليه ولا مريد له ولا مختار . والمحكي عن جهنم وشيعته الجبرية أنهم زعموا أَنَّ جميع أفاعيل العباد قسم واحد ، وهو قول ظاهر الفساد ، وبما بين القسمين من الفرقان انقسمت الأفعال إلى اختياري واضطراري ، واختصَّ المختار منها بإثبات الأمر والنهي عليه » (٢) .

وقال الإسفراييني : « وهذا القول [يقصد قول الجبرية] خلاف ما تجده العقلاء في أنفسهم ؛ لأن كل من رجع إلى نفسه يفرق في نفسه بين ما يرد عليه من أمر ضروري لا اختيار له فيه وبين ما يختاره ويضيفه إلى نفسه ، كما أن كل عاقل يفرق بين كل حركة ضرورية كحركة المرتعش وحركة المختار يجد العاقل في نفسه فرقاً بينهما ، ومن أنكر هذه التفرقة لم يعد من العقلاء » (٣) .

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٥٩ / ٨) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٩٤ / ٨) .

(٣) التبصير في الدين (ص ١٠٧) .

وستحدث عما يتعلق باستطاعة العبد ، وهل هو قبل الفعل أو بعده ، في
المطلب القادم .

٢ (نسبة الأفعال إلى فاعليها

إذا ثبت أن للعبد قدرة ومشئته ، فلازم هذا القول أنه تنسب أفعاله إليه .
لذلك ، فإن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يعتقدون أن الإنسان يختار
ويعمل على الحقيقة ، وأنهم ينسبون أفعالهم إليهم على الحقيقة لا على
المجاز . والقرآن من أوله إلى آخره ناطق بهذا ، فإنه نسب إليهم الإيمان
والكفر ، والصدق والكذب ، والهداية والضلال ، والعمل ، والفعل ،
والصناعة ، والقوة ، والمشئته ، والإرادة ، والاختيار ، والتقوى ،
والإحسان ، والزنا ، والسرقة ، والفسق ، وغير ذلك من الأعمال ^(١) .

يقول شيخ الإسلام : « . . . فإن نفس فعل العبد - وإن قال أهل
الإثبات إن الله خلقه وهو مخلوق له ومفعول له - فإنهم لا ينكرون أن
العبد هو المتحرك بالأفعال ، وبه قامت ، ومنه نشأت ، وإن كان الله قد
خلقها . . . [و] أن العبد فاعل حقيقة وله مشئته وقدرة » ^(٢) .

قال المزني ، صاحب الإمام الشافعي : « قال صاحب الخضر : ﴿ وَمَا
أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرْ ﴾ [الكهف: ٦٣] ، وقال : ﴿ وَأَضَلَّهُمُ
السَّامِرِيُّ ﴾ [طه: ٨٥] ، وقال : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيَّ
رَبِّكُمْ تَرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١] ، وقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ
مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] ، فالله الخالق لكل ذلك وإن أضيفت الأسباب إلى

(١) والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحصى ، وانظر رسالة (أعمال العباد بين أهل السنة
ومخالفهم) للحميدي (ص ١١٠ - ١٢٤) لبعض الأمثلة .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١٧/٨ - ١١٨) .

من يدعو إليها ، والله الخالق لا غير الله ، وأفعال العباد مخلوقة لا يقدر أحد أن يشاء شيئاً إلا أن يشاء الله ، وقال ﴿ وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩] (١) .

وقال ابن قتيبة : « ونحن نعلم أن كل شيء بقدر الله وقضائه ، غير أننا ننسب الأفعال إلى فاعليها ، ونحمد المحسن على إحسانه ، ونلوم المسيء بإساءته ، ونعتد على المذنب بذنوبه » (٢) .

ومن أوجه الردّ على جهنم بن صفوان - علاوة على هذه الأدلة الصريحة - أنه يلزم منه نسبة القبائح والفواحش والظلم إلى الله . وهو صنيع فعل المشركين قبله ، حيث نسبوا إلى الله أفعالهم القبيحة ، فذمهم الله لذلك أشد الذم : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاتُوا بِأَسْنًا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨-١٤٩] . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا أَلْبَلَغُ الْمَبِينِ ﴾ [النحل: ٣٥]

وحقيقة هذا القول هو أن جهنم بن صفوان ، والمشرّكين قبله ، لم يفرّقوا بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق ، فقالوا : إنّ الخلق هو المخلوق . ولكن هذا قول باطل ، فالله جل وعلا يوصف بما فعل ؛ لأنّ

(١) رواه اللالكائي في شرح الأصول (٧٧٨ / ٤) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٢٠) .

الفعل منه غير مخلوق ، ولا يوصف بالمفعول ، لأنَّ المفعول مخلوق .
يقول شيخ الإسلام : « وأئمة أهل السنة وجمهورهم يقولون : إن الله خالق هذا كله ، والخلق عندهم ليس هو المخلوق ، فيفرقون بين كون أفعال العباد مخلوقة مفعولة للرب ، وبين أن يكون نفس فعله الذي هو مصدر فعل يفعل فعلاً ، فإنها فعل للعبد بمعنى المصدر ، وليس فعلاً للرب - تعالى - بهذا الاعتبار ، بل هي مفعولة له ، والرب - تعالى - لا يتصف بمفعولاته . ولكن هذه الشناعات لزمت من لا يفرق بين فعل الرب ومفعوله ، ويقول مع ذلك : إن أفعال العباد فعل الله ، كما يقول بذلك الجهم بن صفوان وموافقوه »^(١) . وقال أيضاً : « وأما جمهور أهل السنة : المتبعون للسلف والأئمة ، فيقولون : إن فعل العبد فعل له حقيقة ، ولكنه مخلوق لله ، ومفعول لله ، لا يقولون : هو نفس فعل الله ، ويفرقون بين الخلق والمخلوق ، والفعل والمفعول . وهذا الفرق الذي حكاه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد عن العلماء قاطبة ، وهو الذي ذكره غير واحد من السلف والأئمة ، وهو قول الحنفية وجمهور المالكية والشافعية والحنبلية ، وحكاه البغوي عن أهل السنة قاطبة ، وحكاه الكلاباذي صاحب التعرف لمذهب أهل التصوف عن جميع الصوفية ، وهو قول أكثر طوائف أهل الكلام »^(٢) .

وقال ابن أبي العزّ : « إنَّ فعل العبد فعل له حقيقة ، ولكنه مخلوق لله تعالى ، ومفعول لله تعالى ، ليس هو نفس فعل الله . ففرق بين الفعل

(١) منهاج السنة النبوية (٣ / ١١٢) .

(٢) نفس المصدر (٢ / ٢٩٨) .

والمفعول ، والخلق والمخلوق « (١) .
 وبهذا كله ، يتبين جلياً أنّ مذهب أهل السنة الجماعة هو أنّ الله خالق كلّ شيء ، ولكن الأشياء تضاف إلى خالقها باعتبار ، وإلى أسبابها باعتبار ، فهي من الله مخلوقة له في غيره ، فكما أنّ جميع حركات المخلوقات وصفاتها منه ، فكذلك هي من العبد صفة قائمة به ، فلا شركة بين العبد وبين الرب لاختلاف جهة الإضافة .
 فبناء على ذلك ، لا تنسب المفعولات إلى الله جلّ وعلا ، وإنّما تنسب إلى من فعله وقام به الفعل .



(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٤٤) .

المطلب الثاني

عقيدة أهل السنة والجماعة في المسائل التي أثرت على جهم في هذا الباب

سبق أن بيّنا أنّ هناك سبع مسائل أثرت على جهم بن صفوان في قوله بالجبر ، أمّا هنا فنشير إلى موقف أهل السنة وعقيدتهم في هذه المسائل ^(١) .

١) عقيدتهم في الحكمة والتعليل

إنّ الله جلّ ذكره حكيم عليم ، لا يفعل شيئاً إلا لحكمة وغاية حميدة ، فلا يفعل شيئاً عبثاً ، ولم يترك الخلق سدى . فالله حكيم في خلقه وفي أمره ، وهذه الحكمة تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة . فجميع أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل ، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل ، وهي مقدمة في العلم والإرادة ، متأخرة في الوجود والحصول ^(٢) .

وقد دلّ كلامه ، وكلام رسوله ﷺ على هذا الأمر في مواضع لا تكاد

(١) سبق وأن ذكرت أنني لم أفضل القول في هذه المسائل كثيراً ، إذ ليس هذا محلّه ، وأنّ هذه المسائل طويلة وعميقة . فالمراد من هذا المطلب بيان القول الحقّ في المسألة مع أدلته ، وأنّ جهماً كان بعيداً عن الصواب فيها . ومن أراد التوسّع ، فعليه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، فإنهما تكلّما حول هذه القضايا في ثنايا كتبهما ، وأخصّ بالذكر : المجلّد الثامن من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، و: شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل لابن القيم .

(٢) انظر : منهاج السنة لابن تيمية (١ / ١٤١) .

تحصى ، والقول بإثبات هذه الحكمة هو قول جماهير المسلمين ، من علماء السلف وغيرهم ^(١) .

وهذا الأمر هو أدلّ الدلائل على صدق الرسالة المحمدية إذ هي متضمنة في أحكام الشريعة المنزلة من الحكيم الخبير ، ولولم يأت الرسول ﷺ بمعجزة سواها لكانت كافية شافية ، فإنّ ما تضمنته من الحكم والمصالح ، والغايات الحميدة ، والعواقب السديدة ، شاهد بأنّ الذي شرعها وأنزلها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ^(٢) .

ولقد تكلم حول هذه المسألة الإمام ابن القيم بكلام جميل محرّر ، وقسم الأدلة على إثبات هذه الحقيقة إلى اثنين وعشرين نوعاً ، نذكر على سبيل المثال خمسة منها ^(٣) .

النوع الأول : التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه ، كقوله تعالى :

﴿ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتَذَرُ ﴾ [القمر: ٥]

النوع الثاني : إخباره أنّه فعل كذا لكذا ، وأنّه أمر بكذا لكذا ، كقوله :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] ، و ﴿ وَالْحَيَلِ وَالْإِفْغَالِ وَالْحَمِيرِ لِرَزْكَبُوهَا وَزِينَةٍ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨] .

النوع الثالث : الإتيان بـ (كي) الصريحة في التعليل ، كقوله تعالى ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِنِ

(١) انظر : منهاج السنة لابن تيمية (١ / ٤٤) ، ومجموع الفتاوى (٨ / ٣٧٧-٣٨١) ،

و : شفاء العليل لابن القيم (٢ / ٨٧) .

(٢) انظر : شفاء العليل لابن القيم (٢ / ١٢٤) .

(٣) انظر : نفس المصدر (٢ / ٨٧-١٢٧) .

السَّيْلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿[الحشر: ٧] ، فعَلَّ سُبْحَانَهُ قِسْمَةَ الْفِيءِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَصْنَافِ كَيْ لَا يَتَدَاوِلَهُ الْأَغْنِيَاءُ دُونَ الْفُقَرَاءِ .

النوع الرابع : الإتيان بـ (أَنْ) والفعل المستقبل بعدها تعليلًا لما قبله ، كقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] .

النوع الخامس : الإتيان بـ (مِنْ أَجْلِ) ، وهو من أصرح صيغ التعليل ، كقوله : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢] .

وبالجملة فـ « . . . إِنَّ الْقَوْلَ بِحِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَرَوَى عَنْ صَحَابِي أَوْ تَابِعِي أَوْ مُسْلِمٍ سَالِمٍ مِنْ تَغْيِيرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ خَلْقَهُ عَلَيْهَا ، وَلِذَلِكَ تَقَرَّبَ بِهِ الْعَوَامُ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ، وَيَقَرَّبَ بِهِ كُلٌّ مِنْ لَمْ يَتَلَقَّنْ خِلَافَهُ مِنْ أَتْبَاعِ غَلَاةٍ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى مَا فِيهِمْ مِنْ شَذُوذٍ »^(١) .

ولكن ليس في الحكمة إطلاع كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته في جميع قضاء الله ، الكونية منها والشرعية^(٢) . بل الحكمة تتضمن شيئين : أحدهما : حكمة تعود إليه ، يحبها ويرضاها . والثاني : رحمة تعود على العباد ، وهي نعمة عليهم ، يفرحون بها ويتلذذون بها ، وهذا

(١) من كلام ابن الوزير في إيثار الحق على الخلق (ص ١٩٤) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥١٤ / ٨) .

في المأمورات وفي المخلوقات^(١) . وهذا وجه مخالفة قول أهل السنة لقول المعتزلة وغيرهم ، فإنهم قالوا إِنَّ الحكمة الإلهية تعود إلى العباد ، بمعنى أَنَّ في خلقه وأمره نفعهم والإحسان إليهم فحسب ، بخلاف قول أهل السنة^(٢) .

كما أَنَّ حكمته جلّ وعلا في أفعاله على نوعين :
النوع الأول : حكمة مطلوبة لذاتها ، كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وهذا النوع يقتضي رضا الله ومحبه لهذا الفعل .

والنوع الثاني : حكمة مطلوبة لغيرها ، وتكون وسيلة إلى مطلوب لنفسه ، كما في قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣] وهذا النوع لا يستلزم المحبة أو الرضا .

ونختم الكلام حول هذه المسألة بما قاله ابن القيم رحمه الله : « وجماع ذلك أَنَّ كمال الرب تعالى ، وجلاله ، وحكمته ، وعدله ، ورحمته ، وقدرته ، وإحسانه ، وحمده ، ومجده ، وحقائق أسمائه الحسنى ، تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة ولا لغاية مطلوبة . وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد ببطلانه »^(٣) .

(١) انظر كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٥-٣٦ / ٨) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٨-٣٩ / ٨) .

(٣) شفاء العليل (١٢٣ / ٢) .

٢) عقيدتهم في التحسين والتقبيح العقليين

إنَّ هذه المسألة متعلقة تماماً بالمسألة التي سبقت ، فمن أثبت الحكمة والتعليل ، يلزمه من ذلك إثبات التحسين والتقبيح العقليين . لذلك ، فإنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أنَّ حسن الأفعال وقبحها ثابت بالعقل ، بمعنى أنَّ العقل قد يستقل بدرك حسن أو قبح الأفعال - خاصة المسائل البدئية كحسن التوحيد وقبح الشرك ، وقد لا يستقل بذلك ولا يعرفه مفصلاً في كلِّ أمر بعينه إلا بخطاب الشارع - خاصة في المسائل الدقيقة . والمعتزلة ، وإن وافقوا أهل السنة على هذا القول في الجملة ، إلا أنَّ أهل السنة يقولون إنَّ الثواب والعقاب لا يكون إلا بعد ورود الشرع ، خلافاً للمعتزلة . فهم^(١) في هذا الباب - كغيره من الأبواب - وسط بين الطرفين . ومن الأدلة على إثبات التحسين والتقبيح العقليين قول الله جلَّ وعلا :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدِثُ لَهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

قال شيخ الإسلام : « فدلَّت هذه الآية وغيرها على أنَّ ما أمرهم به هو معروف في نفسه ، تعرفه القلوب ، فهو مناسب لها مصلح لفسادها ، ليس معنى كونه معروفاً أنَّه مأمور به ، إذ هذا قدر مشترك ، فعلم أنَّ ما يأمر به الرسول مختص^(٢) ، وما نهى عنه مختص بأنَّه منكر محذور ، وما

(١) أي : أهل السنة

(٢) كذا في الأصل ، إلا أنَّ السياق يقتضي أن يضاف : (بأنَّه معروف مشروع) ، والله أعلم .

يحله مختص بأنه طيب ، وما يحرمه مختص بأنه خبيث ، ومثل هذا كثير في القرآن وغيره من الكتب ، كالتوراة والإنجيل والزبور ، والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١) .

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨] ، وفعلهم هذا إنما كان قبل نزول الشرع ومع ذلك وصف بالفحش ، وإلا لكان معنى الآية عند المنكرين للتحسين والقبيح : إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ مَا يَنْهَى عَنْهُ ، وهذا التفسير يسان عنه كلام رب البرية .

وأخبر جلّ وعلا عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسل ، كقوله تعالى لموسى : ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [طه: ٢٤] ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّيعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤] .

وقال حذيفة بن اليمان في الحديث المشهور : « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ » ^(٢) إنخ الحديث ، وهو صريح في إثبات الشرّ قبل ورود الشرع .

فالشرّ والسيئ ، والقبيح والظلم ، معلوم قبل مجيء الرسل ، ولكن العقوبة إنما تستحق بمجيء الرسل ، وهذا الذي دلّ عليه الكتاب والسنة ^(٣) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩٣/٤) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢/٤٤٠ ، حديث ٤٦٧١) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦٧٦-٦٨٤/١١) ، فإنه قد بسط الكلام حول هذه المسألة بكلام نفيس . وكذلك في : (٨/٩-١٥) ، و : الرد على المنطقيين (ص ٤٢١ وما بعدها) .

ومن الآيات التي يستدل بها أهل السنة على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [الفصص: ٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٨-٩] .

قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر بعض هذه الآيات : « وما فعلوه قبل مجيء الرسل كان سيئاً وقبيحاً وشرأ ، لكن لا تقوم عليهم الحجة إلا بالرسل . . . والجمهور من السلف والخلف على أن ما كانوا فيه قبل مجيء الرسول من الشرك والجاهلية شيئاً قبيحاً ، وكان شرأ ، لكن لا يستحقون العذاب إلا بعد مجيء الرسول »^(١) .

فالتحسين والتقبيح العقليين ثابتان بالنصوص الشرعية والفطر السليمة^(٢) .

٣) عقيدتهم في الأسباب والطبائع

يقول أهل السنة : إن الله خالق السبب والمسبب ، وهو الذي جعل الشيء سبباً لآخر ، وجعل في الشيء طبيعة بها تؤثر على شيء آخر ، فالنار محرقة ، والماء يروي الغليل ، والخبز يشبع آكله ، كل ذلك بقدرته الله . ولكن الأسباب والمسببات تحت قهره وسلطانه وقدرته ، فإن شاء أبطل السببية ، أو الطبائع ، أو أحال بين السبب والمسبب مانع ، فهو على كل شيء قدير .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦٧٧/١١) .

(٢) انظر : إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص ٣٤١-٣٤٣) .

يقول شيخ الإسلام : « وأما الأسباب المخلوقة كالنار في الإحراق ، والشمس في الإشراق ، والطعام والشراب في الإشباع والإرواء ، ونحو ذلك ، فجميع هذه الأمور سبب لا يكون الحادث به وحده ، بل لا بد من أن ينضم إليه سبب آخر ، ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الأثر ، فكل سبب فهو موقوف على وجود الشروط وانتفاء الموانع ، وليس في المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شيء . . . [إلى أن قال :] والمقصود هنا أن التأثير إذا فُسر بوجود شرط الحادث أو سبب يتوقف حدوث الحادث على سبب آخر وانتفاء موانع - وكل ذلك بخلق الله تعالى - فهذا حق ، وتأثير قدرة العبد في مقدورها ثابت بهذا الاعتبار . وإن فُسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالأثر من غير مشارك معاون ولا معاوق مانع فليس شيء من المخلوقات مؤثراً ، بل الله وحده خالق كل شيء لا شريك له ولا ند له ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . . . » (١) .

والقرآن من أوله إلى آخره مملوء بهذه الحقيقة ، كقوله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٩] و ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤] ، و ﴿ فَيُظْلِمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحُلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٠] ، و ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [المزمل: ١٦] .

فهو الذي جعل الأسباب بقدرته وإرادته ، وخلق المسبب بسببها ، فيخلق السحاب بالريح ، والمطر بالسحاب ، والنبات بالمطر . وفي تأثير الرياح في تكوين السحاب ثم تأثير السحاب في الأمطار ثم تأثر الأمطار في

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣٣ / ٨) .

إخراج الثمار يقول جلّ وعلا : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا نُّفَالًا سَفْنُهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ تَخْرُجُ الْمَوْتُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧] .

والأدلة على تأثير الأسباب كثيرة لا تحصى ، فكل موضع رتب الشارع الحكم الشرعي أو الجزائي على وصف أفاد كونه سبباً له ، وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء ، وكل موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بحرف أفاد التسبيب ، وكل موضع صرح فيه بأنّ كذا جزاء لكذا ، أفاد التسبيب ولوتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع ، ولم نقل ذلك مبالغة ، بل حقيقة ، ويكفي شهادة الحسن والعقل والفطر ^(١) .

فالله جلّ وعلا ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدرأ ، وجعل الأسباب محلّ حكمته في أمره الديني والشرعي ، وأمره الكوني القدري . لذلك ، فإنّ إنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات ، وقدح في العقول والفطر ، ومكابرة للحسن . فقد جعل الله سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم ، والثواب والعقاب ، والحدود والكفارات ، والأوامر والنواهي ، والحلّ والحرمة ، كل ذلك مرتبطة بالأسباب قائمة بها ^(٢) .

فلذلك لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار ، سلب الله صفة الحرارة والإحراق منها ، وقال : ﴿ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] وفي هذا دليل على القوى والطبائع ، إذ لو لم يسلب الله طبيعة النار بذلك

(١) من كلام ابن القيم في شفاء العليل (٨٥ / ٢) .

(٢) من كلام ابن القيم في شفاء العليل (٨٣ / ٢) بتصرف .

الأمر لأحرق إبراهيم بالنار ، وفي ذلك أيضاً دليل على أَنَّ الله قادر على أن يمنع وقوع المسبب بسببه العادي إذا أراد ذلك (١) .

٤ (عقيدتهم في الاستطاعة

لقد تقدّم أنّ تفسير (الاستطاعة) له تأثير مباشر لدى الفرق فيما يذهبون إليه في القدر ، ولقد أنكر جهم الاستطاعة بالكلية ، بينما ذهب المعتزلة إلى أنّه قبل الفعل ، والأشاعرة إلى أنّه مصاحب للفعل (٢) .

أما أهل السنة والجماعة ، فقد فصلوا في الأمر وقالوا : (الاستطاعة) جاءت في الكتاب والسنة على نوعين : نوع مصحّح للفعل ويكون قبل الفعل ، وهي التي بمعنى الصحة والوسع والتمكّن وسلامة الآلات . ونوع موجب لذلك الفعل ، مصاحب ومقارن له .

فأما النوع الأول ، فهي التي تكون عليها مناط الأمر والنهي ، والوجوب وعدمه . ومن الأمثلة على هذا النوع ، قوله تعالى : ﴿ وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْفِقُوا لِلّٰهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] ، وقوله جلّ ذكره : ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيِّئَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [النساء: ٢٥] ، وغيرها من الآيات الكثير في هذا المعنى .

فلو كانت الاستطاعة هي مجرد ما تصاحب الفعل ، لم يكن لقوله تعالى ﴿ وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] معنى ، إذ لم يجب الحجّ إلا على من حجّ ، فلا يكون من لم يحج عاصياً بترك

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩٢/٤) .

(٢) انظر : القضاء والقدر للمحمود (ص ٢٦٥-٢٧٠) .

الحج سواء كان له زاد وراحلة وهو قادر على الحج أولم يكن^(١) ، وكذلك في بقية الآيات : لو كانت الاستطاعة هي مجرد ما تصاحب الفعل ، لما كانت لها معانٍ مقبولة .

فهذه الآيات متعلقة بالاستطاعة التي هي قبل الفعل ، وعليها مناط التكليف والحكم .

وأما النوع الثاني ، فهي التي توجب الفعل ، وتكون مع الفعل ، كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [الكهف: ١٠١] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يُضْغَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ أَسْمَعَ وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ ﴾ [هود: ٢٠] ولو كانت الاستطاعة هي مجرد ما قبل الفعل ، من صحة الآلات والوسع ، لكان معنى الآية أنهم صم عمياء ولكن المراد من الآية نفي حقيقة القدرة ، لا نفي الأسباب والآلات ، لأنها كانت ثابتة^(٢) . فالمشركون كرهوا سماع الحق ولم ينتفعوا به ، لا لعجزهم عن ذلك ، بل لكرههم الشديد وبغضهم له ، كما أن العدو الحاسد لا يستطيع الإحسان إلى من يكرهه ويحسده ، لا لعجز في نفسه ، ولكن لشدة ما في قلبه من العداوة والكراهة والحسد .

فهذه الآيات متعلقة بالاستطاعة التي بمعنى القدرة ، والتي توجب الفعل وتكون مصاحبة له .

ولقد جمع الله بين هذين النوعين في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ * خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ زَهْفُهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيلُونَ ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣] . فلقد وصفهم الله تعالى بأنهم كانوا

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢٩/٨) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٣٤) .

قادرين على السجود في الدنيا لَمَّا دعوا إليه ، ولكنهم لم يسجدوا كرهاً وبغضاً للاستسلام لله ، ثم يوم القيامة لا يستطيعون السجود لعدم قدرتهم على ذلك .

وهذا التفصيل هو قول عامة أهل السنة . قال الطحاوي في عقيدته : « والاستطاعة التي يجب بها الفعل ، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به ، تكون مع الفعل . وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات ، فهي قبل الفعل ، وبها يتعلق الخطاب » (١) .

وقال شيخ الإسلام : « وفصل الخطاب أن الاستطاعة جاءت في كتاب الله على نوعين : الاستطاعة المشترطة للفعل ، وهي مناط الأمر والنهي . . . والاستطاعة التي يكون معها الفعل ، قد يقال هي المقترنة بالفعل ، الموجبة له » (٢) .

وبهذا التفصيل يجمع بين الآيات الواردة في هذا الباب ، وتزول الإشكالات الواردة من قول الأشاعرة والمعتزلة .

٥ (عقيدتهم في جواز تكليف ما لا يطاق

إن الله جلّ وعلا رحيم بعباده ، حلیم بهم ، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر ، فلذلك لا يكلفهم إلا ما يطيقون . قال تعالى : ﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا

(١) العقيدة الطحاوية مع الشرح (ص ٤٣٢) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٩٠-٢٩١) . وانظر كذلك : (١٢٩/٨) و (٣٢/١٠) .

إِلَّا مَا ءَاتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿ [الطلاق: ٧] ، وكذلك قوله جل وعلا : ﴿ فَأَنفُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .

ولقد ذهبت كل فرقة من الفرق التي تكلمت في القدر بما يناسب قولهم فيه . فالمعتزلة قالوا بعدم جواز التكليف بما لا يطاق ، والأشاعرة قالوا بالجواز (على تفصيل سنذكره في الفصل القادم) . أما أهل السنة ، فقالوا : إنَّ القول الصواب في هذه المسألة التفصيل ، فإنَّ (التكليف بما لا يطاق) يأتي على وجهين ، والأول منه هو الذي نفاه الشارع ، أما الثاني فهو جائز ، ولكن لا يطلق عليه (التكليف بما لا يطاق)^(١) .

فالنوع الأول : هو التكليف بما لا يقدر عليه لاستحالته ، إما لأنه ممتنع عادة لذاته (كتكليف الأعمى بالبصر) ، أو لأنه ممتنع لنفسه (كالجمع بين الضدين) .

والنوع الثاني : التكليف بما لا يقدر عليه الإنسان لا لعجز أو استحالة ، ولكن لترك أو لا اشتغال بضده ، كتكليف الكافر بالإيمان حال كفره . إلا أن علماء السلف نهوا عن إطلاق تسميته بـ (تكليف ما لا يطاق) ؛ لئلا يشبهه مع النوع الأول .

ولقد قال شيخ الإسلام إنَّ إطلاق القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام ، وهو إطلاق القول بأنَّ العبد مجبور على أفعاله ، وقد اتفق السلف والأئمة على إنكار هذا الإطلاق^(٢) .

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨ / ٢٩٤ - ٣٠٢) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١ / ٦٥) ، و : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨ / ٢٩٣) .

ونَصَّ الطحاوي على هذا الأمر في عقيدته إذ قال : « ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ، ولا يطيقون إلا ما كلفهم » ثم قال شارحه : « لم يكلفهم الله إلا ما يطيقون ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، ﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام: ١٥٢] » (١) .

ومن الحكايات الطريفة في هذا الباب ، أن حمّالاً من عوام المسلمين ناظر النظام ، إمام المعتزلة في وقته ، فقال له النظام : « كلف الله العباد ما لا يطيقون ؟ » ، فأجاب : « كلفهم ما لا يطيقونه إلا به » ، فانقطع النظام ومضى الحمّال (٢) .

٦ (عقيدتهم في تفسير الظلم

إنَّ الله جلَّ وعلا قد نفى الظلم عن نفسه في غير ما آية من كتابه ، حيث قال جلَّ ذكره : ﴿ مَا يَدُلُّ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩] وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] وكذلك ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٧] .

وقال النبي ﷺ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي ! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ حَرَامًا ، فَلَا تَظَالَمُوا » (٣) فالله تعالى حرّم على نفسه الظلم ، ونفى هذه الصفة القبيحة عن نفسه ، ولو كان الظلم في حقه ممتنعاً لم يمدح على هذا الوصف ، ولم يحرمه على نفسه ، فلما نفاه

(١) شرح ابن أبي العزّ للعقيدة الطحاوية (ص ٤٤٥) .

(٢) الحجة على تارك المحجة ، للأصبهاني (٧٨/٢) .

(٣) أخرجه مسلم عن أبي ذرّ ، في كتاب الأدب ، باب تحريم الظلم (٣٤٨/١٦) ، حديث (٦٥١٧) .

اقتضت ذلك ، ولا يلزم إذا كرهها للعبد لكونها تضر العبد ، ويبغضها - أيضاً - أن يكره أن يخلقها هولما له فيها من الحكمة ، فإن الفعل قد يحسن من أحد المخلوقين ويقبح من الآخر لاختلاف حال الفاعلين ، فكيف يلزم أنه ما قبح من العبد قبح من الرب ، مع أنه لا نسبة للمخلوق مع الخالق ؟ وإذا كان المخلوق قد يريد ما لا يحبه ، كإرادة المريض لشرب الدواء الذي يبغضه ، ويحب ما يريده كمحبة المريض الطعام الذي يضره ، ومحبة الصائم الطعام والشراب الذي لا يريد أن يأكله ، ومحبة الإنسان للشهوات التي يكرهها بعقله ودينه ، فقد عقل ثبوت أحدهما دون الآخر ، وأن أحدهما ليس بمستلزم للآخر في المخلوقات ، فكيف لا يمكن ثبوت أحدهما دون الآخر في حق الخالق - تعالى - ؟ وقد يقال : كل هذه الأمور مرادة محبوبة ، لكن فيها ما يراد لنفسه ، فهو مراد بالذات محبوب لله مرضي له ، وفيها ما يراد لغيره ، وهو مراد بالعرض لكونه وسيلة إلى المراد المحبوب لذاته . فالإنسان يريد العافية لنفسه ، ويريد شرب الدواء لكونه وسيلة إليها ، وهو يريد ذلك من هذه الجهة ، وإن لم يكن محبوباً في نفسه . وإن كان المراد ينقسم إلى : مراد لنفسه - وهو المحبوب لنفسه ، وإلى مراد لغيره ، لكونه وسيلة إلى غيره - وهذا قد لا يحب لنفسه . . . أمكن أن يجعل الفرق بين المحبة والإرادة من هذا الباب . والإرادة نوعان : فما كان محبوباً فهو مراد لنفسه ، وما كان غير محبوب فهو مراد لغيره ^(١) .

وبهذا التفصيل تزول الإشكالات الواردة من القدرية والجبرية .

(١) منهاج السنة (٣ / ١٦٣ - ١٦٤) .

المطلب الثالث

موقف أهل السنة من لفظ (الجبر)

إنَّ لفظ (الجبر) لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ، وموقف أهل السنة من مثل هذه الألفاظ أن يتوقف في اللفظ ويستفسر عن المعنى ، فإن كان المعنى صحيحاً موافقاً للنصوص ، ليس فيه غموض أو إجمال أو لازم مخالف للنصوص ، فلا مانع من استعماله . وإن كان غير ذلك ، فيترك اللفظ بالكلية .

وإنَّ لفظ (الجبر) من هذا القبيل ، ففيه معنى مخالف للكتاب والسنة ، حيث يوهم أنه ليس للعبد اختيار ولا قدرة ولا مشيئة . لذلك فقد كره أكثر السلف استعمال هذا اللفظ المجمل .

قال بقية : « سألت الأوزاعي والزيدي عن الجبر . فقال الزيدي : أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يقهر ، ولكن يقضي ، ويقدر ، ويخلق ، ويجبل عبده على ما أحب . وقال الأوزاعي : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن والسنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل ، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ »^(١) .

والظاهر أنَّ جواب الأوزاعي هذا كان بعد استفساره من أبي إسحاق الفزاري عن هذا اللفظ ، فقد جاء إليه مرة وقال له : « أتاني رجلان فسألاني عن القدر ، فأحببت أن آتيك بهما تسمع كلامهما وتجيبهما » .

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (ص ١٠٩) ، والخلال في السنة (٣ / ٥٥٥) والذالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤ / ٧٧٥)

فقال له أبو إسحاق : « رحمك الله ، أنت أولى بالجواب » ، ثم قال الرجلان لأبي إسحاق : « قدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا في القدر ونازعناهم حتى بلغ بنا وبهم الجواب إلى أن قلنا : إنّ الله قد جبرنا على ما نهانا عنه ، وحال بيننا وبين ما أمرنا به ، ورزقنا ما حرّم علينا » .

قال الأوزاعي : « أجبهما يا أبا إسحاق ! »

فقال : « رحمك الله ، أنت أولى بالجواب » ، فأصرّ الأوزاعي على أن يجيب هو .

فقال أبو إسحاق : « يا هؤلاء ، إن الذين أتوكم بما أتوكم قد ابتدعوا بدعة وأحدثوا حدثاً ، وإنني أراكم قد خرجتم من البدعة إلى مثل ما خرجوا إليه » فقال الأوزاعي : « أصبت وأحسن يا أبا إسحاق »^(١) .

وعاب الإمام أحمد على رجلٍ كان يقول : إنّ الله جبر العباد على فعلهم ، وقال عن آخر : « بشّ ما قال » ، ولمّا سأله المروزي عن هذا اللفظ أجاب : « هكذا لا تقول » وأنكر عليه^(٢) .

وقال رجل لأحمد بن رجاء : « إنّ الله لم يجبر العباد على المعاصي » ، فردّ عليه أحمد بن رجاء : « إنّ الله جبر العباد » ، أراد بذلك إثبات القدر ، فوضع أحمد بن علي كتاباً يحتج فيه - أي يثبّ هذا اللفظ ، فأدخله المروزي على الإمام أحمد وأخبره بالقصة ، فقال - كالمستنكر عليه « ويضع كتاباً ؟ » ، فأنكر عليهما جميعاً : علي ابن رجاء حين قال : جبر العباد ، وعلى القدري الذي قال : لم يجبر العباد ، وأنكر على أحمد بن

(١) السنة للخلال (٣ / ٥٥٤ - ٥٥٥) بتصرف .

(٢) انظر : نفس المصدر (٣ / ٥٤٩ - ٥٥٠) .

علي وضعه الكتاب ، وأمر بهجرانه لسبب ذلك ، وقال : « كلما ابتدع رجل بدعة اتسعوا في جوابها » ، ثم قال : « يجب على ابن رجاء أن يستغفر ربه لما قال : جبر العباد » .

فسأله المروزي : « فما الجواب في هذه المسألة ؟ » ، فقال : « يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء »^(١) .

وأنكر سفيان الثوري لفظ (الجبر) وقال : « الله عز وجلّ جبل العباد »^(٢) ، وغضب على آخر لما قال إن الله جبر العباد على المعاصي ، وقال : « لا أدري ما الجبر ؟ ، ولكنّي أقول : لم يجد من إتيانه بدأ »^(٣) .

وقال ابن قدامة : « ونعلم أنّ الله سبحانه وتعالى . . . لم يجبر أحداً على المعصية ولا اضطره إلى ترك طاعة »^(٤) .

فهذه النقولات الصريحة تثبت أنّ علماء السلف أنكروا استعمال هذا اللفظ لما فيه من الغموض والإجمال ، ولأنه يوهم أنّه ليس للإنسان مشيئة أصلاً^(٥) .

(١) نفس المصدر (٥٥٢/٣) بتصرف .

(٢) نفس المصدر (٥٥٣/٣) .

(٣) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٧٤/٢) .

(٤) لمعة الاعتقاد (ص ١٨٦) .

(٥) قد ورد استعمال هذا اللفظ عن بعض السلف ، مثل محمد بن كعب القرظي ، حيث قال في تفسير اسم الله (الجبار) إنه (الذي يجبر العباد على ما أراد) ، ولكن يحمل هذا على أنّه قصد قهر الله وقدرته وأنّه يفعل ما يشاء ، لا معقّب لحكمه ، وإذا شاء شيئاً وقع لا محالة . ولكنّ عامة السلف - كما يتّنا - أنكروا إطلاق هذا اللفظ لما فيه من المعاني المخالفة للنصوص . انظر : شفاء العليل لابن القيم (ص ١٢١)

يقول شيخ الإسلام : « وكذلك لفظ الجبر ، فيه إجمال يراد به إكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه ، كما يقال : إنَّ الأب يجبر المرأة على النكاح ، والله تعالى أجلّ وأعظم من أن يكون مجبراً بهذا التفسير ، فإنه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله ، وليس ذلك جبراً بهذا الاعتبار . ويراد بالجبر خلق ما في النفوس من الاعتقادات والإرادات ، كقول محمد ابن كعب القرظي : الجبار الذي جبر العباد على ما أراد . وكما في الدعاء المأثور عن علي : جبار القلوب على فطراتها : شقيها وسعيدها . والجبر ثابت بهذا التفسير . فلما كان لفظ الجبر مجملاً نهى الأئمة الأعلام عن إطلاق إثباته أونفيه » (١) .

وقال في موضع آخر إنَّ إطلاق القول بأنَّ الله يجبر الناس على أفعالهم بدعة مذمومة ، وقد اتفق السلف وأئمتها على إنكار ذلك وذم من يطلقه ، مع أنَّ هذا اللفظ قد يقصد به الردّ على القدرية الذين لا يقرون بأنَّ الله خالق أفعال العباد ، ولكن إطلاقه يحتمل معنى صحيحاً ومعنى فاسداً ، ثم ليس هناك إمام من السلف يقتدى به في إطلاق هذا اللفظ ، فلذلك قال السلف إنَّ هذا اللفظ ردّ بدعة بدعة ، وقابل الفاسد بالفاسد ، والباطل بالباطل (٢) .



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣٢ / ٨) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣ / ٣٢٣ - ٣٢٦) .

افصل ثانى

اثر هذه المقالة في الفرق الاسلاميه

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : أثر مقالة جهيم في القدر على الأشاعرة
المبحث الثاني : أثر مقالة جهيم في القدر على الفرق الأخرى

تمهيد

إنّ هذا الفصل هو من أبرز نقاط الخلاف بين الجهمية والمعتزلة ، إذ إنهم على طرفي نقيض فيه ، هؤلاء جبرية خالصة ، وهؤلاء قدرية بحتة . وهذه المسألة هي أصل التفريق بين الجهمية والمعتزلة ، فالمعتزلة جهمية في جميع المسائل إلا في مسألة القدر ، فإنهم اختلفوا عنهم . ومن العجيب المتناقض أنّ الأشاعرة الذين يزعمون أنّهم أعداء الجهمية وافقت جهماً في هذه المسألة موافقة تكاد تكون تامة . وهذا ما سنبينه في هذا الفصل .

أما الماتريدية ، فقد ابتدعوا قولاً آخر ، هو أقرب إلى قول المعتزلة منه إلى قول الجهمية ، لذلك سأبين موقفهم بالإجمال ، مع التركيز على قول الأشاعرة

* * * *

المبحث الأول

أثر مقالة جهنم في القدر على الأشاعرة

وفيه سبعة مطالب :

- المطلب الأول : قول الأشاعرة في القدر .
- المطلب الثاني : تطوّر الأشاعرة في هذا المجال .
- المطلب الثالث : حقيقة الكسب عند الأشاعرة .
- المطلب الرابع : أثر قولهم في (أخصّ وصف لله تعالى) على مقالتهن في القدر .
- المطلب الخامس : قولهم في المسائل المتعلقة بالقدر .
- المطلب السادس : شهادات الأشاعرة على أنفسهم في ميلهم إلى الجبر .
- المطلب السابع : الفرق بين الماتريدية والأشاعرة في هذا الباب .

* * * *

المطلب الأول

قول الأشاعرة في القدر

إنَّ عقيدة الأشاعرة في هذا الباب وضعت من قبل مؤسس الفرقة - أعني أبا الحسن الأشعري - نفسه . فقد وافق السلف في إثبات المراتب الأربعة للقدر - وهي : العلم ، والكتابة ، والمشيئة ، والخلق - ولكنه خالف أهل السنة فيما يتعلق بجانب العبد ، وابتدع نظرية (الكسب) . وحاصل مذهبه أنَّ للإنسان قدرة ، ولكنَّ هذه القدرة لا تأثير لها في إحداث الحدث ، إلا أنَّ الله تعالى أجرى سنته بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة الفعل الحاصل إذا أَراده ، ويسمى هذا الفعل (كسباً) ، فيكون خلقاً من الله تعالى إبداعاً وإحداثاً ، وكسباً من العبد مجعولاً تحت قدرته ^(١) .

قال الأشعري : « اختلف الناس في معنى القول إن الله خالق . فقال قائلون : معنى أن الخالق خالق أن الفعل وقع منه بقدرة قديمة فإنه لا يفعل بقدرة قديمة إلا خالق ، ومعنى الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثة فكل من وقع منه الفعل بقدرة قديمة فهو فاعل خالق ومن وقع منه بقدرة محدثة فهو مكتسب ، وهذا قول أهل الحق » ^(٢) . وقال أيضاً : « اختلف الناس في معنى مكتسب . فقال قوم من المعتزلة : معناه أن الفاعل فعل بآلة وبجارية وبقوة مخترعة . . . والحقَّ عندي أنَّ معنى الاكتساب هو أن يقع الشيء بقدرة محدثة فيكون كسباً لمن وقع بقدرته » ^(٣) . وقال : « إنَّ أحدًا

(١) انظر كلام الشهرستاني في تفسير موقف أبي الحسن في الملل والنحل (١ / ٨٤) .

(٢) مقالات الإسلاميين (٢ / ٥٣٩) .

(٣) نفس المصدر (٢ / ٥٤٢) .

لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله . . . وإنه لا خالق إلا الله ، وإن سيئات العباد يخلقها الله ، وإن أعمال العباد يخلقها الله ، وإن العباد لا يقدرّون أن يخلقوا منها شيئاً «^(١) .

ولقد فصل قوله في القدر في كتابه (اللمع) ، واحتج على المعتزلة بأدلة عقلية ونقلية ، ومما استدللّ به من الأدلة العقلية أنا نجد أنّ الكافر يقصد أن يكون الكفر حسناً وحقاً ، ولكن نعلم أنّه قبيح فاسد باطل ، فتبين من ذلك أنّ الإنسان لو كان هو الفاعل حقاً لأفعاله لأتت هذه الأفعال على نحو ما يشتهي ويقصد ، ولكن لما كانت لا تأتي كذلك ، فلا بدّ أن ثمّ فاعلاً حقيقياً آخر ، غير الإنسان ، وهو الله تعالى ، ثمّ قال : « فإن قال قائل : فلم لا دلّ وقوع الفعل الذي هو كسب على أنّه لا فاعل له إلا الله ، كما دلّ على أنّه لا خالق له إلا الله ؟ قيل له : كذلك نقول «^(٢) .

وقد بين عبد القاهر البغدادي مثلاً للكسب فقال : « وقد ضرب بعض أصحابنا للاكتساب مثلاً ، في الحجر الكبير ، قد يعجز عن حمله رجل ، ويقدر آخر على حمله منفرداً به . إذا اجتمعا على حمله كان حصول الحمل بأقواهما ، ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملاً . كذلك العبد ، لا يقدر على الانفراد بفعله ، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد ، قدر عليه ووجد مقدوره ، فوجوده على الحقيقة بقدرته الله تعالى لا يخرج مع ذلك المكتسب من كونه فاعلاً ، وإن وجد الفعل بقدرته الله تعالى «^(٣) .

(١) نفس المصدر (٣٢١ / ١)

(٢) كتاب اللمع (ص ٧٢) .

(٣) أصول الدين (ص ١٣٤) .

وقارن خلق الله أفعال العباد بخلقه تعالى للونه وجسمه ، فقال :
 « واختلفوا في إكساب العباد وأعمال الحيوانات على ثلاثة مذاهب :
 أحدها قول أهل السنة [يقصد الأشاعرة] أن الله عز وجل خالقها كما أنه
 خالق الأجسام والألوان والطعوم والروائح ، لا خالق غيره ، وإنما
 العباد مكتسبون لأعمالهم . والمذهب الثاني قول الجهمية إن العباد
 مضطرون إلى الأفعال المنسوبة إليهم ، وليس لهم فيها اكتساب ولا لهم
 عليها استطاعة . . . والمذهب الثالث قول القدرية الذين زعموا أن
 العباد خالقون لأكسابهم »^(١) . ويلاحظ أنه جعل الجهمية قسماً
 للأشاعرة ، ولكنه لم يستطع أن يفرق بين حقيقة قوله وقولهم إلا بأمرين :
 الأمر الأول إثبات الكسب للعبد ، والأمر الثاني إثبات استطاعته ، وهذا
 مهم جداً لأن (الكسب) لا معنى له ، والاستطاعة التي أثبتوها لا تأثير
 لها على الفعل ، فوجوده كعدمه ، فآل بهم الأمر إلى قول المجبرة .
 وأورد البغدادي اعتراض المعتزلة على الأشاعرة من أنه لو كان الكسب
 فعلاً لله وللعبد معاً ، لاشتركا فيه ، فأجاب بأن حدوثه ليس منهما حتى
 يكونا شريكين في إحداثه ، وإنما الله عز وجل خالق الكسب ، والعبد
 مكتسب له ، كما أن الله خالق حركة العبد والعبد متحرك ، ولا يجب
 الشركة في مثل هذا^(٢) .

ولصعوبة فهم هذه النظرية ، لم يعتنقها بعض كبار الأشاعرة ، مما جعل
 أقوال الأشاعرة في هذه المسألة متضاربة ، لذا سأذكر تطوّر آرائهم بإيجاز .

(١) نفس المصدر (ص ١٣٤-١٣٥) .

(٢) انظر : أصول الدين (ص ١٣٧) .

المطلب الثاني

تطور الأشاعرة في هذا المجال

قد بينا فيما سبق أنّ أصل عقيدتهم في هذا الباب من وضع الأشعري نفسه ، إلا أنّ كثيراً من أتباعه حاولوا تعديله وتطويره ، حتى انتهى بهم الأمر إلى أن يقاربوا موقف الحق ، ثم رجعوا شيئاً فشيئاً إلى قول مؤسسهم أبي الحسن الأشعري ، وهذا من الأمور العجيبة عند الأشاعرة ، لأنهم في عامة مسائل الاعتقاد قد تطوروا إلى موقف الاعتزال ، ولكنهم في هذه المسألة تطوروا إلى الحق ثم رجعوا إلى أصولهم الجهمية .

فالباقلائي - ويعتبر المؤسس الثاني للمذهب - لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في إيجاد الفعل ، ولكن أثبت لها أثراً في صفة زائدة على الفعل ، ثم اختلف قوله في هذا الأثر الزائد ، فقال تارة إنه لا أثر للقدرة القديمة فيه أصلاً ، وقال تارة بتأثير القدرة القديمة فيه ، فأثبت مخلوقاً بين خالقين^(١) . وحقّق بعض الباحثين في هذه المسألة ووصل إلى أنّ الباقلائي ذهب إلى أنّ الفعل واقع بقدرة العبد بوصفه طاعة أو معصية ، فيترتب على قدرته الثواب والعقاب^(٢) . ونُسب إلى الإسفرائيني وابن فورك هذا القول الثاني في الأثر الزائد .

ثم جاء أبو المعالي الجويني ووافق الأشاعرة على قولهم في بداية الأمر ، كما هو موجود في كتابه (الإرشاد)^(٣) ، ولكنّه في آخر حياته تخطّى هذا

(١) انظر : غاية المرام للآمدي (ص ٢٠٧)

(٢) انظر : القضاء والقدر للمحمود (ص ٣١٤) .

(٣) انظر : الإرشاد (ص ١٨٧-١٨٩) ، حيث أورد أقوال بعض الأشاعرة في المسألة ثم توصل إلى « القطع بأن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها أصلاً » .

قليلاً ، فصّرَح في كتابه (العقيدة النظامية) - وهو آخر ما كتب في العقيدة - بتأثير القدرة الحادثة في إيجاد الفعل ، ولم يجعل للقدرة القديمة فيه تأثيراً إلا بواسطة إيجاد القدرة الحادثة عليه . وقرر أنّ الفعل يقع بتأثير القدرة الإنسانية وحدها ، التي هي مخلوقة لله تعالى بعد توفر دواعيه وأسبابه^(١) ، بل وصّرَح أنّ نفي القدرة والاستطاعة أمر يأباه العقل والحسّ . وعند الجويني أنّ الله جل وعلا خالق الأسباب ومسبباتها ، غير أنّ كل سبب مستغن من وجه ومحتاج من وجه ، والباري تعالى هو الغني المطلق الذي لا حاجة له ولا فقر^(٢) . كما أنّه أنكر على المعتزلة قولهم إنّ مقدورات العباد لا تدخل في مقدورات الله ، وقال إنّها مخلوقة لله بحكم خلقه للعبد وقدرته الحادثة^(٣) .

ولقد وصف ابن الوزير اليماني قول الجويني أنّه (أقرب فرق الأشعرية إلى المعتزلة في هذه المسألة)^(٤) ، والحق أنّ أبا المعالي قد قارب قول أهل السنة في هذه المسألة ، فكان قاب قوسين أو أدنى . ثم بدأ الأشاعرة بعده يتراجعون شيئاً فشيئاً إلى عقيدة الأشعري نفسه ، فالغزالي قارب قول الباقلاني ، وقال بأنّ أفعال العباد واقعة بمجموع

(١) ومما قال : « قدرة العبد مخلوقة لله تبارك وتعالى باتفاق العالمين بالصانع ، والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعاً » . انظر : العقيدة النظامية (ص ٤٦) . وهذه مخالفة صريحة لما قرره أبو الحسن الأشعري وأئمة الأشاعرة .

(٢) انظر : الملل والنحل للشهرستاني (٨٦/١) .

(٣) انظر : العقيدة النظامية للجويني (ص ٤٢-٥٣) .

(٤) إيثار الحق على الخلق ، لابن الوزير (ص ٢٨٥) .

القدرتين على فعل واحد ، فقدرة الرب لها تعلق وقدرة العبد لها تعلق
 لآخر . قال الغزالي بعد أن بين بطلان قول المعتزلة والمجبرة : « الحق
 إثبات القدرتين على فعل واحد . . . [و] إن اختلفت القدرتان واختلف
 وجه تعلقهما ، فتوارد التعلقين على شيء واحد غير محال »^(١) .
 ولكن الشهرستاني والآمدي وقفا مع أبي الحسن الأشعري تماماً ،
 وأرجعا قول الأشاعرة إلى أصلهم .

فقد قال الآمدي حاكياً قول الأشعري ومدافعاً عنه : « مذهب الشيخ
 أبي الحسن الأشعري أنه لا تأثير للقدرة الحادثة في حدوث مقدورها ولا
 في صفة من صفاته ، وإن أجرى الله تعالى العادة بخلق مقدورها مقارناً
 لها ، فيكون الفعل خلقاً من الله تعالى إبداعاً وإحداثاً ، وكسباً من العبد
 لوقوعه مقارناً للقدرة »^(٢) . وقال : « إن أفعال العباد مضافة إليهم
 بالاكْتِسَاب وإلى الله تعالى بالخلق والاختراع ، وإنه لا أثر للقدرة
 الحادثة فيها أصلاً »^(٣) .

ورد الشهرستاني على قول أبي المعالي بقوة في كتابه (الملل والنحل)
 ووصفه بأنه مأخوذ من (الحكماء) يعني الفلاسفة ، كما وصفه بأن
 قوله « ليس من مذهب الإسلاميين »^(٤) ، وفي كتابه (نهاية الأقدام)
 قال : « وغلا إمام الحرمين حيث أثبت للقدرة الحادثة أثراً . . . وإنما

(١) انظر : الإقتصاد في الاعتقاد (ص ٥٩) .

(٢) نهاية الأبحار للآمدي (١ / ٢١٥ ب) - نقلاً عن الآمدي وآراؤه الكلامية للشافعي
 (ص ٤٧٤) .

(٣) غاية المرام للآمدي (ص ٢٠٧) .

(٤) انظر : الملل والنحل (ص ٨٦) .

سلك في مسلك الفلاسفة «^(١) ، وتكلم عن الإرادة والمشئة وبين عقيدة الأشاعرة^(٢) .

وهكذا استقر الأمر عند الأشاعرة في نهاية المطاف على ما قرره أبو الحسن في كتابه (اللمع) .

قال الإيجي : « إن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدره الله سبحانه وحدها »^(٣) ، وأكد شارح كلامه أن قدرة العبد لا تؤثر في الفعل ، بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً ، فإذا لم يكن هناك مانع ، أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لقدرته ، فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً ، ومكسوباً للعبد . والمراد بالكسب هو مقارنة فعل الإنسان لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك تأثير في نفس الفعل^(٤) . وقال صاحب جوهره التوحيد^(٥) :

وعندنا للعبد كسب كلّفا ولم يكن مؤثراً فلتعرفا
فليس مجبوراً ولا اختياراً وليس كلاً يفعل اختياراً
فإن يثبنا فبمحض الفضل وإن يعذب فبمحض العدل
وشرح هذه الأبيات البيجوري ، ومما ذكر أن العبد ليس له في أفعاله الاختيارية إلا الكسب ، ثم أورد إشكالاً وهو أن من الأمور البدئية التفريق

(١) نهاية الأقدام (ص ٧٨) .

(٢) انظر : نفس المصدر (ص ٢٣٨-٢٦٨) .

(٣) المواقف (ص ٣١٠) .

(٤) انظر : شرح المواقف للجرجاني (٢١٤ / ٣) .

(٥) جوهره التوحيد مع شرحه للبيجوري (ص ١٧٥) .

بين الأفعال الاختيارية والأفعال الاضطرارية ، فلا بد من أن يكون للإنسان نوع تأثير في أفعاله الاختيارية ، وأجاب عن هذه الشبهة بقوله : « احتجنا في التخلص من هذا المضيق بأن الله تعالى خالق للفعل ، ولكن للعبد في الاختياري منه كسب » مع التأكيد بأن الإنسان ليس له تأثير في أفعاله . فلما اعترض على هذا بأنه يؤدي إلى الجبر لا محالة ، أجاب « بأنه تعالى لا يسأل عما يفعل » ، ثم بين أن الثواب والعقاب يرجع إلى محض المشيئة ، فيجوز أن يعذبنا أو يثيبنا ، لأنه لا أثر لنا في أعمالنا ، فلم نستحق شيئاً عليها^(١) .

قال شيخ الإسلام ، ملخصاً قول الأشاعرة في هذا الباب : « وهؤلاء المتبعون لجهم يقولون : إن العبد ليس بفاعل حقيقة ، وإنما هو كاسب حقيقة ، ويشتون مع الكسب قدرة لا تأثير لها في السبب ، بل وجودها وعدمها بالنسبة إليه سواء ، ولكن قرنت به من غير تأثير فيه . . » إلى أن قال إنهم يقولون : « إن الخلق هو المخلوق ، والفعل هو المفعول ، وقد جعلوا أفعال العباد فعلاً لله ، والفعل عندهم هو المفعول ، فامتنع مع هذا أن يكون فعلاً للعبد ، لثلا يكون فعل واحد له فاعلان »^(٢) .



(١) انظر : شرح جوهرة التوحيد (ص ١٧٥-١٧٧) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٦٧/٨-٤٦٨) .

المطلب الثالث

حقيقة (الكسب) عند الأشاعرة

بيّن علماء السنة أنّ نظرية (الكسب) عند الأشاعرة لا حقيقة لها ، فهم فسّروه بأنّه عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة ، مع عدم تأثير هذه القدرة الحادثة في المقدور . فزعمهم بأنّ العبد ليس بفاعل ، ولا له قدرة مؤثرة في الفعل ، ثمّ ادّعاهم أنّه (كاسب) لفعله ، أمر لا حقيقة له ، بل هو عين الجبر . ويلزم من ذلك أن يكون الفرق بين الحركات الاضطرارية والاختيارية مجرد اقتران قدرة لا أثر لها في المقدور ، هذا مخالف للحسّ والعقل^(١) .

لذلك ، فقد استطال المعتزلة على الأشاعرة في هذه المسألة ، « واضطروهم إلى أن جعلوا نفس ما يفعله العبد من القبيح فعلاً لله رب العالمين دون العبد ، ثم أثبتوا كسباً لا حقيقة له ، فإنّه لا يعقل من حيث تعلّق القدرة بالمقدور فرق بين الكسب والفعل . ولهذا صار الناس يسخرون ممن قال بهذا ، ويقولون : ثلاثة أشياء لا حقيقة لها : طفرة النظام ، وأحوال أبي هاشم ، وكسب الأشعري . . . »^(٢) ، ووصف شيخ الإسلام قولهم بالكسب في موضع آخر بأنه أمر لا يعقل^(٣) . وذكر ابن القيم أنّ الكسب الذي أثبتته الأشاعرة لفظ لا معنى له ، ولا

(١) انظر : لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٣١٢/١) .

(٢) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٢٨/٨) .

(٣) انظر : منهاج السنة لابن تيمية (٤٦٣/١) .

حاصل تحته^(١) .

كما وصف القاضي عبد الجبار قول الأشاعرة في الكسب بأنه ليس بمعقول^(٢) . وعقد باباً بعنوان : (باب على القائلين بالكسب) ، بدأه ببيان قول جهنم بشيء من التفصيل ، ثم قال : « ولما رأت المجبرة تهافت هذا القول من جميع الجهات ، جعلوا هذا التصرف معلقاً بنا من جهة ، ومن عند الله بجهة أخرى ، فقالوا : هو كسب ما خلق من الله »^(٣) . كما ادعى أن الأشاعرة إنما ابتدعوا هذا اللفظ لما أرادوا أن يفروا من لوازم قول جهنم^(٤) .



-
- (١) شفاء العليل لابن القيم (ص ٣١٣) .
 (٢) انظر : المحيط بالتكليف (ص ٣٦٤) .
 (٣) نفس المصدر (ص ٣٦٤) .
 (٤) انظر كلام القاضي عبد الجبار في المغني (٨ / ٨٥) .

المطلب الرابع

أثر قولهم في (أخص وصف لله تعالى) على مقالتهم في القدر

وينبغي هنا أن نتفطن إلى فكرة الأشاعرة الدقيقة في هذه المسألة حيث إنها تتفق تماماً مع أصلهم في أنّ أخص وصف لله تعالى هو الخالق أو الاختراع أو القدرة على الإيجاد .

قال عبد القاهر البغدادي : « واختلف أصحابنا في معنى الإله ، فمنهم من قال إنه مشتق من الإلهية ، وهي قدرته على اختراع الأعيان ، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري »^(١) . ويبين الشهرستاني أنّ أخص وصف لله تعالى عند أبي الحسن هو القدرة على الاختراع ، وهو معنى اسمه تعالى (الله)^(٢) .

وقارن هذا مع ما نُقل عن جهنم ، حيث كان يقول إنه لا فاعل ولا قادر إلا لله . فكما أنّ قوله هذا أذاه إلى الجبر ، كذلك فقول الأشاعرة في أخص وصف لله أذاهم إلى القول بالكسب - وحقيقته القول بالجبر .



(١) أصول الدين (ص ١٢٣) .

(٢) الملل والنحل (٨٦/١) .

المطلب الخامس

قولهم في المسائل المتعلقة بالقدر

سبق أن ذكرنا المسائل السبع التي أثرت على جهم فيما ذهب إليه في القدر ، وفي هذا المطلب نبين مدى تأثير جهم على الأشاعرة في هذه القضايا . فلقد نصّ شيخ الإسلام أنّ كثيراً من المتكلمين - وإن أثبتوا القدر ووافقوا أهل السنة في خلق أفعال العباد - سلكوا مسلك جهم بن صفوان في كثير من مسائل هذا الباب ، كإنكار الأسباب ، والحكمة والتعليل ، وتفسير الظلم ، والقول بتكليف ما لا يطاق ، والإرادة الإلهية وهل هي مستلزمة للرضى ، وغير ذلك من المسائل^(١) .

وسأبين - بإيجاز - قول الأشاعرة في هذه المسائل السبع .

١) قول الأشاعرة في تعليل أفعال الله تعالى

ذهب الأشاعرة إلى أنّ أفعال الله تعالى لا تعلّل بالعلل والأغراض ، ولا تتوقف على الحكم ، فهو يفعل ما يشاء بمحض المشيئة والإرادة . يقول الشهرستاني : « مذهب أهل الحق أنّ الله تعالى خلق العالم بما فيه من الجواهر والأعراض وأصناف الخلق والأنواع لا لعلّة حاملة له على الفعل ، سواء قدرت تلك العلة نافعة له أو غير نافعة . . . إذ ليس يبعثه على الفعل باعث فلا غرض له في أفعاله ولا حامل ، بل علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه »^(٢) . ويبيّن أنّ جميع الآيات التي فيها لام التعليل

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٧٦-٤٦٦/٨) .

(٢) نهاية الأقدام (ص ٣٩٧) .

فإنما المراد منها لام العاقبة والصيرورة^(١) .

وقال الآمدي : « مذهب أهل الحق أنّ الباري تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الإبداع إليها ، ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها ، بل كل ما أبدعه من خير وشر ونفع وضر لم يكن لغرض قاده إليه ، ولا لمقصود أوجب الفعل عليه »^(٢) .

ونصّ الإيجي بأنّ الأشاعرة قالوا « إنّ أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض »^(٣) .

وقول الأشاعرة هذا له تعلق بمسألة القدر ، حيث يترتب عليه أنّه يجوز في حقّ الله تعالى تعذيب المحسنين وإثابة المجرمين . قال البيجوري : « وبالجملة فهو سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية ، والكل بخلقه ، فليست الطاعة مستلزمة للثواب ، وليست المعصية مستلزمة للعقاب ، وإنّما هما أمارتان تدلان على الثواب لمن أطاع ، والعقاب لمن عصى ، حتى لو عكس دلالاتها بأن قال : من أطاعني عذّبتّه ، ومن عصاني أثبتّه ، لكان ذلك منه حسناً ، فلا حرج عليه ، لا يسأل عما يفعل »^(٤) .

ولقد بيّن شيخ الإسلام أن الأشعري وافق قول جهنم في إنكار الحكمة في أفعال الله تعالى ، وفي قوله إنه ليس في القرآن لام التعليل ، بل ليس فيه إلا لام العاقبة^(٥) ، وذكر في موضع آخر أنّ الأشعري ومن تبعه أنكر

(١) انظر : نفس المصدر (ص ٤٠٤) .

(٢) غاية المرام (ص ٢٢٤) .

(٣) المواقف (ص ٣٣١) .

(٤) شرح البيجوري على جوهره التوحيد (ص ١٨٠) .

(٥) منهاج السنة لابن تيمية (١ / ١٤١ - ١٤٣) .

الحكمة ثم قال : « وهذا القول في الأصل قول جهنم بن صفوان ومن اتبعه من المجبرة »^(١) . كما ذكر أنّ جهماً كان يقول إنّ الله أمر عباده بأنواع من العبادات لا لحكمة مطلوبة ولا بسبب ، بل لمحض المشيئة ، وأنّ الأشعري وافقه على ذلك^(٢) .

(٢) قول الأشاعرة في التحسين والتقبيح العقليين

لقد نفت الأشاعرة - بناء على المسألة السابقة - إدراك الحسن والقبح بالعقل ، فالحسن عندهم هو ما أمره الشرع ، والقبح ما نهاه الشرع . قال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر : « وأجمعوا على أَنَّ القبيح من أفعال خلقه كلها ما نهاهم عنه ، وزجرهم عن فعله ، وَأَنَّ الحسن ما أمرهم به وندبهم إلى فعله أوأباحه لهم »^(٣) . وكان يقول إِنَّ الواجبات كلها سمعية ، والعقل لا يوجب شيئاً ولا يقتضي تحسیناً وتقبيحاً ، فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل ، وبالسمع تجب^(٤) .

وأكد هذه النظرية الباقلاني حيث قال إِنَّ الحسن والقبح صفتان زائدتان عن الوجود ، فالموجود من حيث هو وجود ليس بحسن ولا قبيح^(٥) .
وصرّح بأنّ الله جل وعلا لو أمرنا بالمعاصي والسيئات لصارت تلك الأعمال طاعات مستحسنات بدلاً من كونها معاصي^(٦) .

(۱) مجموع فتاویٰ شیخ الإسلام (۳۸ / ۸) .

(٢) انظر : الجواب الصحيح (٤٠ / ٢) .

(٣) رسالة إلى أهل الشجر (ص ٧٤) .

(٤) انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٨٨) .

(٥) انظر : نفس المصدر (١ / ٨٥) .

(٦) انظر : كتاب التمهيد للباقلاني (ص ٣٨٦) .

وبيّن البغدادي أنّ الفعل لا يسمّى طاعة أو معصية إلا بعد ورود الشرع ،
وأ أنّه يجوز أن يرد الشرع بإباحة المحرّمات أو بتحريم المباحات^(١) . كما
أيّد هذه المقالة واستدلّ لها الغزالي ، حيث قال إنّ الحسن والقبح أمر
نسبي لكلّ شخص ، وحتى القتل قد يكون قبيحاً لبعض الناس ، حسناً
لغيرهم ، إذاً فلا يحكم بحسن الشيء أو بقبحه إلا بخطاب الشارع^(٢) .
بل وصل بهم الحال إلى أن صرّحوا أنّ الكذب في حقّه تعالى لا يجوز -
ليس لقبحه ، ولكن لاستحالة عليه^(٣) .

وقال الجويني : « العقل لا يدلّ على حسن شيء ولا قبحه في حكم
التكليف ، وإنّما يتلقّى التحسين والتقييح من موارد الشرع وموجب
السمع »^(٤) .

وقال الشهرستاني إنّ مذهبهم - يقصد الأشاعرة - هو أنّ العقل لا يدلّ
على حسن الشيء وقبحه في حكم التكليف من الله شرعاً ، بمعنى أنّ
أفعال العباد ليست على صفات نفسية حسناً أو قبيحاً ، فالحسن ما ورد
الشرع بتحسينه والقبح على عكس ذلك^(٥) .

ونصّ الإيجي على أنّ « القبيح ما نهى عنه شرعاً ، والحسن بخلافه ،
ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها ، وليس ذلك عائداً إلى أمر

(١) انظر : أصول الدين (ص ١٤٩) .

(٢) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٠٣-١٠٥) .

(٣) انظر : كتاب اللمع للأشعري (ص ١١٧) ، والمواقف للإيجي (ص ٣٢٧) .

(٤) الإرشاد (ص ٢٢٨) .

(٥) انظر : نهاية الإقدام (ص ٣٧٠) .

حقيقي في الفعل يكشف عنه الشرع ، بل الشرع هو المثبت له والمبين ، ولو عكس القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعاً^(١) . ثم أورد قول المعتزلة ، وردّ عليه بأدلة ، أولها : « أَنَّ العبد مجبور في أفعاله ، وإذا كان ذلك كذلك لم يحكم للعقل فيها بحسن ولا قبح اتفاقاً . . . »^(٢) . وهذا نص صريح يبين علاقة هذه المسألة بالقضاء والقدر .

وهذا القول هو كذلك قول جمهور الأصوليين من الأشاعرة ، منهم الآمدي^(٣) وابن الحاجب^(٤) . وذهب بعضهم إلى القول بتحسين وتقبيح العقل في أفعال العباد دون أفعال الله تعالى ، منهم الجويني ، والغزالي ، والرازي^(٥) .

ولقد قرن شيخ الإسلام اسم أبي الحسن باسم جهنم في هذه المسألة في غير ما موضع ، منها قوله : « وهذا قول نظار المجبرة كالجهنم بن صفوان وأمثاله ، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأتباعه من أصحاب الأئمة الأربعة ، كالقاضي أبي بكر بن الطيب ، وأبي عبد الله بن حامد ، والقاضي أبي يعلى ، وأبي المعالي ، وأبي الوفاء بن عقيل وغيرهم »^(٦) .

(١) المواقف للإيجي (ص ٣٢٣) .

(٢) نفس المصدر (ص ٣٢٤) .

(٣) انظر : الإحكام للآمدي (١ / ١٢٠) .

(٤) انظر : مختصر المنتهى له (١ / ٢٠٢) .

(٥) انظر : المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين لعبد القادر العروسي (ص ٧٩) .

(٦) الجواب الصحيح لابن تيمية (٢ / ٣٠٨) .

(٣) قول الأشاعرة في إنكار الأسباب والطبائع

إنَّ الأشاعرة - بناء على قولهم في أخص وصف الله - نفوا أن يكون هناك ارتباط بين السبب والمسبب ، بل عندهم أنَّ المسببات تحدث عند الأسباب ، لا بها . فمثلاً ، إذا لاقى النار شيئاً قابلاً للاحتراق ، حرق ، لا بسبب النار ، ولكن بسبب أنَّ الله خلق الحرق عند تلاقي النار بالشيء ، فالنار لم تؤثر شيئاً ، وإنما المؤثر هو الله وحده .

فلقد نفى البغدادي أن يكون الإنسان فاعلاً في غير محل قدرته ، بمعنى أنَّه لا أثر للإنسان فيما يتولد من فعله ، فلو ألقى حجراً فانكسر به الزجاج ، أو ضرب رجلاً فحصل به ألم ، فهذا كله من فعل الله ، لا من فعل الآدمي^(١) .

وبيّن الباقلاني أنَّ الكسر الحادث عند الزج ، والألم واللذة الحادثان عند الحكّة ، وغير ذلك من الحوادث الموجودة عند وجود حوادث آخر - كل ذلك مما ينفرد الله تعالى بخلقها ، لا يشاركه شيء في تولّد تلك الحوادث بمعنى أنَّ هذه الأسباب لا تأثير لها على مسبباتها ، بل الله تعالى يخلق عقب هذه الأسباب تلك المسببات^(٢) .

وقال عزّ الدين ابن عبد السلام المعروف عندهم بـ (سلطان العلماء) :
« والعجب أنَّهم يذمون الأشعري بقول : إنَّ الخبز لا يشبع ، والماء لا يروي ، والنار لا تحرق ، وهذا كلام أنزل الله معناه في كتابه ، فإنَّ الشبع

(١) انظر : أصول الدين للبغدادي (ص ١٣٨) . وللجويني كلام شبيه بهذا في الإرشاد (ص ٢٠٦) .

(٢) انظر : كتاب التمهيد للباقلاني (ص ٣٣٥-٣٣٨) .

والريّ والإحراق حوادث انفرد الربّ بخلقها ، فلم يخلق الخبز الشع ولم يخلق الماء الريّ ، ولم تخلق النار الإحراق ، وإن كانت أسباباً في ذلك ، فالخالق هو المسبّب دون السبب . . . فكذا اقتطع الأشعري رحمة الله عليه الشع والريّ والإحراق عن أسبابها وأضافها إلى خالقها «^(١) . وهذا النصّ يبيّن أنّ أصل قولهم هذا يرجع إلى أخصّ وصف لله عندهم .

ويقول الآمدي : « وإن سلّمنا اختلاف طبائع العناصر وصورها ، ولكن لا نتصور فعل البعض في البعض وانفعاله عنه ، فإننا قد قلنا إنّ لا فاعل ولا مؤثر غير الله »^(٢) .

وقال بعض المتأخرين منهم في إنكار الأسباب والطبائع : « ولا علاقة بين الحوادث المتعاقبة إلا باطراد العادة بخلق بعضها عقب بعض ، كالإحراق عقب مماسة النار ، والري بعد شرب الماء ، فليس للمماسة والشرب مدخل في وجود الإحراق ، بل الكل واقع بإرادته واختياره تعالى »^(٣) .

وبيّن شيخ الإسلام أنّ أصل هذه المقالة من الجهم بن صفوان ، ثم تبعه بعض من ينتسب إلى السنة كالأشعري ومن وافقه^(٤) .

(١) العقائد (ص ٢٧) .

(٢) الأوبار للآمدي (٣٨/٢ ب) - نقلاً عن الآمدي وآراؤه الكلامية للشافعي (ص ٤٢٧) .

(٣) شرح المواقف للجرجاني (٢٤٠/٣) .

(٤) انظر : جامع الرسائل لابن تيمية (٨٨/١) .

٤ (قول الأشاعرة في الاستطاعة

إنَّ الأشاعرة بصفة عامة ذهبوا إلى أنَّ الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل ، فالإنسان قبل وقوع الفعل غير مستطيع له ، لأنَّ الأعراض عندهم لا تبقى زمانين ، فلوتقدمت وقع الفعل بعدها بلا قدرة ، ولوتأخرت وقع الفعل قبلها بلا قدرة ، فإذا يتعيَّن مقارنة الاستطاعة بالفعل .

يقول الجويني : « الحادث في حال حدوثه مقدور بالقدرة القديمة ، وإن كان متعلقاً للقدرة الحادثة فهو مقدور بها . . . » ثم استدلَّ لذلك وأكد أنَّ الاستطاعة تقارن الفعل ولا تكون قبلها^(١) .

ويقول الباقلاني : « فإن قال : فهل تزعمون أنَّه يستطيع الفعل قبل اكتسابه ، أو في حال اكتسابه ؟ قلنا : لا ، بل في حال اكتسابه ، ولا يجوز أن يقدر عليه قبل ذلك »^(٢) .

فيتخلَّص مذهبهم في أنَّ الإنسان له قدرة واستطاعة ، لكنها لا تكون له إلا مع الفعل ، أي إذا عزم على الشروع بتنفيذ الفعل ، أوجد الله له القدرة مقارنة للفعل ، فهذه الاستطاعة تكون مع الفعل ، لا قبله ولا بعده . وبيننا سابقاً أنَّ الاستطاعة عندهم لا تأثير لها في الأفعال ، بل هي مقترنة بها ، وبها كسب العبد فعله ، مع عدم تأثيره على الفعل .

يقول شيخ الإسلام : « والمقصود أنَّ السلف لم يكن فيهم من يقول : إنَّ العبد لا يكون مستطيعاً إلا في حال فعله ، وأنَّه قبل الفعل لم يكن مستطيعاً ، فهذا لم يأت الشرع به قط ، ولا اللغة ، ولا دلَّ عليه عقل ،

(١) انظر : الإرشاد (ص ١٩٨-٢٠٠) .

(٢) كتاب التمهيد (ص ٣٢٣-٣٣٤) .

بل العقل يدلّ على نقيضه كما قد بسط في غير هذا الموضع»^(١) .

٥ (قول الأشاعرة في تكليف ما لا يطاق

قد أطلق بعض الأشاعرة القول بجواز تكليف ما لا يطاق ، بينما فضّل آخرون منهم ، ووصلوا إلى القول بالجواز في بعض صورهِ .
ذكر الأشعري في (الإبانة) أمر أبي لهب ، وأنّ الله كلّفه بالإيمان ، وممّا كلّفه الإيمان بسورة المسد ، وفيها أنّه لا يؤمن ، « . . . فإذا كان هذا هكذا ، فقد أمر الله أبا لهب بما لا يقدر عليه ، لأنّه أمره أن يؤمن أنّه لا يؤمن »^(٢) . ولقد ذكر الشهرستاني أنّ الأشعري كان يرى جواز تكليف ما لا يطاق^(٣) .

وقال الجويني : « تكليف ما لا يطاق تكثر صورهِ ، فمن صورهِ تكليف جمع الضدّين ، وإيقاع ما يخرج عن قبيل المقدورات . والصحيح عندنا أنّ ذلك جائز عقلاً غير مستحيل »^(٤) .

وقال الغزالي : « إنّ لله تعالى أن يكلف العباد ما يطيقونه وما لا

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠٣/١٤) .

(٢) انظر : الإبانة (ص ٧٨) . ولقد ردّ شيخ الإسلام على هذه الشبهة بأجوبة كثيرة ، من أقواها أنّنا لا نسلّم أنّه بعد نزول هذه السورة وجب على الرسول ﷺ أن يبلغه إياها ، بل - بنزول هذه السورة - حقّت عليه كلمة العذاب ، كما حقّ على قوم نوح لما أخبره الله أنّه لن يؤمن من قومه إلا من آمن . انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٧٠-٣٠٢/٨) .

(٣) الملل والنحل (٨٤/١) . وهو قول الشهرستاني كذلك ، انظر : نهاية الإقدام (ص ٤١٠) .

(٤) الإرشاد (ص ٢٠٣) .

يطبقونه»^(١) . كما يبين في (المستصفى) أن هذا القول هو قول أبي الحسن الأشعري ، « . وهو لازم على مذهبه من وجهين » ، أحدهما : أنه كان يقول إن الاستطاعة مع الفعل لا قبله ، فيكون العبد مأموراً بشيء وليس عنده الاستطاعة على فعله ، والثاني : أنه كان يقول إن القدرة الحادثة لا تأثير لها في إيجاد المقدور ، فيكون العبد مأموراً بفعل لا قدرة له على إيجاده^(٢) .

ونص الإيجي على أن « تكليف ما لا يطاق جائز عندنا » ثم بين أنواعه وحكم كل نوع ، منها : أن يمتنع الفعل لعلم الله بعدم وقوعه - وهذا النوع فيه إجماع على جواز وقوعه . ومنها : أن يمتنع لذاته ، كالجمع بين الضدين - فهذا منتفٍ إجماعاً كذلك . ومنها : أن لا تتعلق به القدرة الحادثة عادة « كحمل الجبل ، والطيران إلى السماء ، فهذا نجوؤه وإن لم يقع بالاستقراء »^(٣) .

ولقد تكلم بعض أئمتهم حول هذه المسألة ، منهم الرازي ، وتوصلوا إلى القول بجواز تكليف ما لا يطاق^(٤) . وذكر شيخ الإسلام أن أبا الحسن الأشعري وكثيراً من أتباعه يطلقون القول بـ (تكليف ما لا يطاق)^(٥) .

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١١٢) .

(٢) انظر كلامه في المستصفى (١٦٢/١ - ١٧٤) . وهذا كلام دقيق جداً ، ويبين بوضوح قول الأشاعرة بالجبر الخالص .

(٣) المواقف (ص ٣٣١) .

(٤) المحصول (٣٩١/٢) .

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٦٩/٨) .

٦ (قول الأشاعرة في تفسير الظلم

صرّح الأشعري في كتابه (اللمع) على أنّ فعل الله تعالى لا يوصف بالظلم ، بمعنى أنّ الظلم ممتنع في حقّه ، بل لوعذب الأطفال في الآخرة لكان ذلك عدلاً منه ، ولا يقبح منه أن يعذب المؤمن ويدخل الكافر الجنة ، ولكنّه لا يفعل ذلك لأنّه تعالى أخبرنا أنّه لا يفعله ، « فإذا كان هذا هكذا ، لم يقبح منه شيء ؛ إذ كان الشيء إنّما يقبح منا لأنّا تجاوزنا ما حدّ ورسم لنا وأتينا ما لم نملك إتيانه ، فلمّا لم يكن الباري مملوكاً^(١) ولا تحت أمر لم يقبح منه شيء »^(٢) .

ونقل الشهرستاني عن الأشعري أنّه كان يقول إنّ لله أن « . . . يحكم ما يريد ، فلو أدخل الخلائق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفاً ، ولو أدخلهم النار لم يكن جوراً ، إذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف ، أو وضع الشيء في غير موضعه ، وهو المالك المطلق فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب إليه جور »^(٣) .

وبيّن الباقلاني علاقة هذه المسألة بباب القدر لما ردّ على شبهة المعتزلة في أنّ خلق أفعال العباد منه تعالى ثمّ تعذيبه عليها ظلم منه ، فأجاب الباقلاني أنّ الظلم هو مخالفة الفعل الأمر والله جلّ وعلا لا يخالف بفعله أمر من يلزمه طاعته ، فلا يكون ظلماً^(٤) . بل لوعذب الله سائر النبيين ، وأنعم سائر الكفرة

(١) كذا في المطبوع ، فيكون (مُملِكاً) ، أولعله قصد (مملوكاً) ووقع تصحيف من الناسخ .

(٢) انظر : كتاب اللمع (ص ١١٦) .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٨٨) .

(٤) انظر : التمهيد (ص ٣٤٨) .

والعاصين ، جاز ذلك عقلاً ولم يكن شيئاً مستنكراً عليه^(١) .
وعرّف البغدادي العدل عند أكثر الأشاعرة بأنه (ما للفاعل أن يفعله) ،
وأورد اعتراض المعتزلة على هذا التعريف من أن هذا يلزم أن يكون كل
كفر ومعصية عدلاً لأن الله تعالى له أن يفعلها ، ثم أجاب : « أن كلها
عدل منه ، وإنما هي جور وظلم من مكتسبها »^(٢) .

وتبعهم على ذلك البيهقي إذ قال : « وليس لقائل أن يقول إذا خلق كسبه
ويُسره لعمل أهل النار ثم عاقبه عليه كان ذلك منه ظلماً ، كما ليس له أن
يقول إذا مكّنه منه وعلم أنه لا يتأتى منه غيره عاقبه ، كان ذلك ظلماً منه ،
لأنّ الظلم في كلام العرب مجاوزة للحدّ ، والذي هو خالقنا وخالق أكسابنا
لا آخر فوقه ولا حادّ دونه ، وكل من سواه خلقه وملكه ، فهو يفعل في
ملكه ما يشاء »^(٣) .

وقال الغزالي : « فإنّ الظلم إنّما يتصوّر ممن يمكن أن يصادف فعله ملك
غيره ، ولا يتصوّر ذلك في حقّ الله تعالى ، أو يمكن أن يكون عليه أمر
فيخالف فعله أمر غيره . . . » ثم بيّن أنّ الظلم إذا لا يتصوّر في حقّ الله^(٤) .
كما قرن شيخ الإسلام اسم أبي الحسن الأشعري مع جهنم بن صفوان في
هذه المسألة^(٥) ، وبيّن أنّه من متّبعيه فيها^(٦) .

(١) انظر : نفس المصدر (ص ٣٨٥) .

(٢) انظر : أصول الدين (ص ١٣١) .

(٣) الاعتقاد (ص ٦٣) .

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١١٥) .

(٥) انظر : منهاج السنة (٣٠٤ / ٢) ، و : جامع الرسائل (١٢٢ / ١ - ١٢٢) .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦٧٦ / ١١) .

(٧) قول الأشاعرة في الإرادة الإلهية

إنَّ أغلب المخالفين لأهل السنة في هذا الباب لم يفرقوا بين إرادة الله الكونية وإرادته الشرعية ، فحصل لهم بذلك لبس وارتباك ، ووقعوا في أمور منكرة . فالأشاعرة لما أسندوا جميع الحوادث إلى الله ، ولم يفرقوا بين الإرادتين ، أذهم إلى القول بأنَّ الله تعالى يريد الكفر والفساد ، بل وصرح بعضهم بأنَّه يحبه .

وبيّن الباقلاني أنَّ المحرمات مرادة للربِّ سبحانه ، وأنَّ إرادته القديمة تتعلق بحدوث المحظورات والمباحات تعلقها بالطاعات ، فهو يريد للطاعات كما هو يريد للمعاصي والفواحش^(١) .

ونقل البغدادي إجماع الأشاعرة على ذلك ، فقال : « أجمع أصحابنا على أنَّ إرادة الله تعالى مشيئته واختياره ، وعلى أنَّ إرادته للشيء كراهيته لعدم ذلك الشيء ، كما قالوا إنَّ أمره بالشيء نهي عن ضده ، وقالوا أيضاً إنَّ إرادته صفة أزلية قائمة بذاته . وهي إرادة واحدة محيطه بجميع مراداته على وفق علمه بها فما علم منها كونه أراد كونه ، خيراً كان أو شراً . . . »^(٢) .
وبيّن أنَّ الله تعالى أراد حدوث الكفر من الكافر بأن يكون كسباً له قبيحاً منه وأنَّ هذا هو قول أبي الحسن الأشعري^(٣) .

وشرح الغزالي هذه المقالة في (الاقتصاد في الاعتقاد) ، بدأه بمقدمات منطقية ، ثم ردَّ على المعتزلة ، ثم توصل إلى أنَّ « كلَّ حادث فمخترع

(١) انظر : التمهيد (ص ٣١٧-٣٢٠) .

(٢) أصول الدين (ص ١٠٢) .

(٣) انظر : نفس المصدر (ص ١٤٦) .

بقدرته ، وكل مخترع بالقدرة محتاج إلى إرادة تصرف القدرة إلى المقدور وتخصّصها به ، فكل مقدور مراد ، وكل حادث مقدور . فكل حادث مراد ، والشرّ والكفر والمعصية حوادث . . . » وختم الفصل بنسبة هذا القول إلى جميع السلف الصالحين وأهل السنة^(١) .

وتكلّم الشهرستاني حول هذه المسألة بالتفصيل ، وبيّن أنّ جميع ما في الكائنات ، من خير وشرّ ، وكفر وإيمان ، مراد لله تعالى ، لا لأنّها شرّ وكفر ، أو طاعة وإيمان ، بل هو مراد لكلّ ما تجدد من حيث هو ، بدون النظر إلى كون الشيء حسناً أو قبيحاً^(٢) .

وقال الإيجي : « إنّّه تعالى مراد لجميع الكائنات ، غير مراد لما لا يكون » ثم ردّ على بعض شبه المعتزلة ، منها أنّه إذا كان ذلك كذلك ، فيلزم منه أنّه تعالى يريد كفر الكافر مع أنّه أمره بالإيمان ، وحاول أن يستخلص من هذه الشبه^(٣) . كما أوّل بعض الآيات التي فيها التصريح بأنّ الله لا يحب الفساد والشرّ والكفر^(٤) .

ويلاحظ من جميع هذه النقولات أنّ أصحابها لم يفرّقوا بين الإرادتين : الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، ممّا أوقعهم في اللبس .

قال شيخ الإسلام : « وقالت الجهمية ومن اتبعها من الأشعرية وأمثالهم : . . . إذا كان [الله] مريداً لكل حادث والإرادة هي

(١) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٦٥-٧٠) .

(٢) انظر : نهاية الإقدام (٢ . ٢٥٦-٢٦٠) .

(٣) انظر : المواقف (ص ٣٢٠-٣٢١) .

(٤) انظر : نفس المصدر (ص ٣٢٢-٣٢٣) .

المحبة والرضا ، فهو محب راض لكل حادث ، وقالوا : كل ما في الوجود من كفر وفسوق وعصيان فإن الله راض به محب له ، كما هو مرید له « (١) .

وذكر شيخ الإسلام أن أبا الحسن وكثيراً من أتباعه وافقوا جهماً واتبعوه في هذه المسألة (٢) .



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٤١ / ٨) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٧٥ / ٨) .

المطلب السادس

شهادات الأشاعرة على أنفسهم في ميلهم إلى الجبر

بما أن قول الأشاعرة يؤدي إلى الجبر ، نجد أن كثيراً من أئمتهم قد صرّحوا واعترفوا بهذه الحقيقة .

فلقد وضع الآمدي - وهو من كبار الأشاعرة - المذهب الأشعري تحت عنوان (الجبرية) حيث قال : « الجبر عبارة عن نفي الفعل عن العبد حقيقة وإضافته إلى الرب تعالى ، غير أن الجبرية تنقسم إلى جبرية خالصة ، وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا كسباً ، كالجهمية ، وإلى جبرية متوسطة ، وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً لكن تثبت له كسباً ، كالأشعرية والنجارية والضرارية والحفصية »^(١) .

ويقول الإيجي : « والجبرية : متوسطة ، تثبت للعبد كسباً ، كالأشعرية ، وخالصة ، لا تثبت ، كالجهمية »^(٢) . وقال أيضاً : « إن العبد مجبور في أفعاله »^(٣) .

كما صرّح الرازي ومن بعده الآمدي بـ « أن الإنسان مجبور في صورة مختار »^(٤) . وصرّح الرازي بالجبر المحض في كتابه (المحصول من علم

(١) الأبيكار للآمدي (٢٥٦/٢) - نقلاً عن : الآمدي وآراؤه الكلامية ، للشافعي (ص ٤٧٢) .

(٢) المواقف (ص ٤٢٨) .

(٣) نفس المصدر (ص ٣٢٤) .

(٤) المآخذ ، للآمدي ، ل ٣٥ ب (نقلاً عن الآمدي وآراؤه الكلامية ، للشافعي ، ص ٤٧٤) .

الأصول (١).

ولقد أنصف المقرئ لما قال : « الجهمية أتباع جهنم بن صفوان ، وهم يوافقون أهل السنة [يقصد الأشاعرة] في مسألة القضاء والقدر ، مع ميل إلى الجبر . . . » (٢) .

ونقل البيجوري في شرحه للجوهرة قول أحدهم : « من نظر للخلق بعين الحقيقة عذرهم ، ومن نظر لهم بعين الشريعة مقتهم ، فالعبد مجبور في صورة المختار » (٣) .

ولخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذه القضية لما قال : « والأشعرية وافقتهم [يقصد الجهم وأتباعه] في الجبر ، لكن نازعواهم نزاعاً لفظياً في إثبات الكسب والقدر عليه » (٤) .



(١) انظر : المحصول من علم الأصول ، للرازي (٢ / ٢٢٥) .

(٢) الخطط للمقرئ (٢ / ٣٥١) .

(٣) شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص ١٧٧) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٢٨) .

المطلب السابع

الفرق بين الماتريدية والأشاعرة في هذا الباب

على الرغم من توافق الماتريدية مع الأشاعرة في كثير من مسائل العقيدة إلا أنهم خالفوهم في هذا الباب . فهم وافقوا أهل السنة والأشاعرة في المسائل المتعلقة بالله ، مثل العلم السابق ، وخلق الأفعال ، والمشية النافذة ، ولكنهم خالفوهم في مسألة تأثير العباد على أفعالهم . فالماتريدية أعطت للإنسان قدرة على أثر الفعل ، وعلى هذه القدرة يستحق المرء الجزاء أو العقاب ، مع تصريحهم بأن الله خالق كل شيء ، ومن جملة ذلك أفعال العباد . فهم - وإن استعملوا لفظ (الكسب) - خالفوا الأشاعرة في تفسير هذا الكسب ، وفي تأثير الإنسان في أفعاله . ولقد شرح الماتريدي مقالته في القدر والجبر بقوله : « والحق هو الوسط من القول : أن يكون من العباد أفعال على ما هي منهم ، ومن الله خلقها على الحَدِّ الذي كانت عليه »^(١) . وقال النسفي « والعبد مخير مستطيع ، فإذا وجد منه الجهد والقصد والنية والاكتساب في المعصية يجري خذلان الله مع نيته وقصده ، فيستحق العقوبة على فعل نفسه . وإذا وجد جميع ذلك في الطاعة يجري عون الله وتوفيقه مع فعله »^(٢) . وقال أيضاً إنَّ الله جل وعلا خالق العالم كله ، مع ما في ذلك من أفعال العباد ، « فوجوده ومشيته متعلقة بقدرة الله تعالى ، وكونه حركة وسكوناً

(١) كتاب التوحيد (ص ٣٨٤) .

(٢) بحر الكلام (ص ٣٧) نقلاً عن : الآمدي وآراؤه الكلامية للشافعي (ص ٣٧٥)

وطاعة ومعصية متعلقة بقدرة العبد» (١) .

ويوضح هذا أحدهم بقوله : « أصل الفعل بقدرة الله ، والاتصاف بكونه طاعة أو معصية بقدرة العبد ، وهو مذهب جمهور الماتريدية » (٢) .
فحقيقة قولهم أنّ للعباد إرادة جزئية ، وهي غير مخلوقة ، وهذه الإرادة تؤثر على وصف الفعل لا على أصله ، بمعنى أنّها تؤثر على كون الفعل طاعة أو معصية ، مع أنّ الفعل نفسه مخلوق من الله ، ومكتسب للعبد .
كما أنّهم ، في جلّ مسائل القدر السابق ذكرها ، خالفوا الأشاعرة فيها .
فهم أثبتوا الحكمة والتعليل . قال الماتريدي : « من عرف الله حق المعرفة ، وعلم غناه وسلطانه ثم قدرته وملكه في أنّه له الخلق والأمر ، عرف أنّ فعله لا يجوز أن يخرج عن الحكمة ، إذ هو حكيم بذاته ، غنيّ عليم » (٣) .

وقالوا بحسن وقبح الأفعال بالعقل (٤) ، وبناء على ذلك قالوا بوجوب معرفة الله تعالى بالعقل ولولم يرد الشرع بذلك (٥) .
وأثبتوا الأسباب والطبائع . قال أحدهم : « وعندنا أنّ الدواء سبب والشفاء من الله ، ورؤية الشفاء من الدواء أو الطبيب كفر ، بل الشفاء من الله ، لأنّه اتخذ شريكاً مع الله في الشفاء . والكسب والرزق من الله

(١) تبصرة الأدلة (ص ٦٥٥) .

(٢) إشارات المرام للبياضى (ص ٢٥٦) - نقلاً عن : الماتريدية للحربي (ص ٤٤١)

(٣) التوحيد (ص ٢١٦) .

(٤) انظر : المسامرة بشرح المسامرة للكمال بن أبي شريف (ص ١٥٥) .

(٥) انظر : التوحيد للماتريدي (ص ٤)

تعالى ، ورؤية الرزق من الكسب كفر ، ولبس الثياب سبب دفع الحر والبرد ودافع الحر والبرد هو الله تعالى « (١) .

وقالوا بأن الاستطاعة قسمان : أحدهما : سلامة الأسباب وصحة الآلات ، والثاني : مصاحب للفعل وعَلَّتْهُ (٢) .

ومنعوا القول بإطلاق جواز التكليف بما لا يطاق (٣) .

وفرقوا بين الإرادة الإلهية وبين الرضا ، وقالوا بأن الإرادة لا تستلزم الرضا (٤) .

فهذا ، خالفوا الأشاعرة مخالفة صريحة ، مع العلم بأنهم في بعض هذه المسائل خالفوا أهل السنة كذلك في بعض جزئياتها (٥) .

ويلاحظ أن قول الماتريدي في هذا الباب قربهم قليلاً من قول المعتزلة ، بخلاف الأشاعرة فهم أقرب إلى قول جهم . وفي رأيي فإن هذه المسألة هي التي تستحق أن تذكر في الفرق الرئيس بين الأشاعرة والماتريدي ، فإنها أهم وأكبر مسألة اختلفوا فيها ، والله أعلم .

يقول شيخ الإسلام : « والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر ، وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح » (٦) .

(١) بحر الكلام لأبي المعين النسفي (ص ٣٦٠) - نقلاً عن الأمدي وآراؤه الكلامية للشافعي (ص ٤٣١)

(٢) انظر : التوحيد للماتريدي (ص ٢٥٦) و : تبصرة الأدلة للنسفي (ص ٥٤١) .

(٣) انظر : التوحيد للماتريدي (ص ٢٦٦) .

(٤) انظر : نفس المصدر (ص ٢٨٦-٢٨٧) .

(٥) انظر : القضاء والقدر للمحمود (ص ٢٤٣-٢٦٥) .

(٦) منهاج السنة لابن تيمية (١ / ١٤١-١٤٣) .

الخلاصة

بعد هذا كله ، يظهر جلياً أَنَّ الأشاعرة أخذوا أصل قولهم في القدر من جهم بن صفوان ، إلا أَنَّهُم أرادوا أَن يتخلصوا من لوازم قول جهم في الجبر ، فابتدعوا نظرية (الكسب) ، « ... واعتصموا بهذه اللفظة عن جميع ما ألزمناه جهماً ، ظناً منهم أَنَّ ذلك يعصمهم من لزومه ، وجميعه لازم لهم ... »^(١) ، ذلك أَنَّ الكسب لفظ لا حقيقة له .

وذكر شيخ الإسلام اسم أبي الحسن مقترناً باسم جهم بن صفوان في مواضع كثيرة من كتبه ، ونقلت بعض نقولاته في جلِّ مباحث هذا الفصل ، كما وصف الأشاعرة بأنَّهم (سلكوا مسلك جهم)^(٢) ، وأنَّهم (وافقوا جهماً في أكثر مسائل القدر)^(٣) ، وبأنَّهم (مالوا إلى الجبر)^(٤) . ولمزيد من الإيضاح ، نلخص أهمَّ أوجه التشابه بين قول جهم وقول الأشاعرة في النقاط التالية :

* صرح أبو الحسن الأشعري وغيره من الأشاعرة كالآمدي أَنَّهُ لا فاعل في الحقيقة إلا الله ، وهو قول جهم سواء بسواء .

* قول جهم في الصفات أذاه إلى القول بالجبر ، حيث نفى عن الإنسان قدرة وفعلاً - فراراً من التشبيه في زعمه ، وكذلك الأشاعرة حيث جعلوا أخصَّ وصف لله هو (الاختراع) أو (الخالقية) ، وهذا أذاهم إلى أن

(١) من كلام القاضي عبد الجبار في المغني (٨٥ / ٨) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٤٧ / ١٤)

(٣) انظر : منهاج السنة (٣٠١ / ٢) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١٨ / ٨) .

يسلبوا أي تأثير للعبد في أفعاله ، لكي يكون الله جل وعلا هو المؤثر الوحيد في فعل الإنسان .

* أنكر جهم الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ، ووافقته على ذلك الأشاعرة .

* أنكر جهم التحسين والتقبيح العقليين ، ووافقته على ذلك الأشاعرة .

* أنكر جهم الأسباب والطبائع ، ووافقته على ذلك الأشاعرة .

* أثبتت الأشاعرة قدرة للعبد - خلافاً لجهم - ولكن لما فسروا هذه القدرة وبينوا أنه لا أثر لها في الفعل ، كشفوا عن حقيقة الأمر ، وحققوا التشابه - بل التوافق - بين عقيدة جهم في الجبر وبين عقيدتهم ، فما فائدة إثبات قدرة لا تأثير لها ؟ وما الفرق الحقيقي بين جهم إذ نفى القدرة أصلاً ، وبين الأشاعرة إذ أثبتوا قدرة لا أثر لها ؟

* أطلق جهم القول بتكليف ما لا يطاق ، ووافقته على ذلك الأشاعرة .

* فسر جهم الظلم المنزه عن الله تعالى بتفسير خاص ، ووافقته على ذلك الأشاعرة .

* جعل جهم الإرادة الإلهية نوعاً واحداً ، وهذا أذاه إلى القول بأن الله يحب كل ما يحصل في الكون ، ووافقته على ذلك الأشاعرة .

* إنَّ الأشاعرة حاولوا أن يفرقوا بين قولهم وقول جهم فابتدعوا نظرية (الكسب) ، وقالوا : « إنَّ الإنسان يكسب أفعاله والله جل وعلا يخلقها من غير تأثير العبد في أفعاله » . فهو لفظ لا معنى له ، وقول الأشاعرة في حقيقة الأمر هو قول جهم ، وهو الجبر الخالص .

ولهذا صرح أعداء الأشاعرة من المعتزلة أنهم متبعو جهم في هذه المسألة . يقول القاضي عبد الجبار عن الأشاعرة : « ومن زعم أن

العبد قادر ، ولكن أضاف الفعل إلى الله بكل وجوهه وأحكامه ، ولم يجعل للعبد تخييراً في بعض الجهات ، فهو موافق في المعنى لجهم ، وإن خالف في اللفظ « (١) » .

ولا أستطيع أن آتي بعبارة أفضل وأدق مما كتبه شيخ الإسلام تُلخّص هذا الفصل بكامله في جملة واحدة ، إذ يقول : « والأشعري ومن وافقه اتبعوا جهماً على قوله في القدر ، وإن كانوا يشبّون قدرة وكسباً ، لكن ما أثبتوه لا حقيقة له في المعنى ، بل وقولهم هو قول جهم وإن نازعوه في إثبات القدرة والكسب » (٢) .



(١) المحيط بالتكليف (ص ٣٦٣) .

(٢) الصفدية لابن تيمية (٣٣١/٢) . وقال أيضاً إن الأشاعرة « لم يذكروا بين الكسب والفعل فرقاً معقولاً ، بل حقيقة قولهم قول جهم : إن العبد لا قدرة له ، ولا فعل ، ولا كسب » . انظر : النبوات لابن تيمية (٤٦٢/١) .

المبحث الثاني

أثر هذه المقالة على بعض الفرق الأخرى

إن فكرة (الجبر) من البدع التي لم تنتشر بين أوساط المسلمين ، لمخالفتها الصريحة للنصوص وللحس ، لذلك نجد أن لقب (المجبرة) تكاد تكون مقتصرة على الجهمية .

ولكن هناك إشارات في بعض كتب المقالات إلى فرق أخرى قالت بالجبر . فنجد ابن حزم مثلاً ينسب هذه المقالة لطائفة من الأزارقة كذلك ، فقال : « اختلف الناس في هذا الباب [يعني في القدر] ، فذهبت طائفة إلى أن الإنسان مجبر على أفعاله وأنه لا استطاعة أصلاً له ، وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الأزارقة »^(١) .

ويقول الشهرستاني إن النجارية أصحاب الحسين بن محمد النجار ، والضرارية أصحاب ضرار بن عمرو ، من الجبرية^(٢) . فهذه ثلاث فرق اتهمت بالجبر .

فأما الأزارقة ، فليس لدينا من كتبهم ما نستطيع أن نحقق بها مذهبهم ، وليس في كتب المقالات التي رجعت إليها ذكراً لقول الأزارقة في القدر ، هذا إذا كان ابن حزم يقصد الأزارقة فقط . أما إن قصد عموم الخوراج ، فالإباضية اختلفوا فيما بينهم في مسألة القدر ، فالبعض منهم ذهب إلى مذهب المعتزلة ، والبعض الآخر قارب قول الماتريدية ، ولكن جمهور

(١) الفصل (٣ / ٣) .

(٢) انظر : الملل والنحل (١ / ٧٢) .

المتأخرين استقروا على رأي أبي الحسن الأشعري^(١) .
يقول أحدهم : « وأفعالنا خلق من الله ، واكتساب منا ، خلافاً للمجبرة
والقدرية »^(٢) ، كما صرّحوا بأن الاستطاعة تكون مع الفعل ، ولا أثر لها
في الفعل ، بل الله جل وعلا هو المؤثر الوحيد^(٣) .
وأنشد السالمي^(٤) :

ومن يقل إلها لم يخلق أفعالنا بعداً له من أحق
لقوله لكل شيء خالق سبحانه الرب المليك الرازق
لكن لنا في فعلنا اكتساب به الثواب وبه العقاب
وأما الضرارية والنجارية ، فعند الرجوع إلى بعض الكتب الأخرى ،
نجد أنّ وصفهم بهذا اللقب ليس بدقيق . فحكى الأشعري أنّ النجار كان
يقول إن أعمال العباد مخلوقة لله ، وهم فاعلون لها ، وأنه لا يكون في
ملك الله إلا ما يريده^(٥) . وهذا ليس من قول المجبرة .

وأما ضرار بن عمرو ، فكان يقول إنّ أعمال العباد مخلوقة ، وإنّ الله
فاعل لأفعال العباد في الحقيقة وهم فاعلون لها في الحقيقة ، وأنّ

(١) انظر : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية للبديوي (ص ٢٠٧-٢٠٩) ،

و: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٣٧٥-٣٧٧) .

(٢) مختصر العدل والإنصاف (ص ١٠) للشماخي - نقلاً عن : تأثير المعتزلة في
الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٣٧٦) .

(٣) انظر : تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٣٧٦-٣٧٨) .

(٤) مشارق أنوار العقول للسالمي (ص ٣٠٧) ، بتصرف - نقلاً عن : تأثير
المعتزلة في الخوارج والشيعة للحفظي (ص ٣٧٦) .

(٥) انظر : مقالات الإسلاميين (ص ٢٨٣) .

الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل ، وأنّ الفعل لفاعلين : أحدهما خلقه وهو الله ، والآخر اكتسبه وهو العبد^(١) . وهذا كذلك ليس قول الجهم ، مع أنّه وسط بين قول الأشاعرة وقول أهل السنة .

ولذلك فكان تعبير شيخ الإسلام أدقّ ، حيث قال إنّ النجارية والضرارية قاربوا جهماً في مسائل القدر والإيمان^(٢) .

ولعلّ وصف هذه الفرق بـ (الجبرية) كان على لسان المعتزلة ، حيث يصفون كلّ من أثبت خلق أفعال العباد بهذا الوصف ، ثم أخذوا عنهم بعض أصحاب كتب المقالات .

إذاً ، نستخلص ممّا سبق أنّه لم يتأثر بقول جهم بن صفوان في هذه المسألة سوى الأشاعرة ، وعنهم أخذت بعض فرق الخوارج .



(١) انظر : نفس المصدر (ص ٢٨١) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠٣-١٠٢/٣) .

آباء السبع مقالته التي لم تأثر بهج الفرق الإسلامية

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مقالته في علم الله

الفصل الثاني : مقالته في الملائكة

الفصل الثالث : مقالته في الجنة والنار

تمهيد

لقد طفنا مع عقائد هذا الرجل ودخلنا معه في صولات وجولات ، ورأينا أثره على جميع الفرق الكلامية في جلّ مسائل الاعتقاد ، ولكن قبل أن نختم هذا البحث ، ولكي نعطي صورة متكاملة عن الجهم بن صفوان وعقائده ، ينبغي أن نبين مقالاته وبدعه التي انفرد بها عن بقية الفرق الإسلامية .

ذلك لأنه أثر عنه بعض المقالات التي - لقبحها ولشدة مخالفتها للكتاب والسنة - لم تأخذ بها أي فرقة من الفرق الإسلامية . ولا يعني هذا أنه لم يوجد بعض الأفراد من المنتسبين للإسلام الذين وافقوه على هذه المقالات - فمثلاً نجد أن أبا الهذيل العلاف أخذ بقوله في فناء حركات أهل الجنة والنار - ولكن المقصود أن هذه المقالات لم تتبناها أية فرقة من الفرق الإسلامية .

وقد وجدت ثلاث مقالات بهذه الصفة ، هي : قوله في علم الله تعالى ، حيث ادعى أن علم الله حادث مخلوق ، وقوله في الجنة والنار ، حيث ادعى أنهما لم تخلقا بعد وستفنيان بعد خلقهما ، وقوله في الملائكة ، حيث أنكر وجود بعض الملائكة^(١) .

(١) وقد تفرد الجهم بن صفوان برأين آخرين :

الرأي الأول : لا علاقة له بدين الإسلام في شيء ، وهو قوله بأن الحركة جسم وليس بعرض . ولأن هذه المسألة مسألة منطقية فلسفية بحثة ، لم أذكرها في هذا الباب ، واكتفيت بالإشارة إليها في مباحث سابقة (انظر : ص ٨٤٧ من الرسالة)

الرأي الثاني : قوله بمنع التسلسل في الماضي والمستقبل ، وقد ذكرت قوله ورددت عليه في مبحث سابق (انظر : ص ٤٥٠ من الرسالة) .

فلنبداً ببيان أقوال جهم في هذه المسائل مع الرد عليها ، ونشير إشارات
إلى من أخذ بهذه المقالات من بعض المنتسبين إلى الإسلام ، إن وجد .



الفصل الأول مقالة في علم الله

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

المبحث الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها

المبحث الأول

نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

قد بينا سابقاً إفراط الجهم بن صفوان في نفي أسماء الله تعالى وصفاته ، وأنه لم يجوز تسمية الله تعالى بأي اسم يجوز إطلاقه على المخلوق ، كما أنكر جميع الصفات ، ومن الصفات التي أنكرها : صفة (العلم) . فأنكر أن يكون الله عالماً بالأشياء قبل وقوعها ، بل علمه بالأمور يكون بعد إيجاده وخلقها ، لا قبله . وبناء على هذا ، وصف الجهم علم الله بأنه مخلوق محدث ، تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً .

قال الدارمي ، حاكياً قول المزيبي : « وادعى المعارض أيضاً أن الله لا يوصف بالضمير ، والضمير منفي عن الله . وليس هذا من كلام المعارض ، وهي كلمة خبيثة قديمة من كلام جهم ، عارض بها جهم قول الله تعالى ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦] ، يدفع بذلك أن يكون الله سبق له علم في نفسه بشيء من الخلق وأعمالهم قبل أن يخلقهم ، فتلطف بذكر الضمير ليكون أستر له عند الجهال وقول جهم : لا يوصف الله بالضمير ، يقول : لم يعلم الله في نفسه شيئاً من الخلق قبل حدوثهم وحدوث أعمالهم ، وهذا أصل كبير في تعطيل النفس والعلم السابق »^(١) . وقال أيضاً : « فمراد جهم من قوله (لا يوصف الله بضمير) يقول : لا يوصف الله بسابق علم في نفسه »^(٢) . وعقد باباً

(١) نقض عثمان بن سعيد (ص ٥٤٦) .

(٢) نفس المصدر (ص ٥٥١) .

كاملاً في كتابه (الرد على الجهمية) في بيان موقفهم من هذه المسألة ،
 وشُتّع عليهم ثم ردّ على قولهم بأدلة الكتاب والسنة ، وممّا قال :
 « ويزعمون أنّ علم الله بمنزلة النظر والمشاهدة ، لا يعلم بالشيء حتى
 يكون ، فإذا كان الشيء عِلِمَ به عِلْمَ كينونته ، لا يَعْلَمُ له يزل في نفسه
 قبل كينونته ، ولكن إذا حدث الشيء كان هو عند الشيء ومعه الشيء
 نفسه . . . هذا هو الردّ لكتاب الله والجحود لآيات الله ، وصاحب
 هذا المذهب يخرج مذهبهم إلى مذهب الزندقة » (١) .

وقال أبو الحسن الأشعري : « وكان - يعني جهماً - يقول إنّ علم الله
 سبحانه محدث فيما يحكى عنه . . . وإنّه لا يقال إنّ الله لم يزل عالماً
 بالأشياء قبل أن تكون » (٢) ، وقال : « وقال جهم أن علم الله محدث ،
 هو أحدثه فعلم به وإنه غير الله ، وقد يجوز عنده أنّ الله يكون عالماً
 بالأشياء كلها قبل وجودها بعلم يحدثه قبلها . وحكى عنه حاك خلاف
 هذا (٣) ، فزعم أنّ الذي بلغه عنه أنّه كان يقول إنّ الله يعلم الشيء في حال
 حدوثه ومحال أن يكون الشيء معلوماً وهو معدوم لأنّ الشيء عنده
 هو الجسم الموجود ، وما ليس بموجود فليس بشيء فيعلم أويجهل .

(١) نفس المصدر (ص ١٣١ - ١٣٢) .

(٢) مقالات الإسلاميين (ص ٢٨٠) .

(٣) وهذا الذي يظهر ، والله أعلم ، حيث نجد أنّ جميع العلماء الآخرين الذين
 نصّوا على مقالته هذه لم يذكروا القول الأول ، الذي هو « أنّ الله يكون عالماً
 بالأشياء كلها قبل وجودها بعلم يحدثه قبلها » ، بل جزموا - كما فعل ذلك
 الدارمي وابن حزم والصفدي - بأنّه يقول « إنّ الله لا يعلم بالأشياء قبل
 وقوعها » .

فألزمه مخالفوه أنّ لله علماً إذ زعم أنّ الله قد كان غير عالم ثم علم ، ويجب على أصله أن يقول في القدرة والحياة كقوله في العلم «^(١)» .

وقال عبد القاهر البغدادي : « الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الذي . . . زعم أيضاً أن علم الله تعالى حادث »^(٢) .

وقال عبد القادر الجيلاني عنه إنه : « كان يأبى أن يقول : إنّ الله عالم بالأشياء قبل كونها »^(٣) .

وقال ابن حزم : « قال جهم بن صفوان ، وهشام بن الحكم ، ومحمد بن عبد الله بن مسرة ، وأصحابهم ، إنّ علم الله تعالى هو غيره ، وهو محدث مخلوق »^(٤) .

وقال الشهرستاني : « منها - يعني مقالات الجهم - إثباته علوماً حادثة للباري تعالى لا في محل ، قال : لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه ، لأنه لو علم ثم خلق أفبقي علمه على ما كان ، أولم يبق . فإن بقي فهو جهل ، فإن العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد ، وإن لم يبق فقد تغير . والمتغير مخلوق ليس بقديم . ووافق في هذا مذهب هشام بن

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (ص ٣٩٣-٣٩٥) . وقال أيضاً : « وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أنّ لله علماً لم يزل ، وقد قالوا : علم الله لم يزل ، وعلم الله سابق في الأشياء ، ولا يمنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ، ونازلة تنزل : كل هذا سابق في علم الله » (الإبانة للأشعري ، ص ١١٤) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص ١٩٤) .

(٣) الغنية (ص ١١٨) .

(٤) الفصل (٢ / ٢٩٣) .

الحكم كما تقرّر . قال : وإذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث في ذاته تعالى ، وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته وأن يكون محلاً للحوادث ، وإما أن يحدث في محل ، فيكون المحل موصوفاً به لا الباري تعالى ، فتعين أنّه لا محل له ، فأثبت علوماً حادثة بعدد المعلومات الموجودة «^(١)» .

وقال الصفدي : « ومنها أنّه أثبت للباري تعالى علوماً حادثة لا في محل . ومنها أنه قال : لا يجوز أن يعلم الله الشيء قبل خلقه ، قال : لأنه لو علم به قبل خلقه لم يخل إما أن يكون علمه بأنّه سيوجده يبقى بعد أن يوجده أم لا ، ولا جائز أن يبقى لأنه بعد أن أوجده لا يبقى العلم بأنّه سيوجده لأن العلم بأنّه أوجده غير العلم بأنّه سيوجده ضرورة ، وإلا لانقلب العلم جهلاً وهو على الله سبحانه محال ، وإن لم يبق علمه بأنّه سيوجده بعد أن أوجده فقد تغير ، والتغير على الله محال . وإذا ثبت هذا تعين أن يكون علمه حادثاً بحدوث الإيجاد لأن ذلك يؤدي إلى أنّ ذاته محل للحوادث ، وهو محال . وإما أن يحدث في محل وهو أيضاً محال ، لأنه يؤدي إلى أن يكون المحل موصوفاً بعلم الباري تعالى ، وهو محال ، فتعين أن يكون علمه حادثاً لا في محل »^(٢) .

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية أقوال الفرق في هذه المسألة في رسالته (رسالة في تحقيق مسألة علم الله)^(٣) ، ذكر فيها قول الجهم بن صفوان ، فقال : « القول الثالث : أنّه يعلمها [أي المقدرات] قبل حدوثها ، ويعلمها

(١) الملل والنحل (١ / ٧٣) .

(٢) الوافي بالوفيات (١١ / ١٦٠-١٦١) .

(٣) انظرها في : جامع الرسائل لابن تيمية ، جمع محمد رشاد سالم (١ / ١٧٧-١٨٣) .

بَعْلَمَ آخِرَ حَيْثُ وَجُودِهَا ، وَهَذَا قَدْ حَكَاهُ الْمُتَكَلِّمُونَ كَأَبِي الْمَعَالِي عَنْ جَهْمٍ فَقَالُوا : إِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى إِثْبَاتِ عُلُومِ حَادِثَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَالَ : الْبَارِئُ عَالَمٌ لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ كَانَ فِي الْأَزْلِ عَالِماً بِنَفْسِهِ وَبِمَا سَيَكُونُ ، فَإِذَا خَلَقَ الْعَالَمَ ، وَتَجَدَّدَتِ الْمَعْلُومَاتُ ، أَحْدَثَ لِنَفْسِهِ عُلُوماً بِهَا يَعْلَمُ الْمَعْلُومَاتِ الْحَادِثَةِ ، ثُمَّ الْعُلُومُ تَتَعَاقَبُ حَسَبَ تَعَاقُبِ الْمَعْلُومَاتِ فِي وَقْعِهَا مُتَقَدِّمَةً عَلَيْهَا ، أَيْ الْعُلُومُ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الْحَوَادِثِ . وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَالَ : إِنَّهَا فِي غَيْرِ مَحَلٍّ ^(١) . وَهَذِهِ الْمَقَالَةُ مُشَابِهَةٌ لِعَقِيدَةِ فَلَاسِفَةِ الْيُونَانِ ، وَعَنْهُمْ أَخَذَهَا الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ .

قَالَ أَفْلَاطُونُ : « فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ لِتَرْكِيبِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ وَضَمِّهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يَصْبِحَ شَيْئاً وَاحِداً ، أَوْ أَنْ يَفْضَلَ هَذَا الشَّيْءُ إِلَى أَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ » ^(٢) .

وَفِي كِتَابٍ آخَرَ ، فِي حِوَارٍ مَعَ سَقْرَاطُسَ فِي مَسْأَلَةِ عَقِيدَتِهِ فِي اللَّهِ ^(٣) . وَنَظَرِيَّتُهُ الْخَاصَّةُ بِعِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ ، قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ أَحْوَالَ الْإِنْسَانِ ، فَأَجَابَهُ سَقْرَاطُسُ أَنَّ نِسْبَةَ الْجَهْلِ إِلَى اللَّهِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، فَقَالَ أَفْلَاطُونُ : « وَهَذِهِ بَعْضٌ - أَقُولُ بَعْضٌ - الْمَشَاكِلِ الَّتِي تَوَاجَهُنَا عِنْدَمَا نَقُولُ بِهَذَا

(١) جَامِعُ الرِّسَالِ لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ (١٧٩ / ١) .

(٢) (تَيْمِيَّاسٌ) ج : أَفْلَاطُونُ (ص ٤٦٥)

Timaeus , by Plato , (, v . 7 of the Great Books Series , p . 465) .

(٣) وَيَلَاظُ أَنَّ أَكْثَرَ كِتَابَاتِ أَفْلَاطُونِ عَلَى طَرِيقَةِ الْحِوَارِ مَعَ بَعْضِ شُيُوخِهِ أَوْ تَلَامِذَتِهِ . وَسَقْرَاطُسُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ أَكْبَرُ شُيُوخِهِ ، وَحَيْثُ لَمْ تَبْقَ كِتَابَاتُهُ ، فَإِنَّ الْمَرْجِعَ الْأَسَاسِيَّ لِمَعْرِفَةِ آرَاءِ سَقْرَاطُسَ هُوَ كِتَابَاتُ تَلْمِيزِهِ أَفْلَاطُونُ ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ نَظَرِيَّاتِ شَيْخِهِ وَيُنَاقِشُهَا كَثِيراً .

القول . . . «^(١) ثم ذهب يبرّر بطرق أخرى عمّا قاله . وذكر هذه العقيدة - يعني أنّ الله لا يعلم ما يفعله الإنسان - في كتابه المشهور (القانون - Laws) كذلك^(٢) .

ولقد تحدّث تلميذه الخاص - الذي فاق شيخه في الشهرة وكتب في ذات الله وصفاته كتابات كثيرة - تحدّث تلميذه أرسطوطاليوس ، في كتابه المشهور (ميتافيزيقية) عن صفة علم الله ، حيث خصّص لهذه الصفة باباً كاملاً (وهو الباب التاسع) من الجزء الثاني عشر من هذا الكتاب . قال في هذا الباب ما ملخصه أنّ التفكير والتعلّم أشرف الأعمال على الإطلاق ، إذ لا بدّ أن يكون المحرّك الأول (الذي هو الله) دائماً في التفكير (لأنّه أشرف الأعمال ، ويجب على الله أن يكون موصوفاً بصفات الكمال) . ولكن لا ينبغي لهذا المحرّك أن يتفكّر في أمور غير لائقة به ، ذلك أنّ شرف التفكير تابع لشرف الموضوع الذي يتفكّر فيه المتفكّر . ولا شيء أشرف من ذات الله - أو المحرّك الأول « . . . فنستنتج من جميع هذه المقدمات أنّ الله يتفكّر في ذاته فقط ، لأنّه أشرف موجود . . . »^(٣)

(١) (بارميناديس) ل : أفلاطون (ص ٤٩٠)

Parmenides , by Plato , (v . 7 of the Great Books Series , p . 490)

(٢) انظر : ص ٧٦٦-٧٦٧ من الكتاب .

Laws , X , by Plato , (v 7 . of the Great Books Series , pps . 766 - 767)

(٣) (ميتافيزيقية) ل : أرسطوطاليوس (ص ٦٠٥) .

Metaphysics , Book Twelve , Chapter Nine , by Aristotle , (v 8 . of the Great Books Series , pps . 605)

فيعلم ذاته فقط ، إذ لو علم أمراً غير ذاته من الأمور المستحدثة ، لزم من ذلك التحرك في ذاته ، والتحرك يستلزم التغيير ، والتغيير محال على المحرك الأول لأنه لو تحرك وتغير لكان مركباً ، والمركب ليس ببسيط ، فيكون مخلوقاً^(١) .

فأرسطوطاليس - ومن قبله شيخه أفلاطون - صرح بأن الله تعالى لا يعلم شيئاً سوى ذاته^(٢) ، بمعنى أنه - والعياذ بالله - جاهل عما يحصل خارجاً عن ذاته ، سواء قبل حدوثه ، أو وقت حدوثه ، أو بعد حدوثه . وهذا هو (تنزيههم) لله ، وهذا ما يقتضيه (الكمال المطلق) في حقه ! فسبحان الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً .
ويصف ابن القيم في النونية حال أرسطوطاليس وأتباعه إذ يقول^(٣) :

(١) انظر : الباب التاسع من ميتافيزيقية لأرسطوطاليس (ص ٦٠٣-٦٠٦) .
Metaphysics , Book Twelve , Chapter Nine , by Aristotle ,
(v 8 . of the Great Books Series , pps 603 - 606)

(٢) ولقد نقض شيخ الإسلام هذه المقالة ومقالة ابن سينا في علم الله المتشابه لها في مواضع من كتبه ، منها ما في درء التعارض (١٠ / ١١٠ فما بعده) ، حيث قال : « والمقصود هنا أنه إذا كان عالماً بنفسه لزم أن يكون عالماً بخلقه ، وهذه قضية صحيحة ، ويمكن تقريرها من طرق ، أحدها : أنه لا يكون عالماً بنفسه علماً تاماً إلا إذا كان عالماً بلوازمها ، والخلق من لوازم مشيئته التي هي من لوازم نفسه . . . ففي الجملة لا يكون عالماً بنفسه إن لم يكن عالماً بلوازمها ، وقدرته وإرادته من لوازمها ، ومراده من لوازم الإرادة . فالمفعولات لازمة للإرادة اللازمة لذاته ، ولأزم اللازم لازم . . . إلخ كلامه » .

(٣) نونية ابن القيم - مع شرح الهراس (٤٤ / ٢) .

ولذلك قالوا ليس يعلم قطّ شيءٌ ثأ ما من الموجود في الأعيان
لا يعلم الأفلاك كم أعدادها وكذا النجوم وذاتك القمران
بل ليس يسمع صوت كل مصوت كلا وليس يراه رأي عيان
بل ليس يعلم حالة الإنسان تفصيلاً من الطاعات والعصيان
كلا ولا علم له يتساقط الـ أوراق أو بمنابت الأغصان
علماً على التفصيل هذا عندهم عين المحال ولازم الإمكان
فانظر إلى تشابه القولين^(١) ، وقارن بين أدلة أرسطاطاليس وأدلة جهم وما
نقله عنه الشهرستاني والصفدي^(٢) ، أفترى بينهما فرقاً يذكر ؟ ﴿ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ
الْجَحِيمِ ﴿ [البقرة: ١١٨-١١٩] .



(١) هناك فرق بين القولين من جهة أنّ الجهم يقول بأنّ علم الله بالأشياء حادث ،
والفلاسفة يقولون بأنّه لا يعلم شيئاً سوى ذاته ، ولكن كلا القولين يتفقان في
إنكار العلم الإلهي السابق ، وينكران قيام الصفات بالذات .

(٢) حيث نقلنا عنه ، كما سبق : « لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه ، لأنّه لو علم
ثم خلق أفريقي علمه على ما كان ، أولم يبق ؟ فإن بقي فهو جهل ، فإن العلم بأن
سيوجد غير العلم بأن قد وجد ، وإن لم يبق فقد تغير . والمتغير مخلوق ليس
بقديم » .

المبحث الثاني

نقد هذه المقالة والرد عليها

ينحصر الكلام في هذا المبحث في مطلبين :

المطلب الأول : إثبات علم الله تعالى الأزلي .

المطلب الثاني : الرد على أدلة جهنم بن صفوان في هذه المسألة .

المطلب الأول

إثبات علم الله تعالى الأزلي

إنَّ الله جلّ وعلا يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وعلمه محيط بكلّ شيء ، علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، وعلم أرزاقهم وآجالهم ، وحركاتهم وسكناتهم ، يعلم ذلك كلّ بعلمه القديم الأزلي . والأدلة على ذلك كثيرة ، من الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل ، والفطرة السليمة .

والإيمان بعلم الله السابق الشامل لجميع الأشياء من الأمور البديهية عند جميع المسلمين ، لكثرة الدلالات عليه ، لذلك لا نطيل في الرد على هذه الشبهة ، ولنورد بعض هذه الأدلة فيما يلي .

فمن الكتاب ، قوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ رَضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِسُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠] ، وهذا في المستقبل . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤] ، ولقد فسر هذه الآية جَم غفير من السلف بأن المراد منها أَنَّ الله تعالى يعلم ما مضى من الأمم ، وما سيكون منهم ممن

لم يوجدوا الآن^(١) . وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] ، فأخبر أنه كان يعلم بفتح مكة قبل وقوعه . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] ، وفيه دليل ظاهر بأنه يعلم ما في الغد ، إذ لو لم يعلمه لما عاب على المخلوق ما هو متصف به نفسه ، تعالى الله عن ذلك . وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَبَاهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٣] ، وقال جل ذكره ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٠] .

ومن الآيات الصريحة أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] أي : إن الله يعلم مصير هؤلاء الخلق في المستقبل ، وأنه سيكون منهم سكان الجنة ، كما فسره بعض السلف^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقال أيضاً : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

(١) انظر : تفسير الطبري (١٤ / ٢٠ - ٢٥) عند تفسير هذه الآية .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (١ / ٧٤) عند تفسيره لهذه الآية .

خَلَفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿ [الحج: ٧٦] ، والمراد من ذلك ، كما فسرهُ غير واحد من السلف ، أنَّ الله يعلم ما كان وما هو كائن ، لا يخفى عليه خافية^(١) .

وقال تعالى عن أهل النار : ﴿ بَلْ بَدَأَ هُمْ مَّا كَانُوا يُحْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٨] ، وفي هذا دليل على أنَّه جلَّ ذكره يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون .

وقال : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١] ، وفي هذا دليل على أنَّه جلَّ ذكره يعلم ما لا يمكن أن يكون لو كان كيف يكون .

قال الدارمي بعد سياقه بعض الآيات الواردة في علم الله : « وما أشبه هذا من كتاب الله كثير ، ولولم يكن منها في كتاب الله إلا حرف واحد لاكتفي به حجة بالغة ، فكيف والكتاب كله ينطق بنصّه ، يستغنى فيه بالتنزيل على التفسير ، وتعرفه العامة والخاصة ؟ »^(٢) .

وبجانب هذه الآيات ، فهناك العديد من أسماء الله تعالى وصفاته الواردة في القرآن متعلقة بالعلم ، كلها تدلّ على إحاطة علمه لجميع الخلق ، منها : (العليم) و (الخبير) و (اللطيف) و (الباطن) ، و (السميع) و (البصير) و (علّام الغيوب) و (عالم الغيب) و (عالم الغيب والشهادة) ، ووصف بأنّه (يعلم السرّ وأخفى) وأنّه (بكل شيء

(١) انظر : تفسير الطبري (٧/٣) ، عند تفسير آية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٢) الردّ على الجهمية (ص ١٣٤) .

عليم) وغير ذلك من الصفات الكثيرة .

ومن السنة ، حديث جبريل المتفق عليه ، وهو أول حديث في صحيح مسلم ، وفيه القصة المشهورة من تبرؤ ابن عمر من الذين أنكروا علم الله وقدره (١) .

وكذلك حديث عمران بن حصين مرفوعاً : « قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْعَرَفُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ ؟ قَالَ : كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَوْ لِمَا يُسَّرَ لَهُ » (٢) .

وفي مسلم عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ قَالَ : قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَتُبَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ؟ » . فَقُلْتُ : « بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ » . قَالَ : فَقَالَ : « أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا ؟ » ، قَالَ : فَقَزَعْتُ مِنْ ذَلِكَ قَزَعًا شَدِيدًا وَقُلْتُ : « كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ وَمَلَكَ يَدِهِ فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ » . فَقَالَ لِي : « يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنِّي لَمْ أَرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَخْزَرَ عَقْلَكَ . إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُرِيَّتَةِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ

(١) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : الإيمان والإسلام والإحسان (١٠١/١ ، حديث ١) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب القدر ، باب جفّ القلم على علم الله (٤٩١/١١ ، حديث ٦٥٩٦) ، ومسلم في القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه (٤١٤/١٦ ، حديث ٦٦٧٩) .

أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ : لَا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ وَتَضَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨] ^(١) .

وغيرها من الأحاديث الكثيرة المتواترة ^(٢) التي تدلّ دلالة واضحة على سبق علم الله تعالى وأنه جل وعلا لا يخفى عليه خافية فيما مضى وما سيكون .

ولقد أجمع جميع أهل السنة والجماعة - بل وجميع الفرق الإسلامية المتأخرة ، من المعتزلة والصوفية والأشاعرة والماتريدية والمرجئة ، ناهيك عن أكثر فرق أهل الكتاب - على أنّ الله عزّ وجلّ يعلم ما كان وما يكون .

قال إسماعيل بن يحيى المزني : « فالخلق عاملون بسابق علمه ، ونافذون لما خلقهم له من خير وشر » ^(٣) ، وقال ابن خزيمة في كتاب التوحيد : « باب ذكر إثبات العلم لله جل وعلا ، تباركت أسماؤه وجل ثناؤه ، بالوحي المنزل على النبي المصطفى ﷺ الذي يقرأ في المحاربين

(١) رواه مسلم في كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (١٦ / ٤١٤) ، حديث (٦٦٨١) .

(٢) لقد عدّ السيوطي في (قطف الأزهار المتناثرة) حديث ابن مسعود « إنّ أحدكم ليعمل بعلم أهل الجنة . . . » من الأحاديث المتواترة ، كما عدّ حديث الميثاق والذي فيه أنّ الله قبض قبضتين وقال : « هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي . . . » ، وكلا الحديثين يدلان على علم الله السابق . انظر : قطف الأزهار المتناثرة (ص ١٥٩ و ١٨٥) .

(٣) شرح السنة (ص ٧٦) .

والكتاتيب من العلم الذي هو من علم العام ، لا بنقل الأخبار التي هي من نقل علم الخاص ، ضد قول الجهمية المعطلة الذين لا يؤمنون بكتاب الله ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، تشابهاً باليهود ، ينكرون أن لله علماً^(١) ، يزعمون أنهم يقولون إن الله هو العالم ، وينكرون أن لله علماً مضافاً إليه من صفات الذات^(٢) ، وقال البرهاري : « والإيمان بأن الله قد علم ما كان من أول الدهر ، وما لم يكن ، وما هو كائن أحصاه وعدّه عدّاً ، ومن قال : إنه لا علم إلا ما كان وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم . . . قد علم الله ما العباد عاملون ، وإلى ما هم صائرون ، لا يخرجون من علم الله ولا يكون في الأرضين والسموات إلا ما علم الله تعالى »^(٣) ، وقال ابن بطة العكبري : « ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره ، حلوه وممره ، قليله وكثيره ، مقدور واقع من الله عزّ وجلّ على العباد ، في الوقت الذي أراد أن يقع ، لا يتقدم الوقت ولا يتأخر ، على ما سبق بذلك علم الله . . . »^(٤) ، وقال ابن أبي زمين : « ومن قول أهل السنة أن المقادير كلها خيرها وشرها حلوها ومرها من الله عزّ وجلّ ، فإنه خلق الخلق وقد علم ما يعملون وما إليه يصيرون . . . »^(٥) ، وقال الصابوني : « ويعتقدون ويشهدون أن الله عزّ وجلّ أجل لكل

(١) في الأصل : علماء ، وما أثبتته موافقاً للمعنى .

(٢) كتاب التوحيد (٢٢ / ١) .

(٣) شرح السنة (ص ٣٧ - ٣٩) .

(٤) الشرح والإبانة (ص ٢١٥) .

(٥) أصول السنة (ص ١٩٧) .

مخلوق أجلاً ، وأن نفساً لن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت ، وليس له عنه فوت » (١) .
ومن الأدلة العقلية على علم الله تعالى ما أورده الدارمي حيث قال :
« فيقال لمن ردّ ما ذكرنا من كتاب الله وهذه الأخبار ولم يقرّ بعلم سابق :
أرأيت الله يعلم أنّ الساعة آتية ؟ فإن قال : لا ، فقد فارق قوله وكفر
بما أنزل على نبيه ﷺ وكذب بالبعث ، وأخبرك أنّه نفسه لا يؤمن بقيام
الساعة . وإن قال : يعلم الله أنّ الساعة آتية ، فقد أقرّ بكل علم شاء
أوأبى ، ويقال أيضاً : أعلم الله قبل أن يخلق الخلق أنّه خالقهم ؟ فإن
قال : لا ، فقد كفر بالله العظيم ، وإن قال : بلى ، فقد أقرّ بالعلم
السابق وانتقض عليه مذهبه في ردّ علم الله ، وهو منتقض عليه على
زعمه » (٢) .

ومن الفطرة ، فمن البدهي أنّ الذي خلقنا وخلق جميع الخلق يعلم ما
نحن عليه وما نحن فاعلوه ، لذلك قال الله جل ذكره ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] ، وهذا استفهام إنكاري ، بمعنى : كيف لا
يعلم الله جميع الأمور وهو الخالق لها ؟
فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة أنّ الله تعالى يعلم ما
كان وما سيكون ، ولا تخفى عليه خافية .



(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٠٩) .

(٢) الردّ على الجهمية (ص ١٥٣-١٥٤) .

المبحث الثاني

الرد على أدلة جهنم بن صفوان في هذه المسألة

مما سبق ، نستخلص أن الجهم استدلّ لرأيه هذا بأدلة عقلية ونقلية .
فأما أدلته العقلية ، فكلها تدور حول أصله الفاسد من أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه ، وكذلك لوازم قوله بدليل الأعراض وحدوث الأجسام^(١) ، فإنكاره لهذه الصفة مبني على قوله في هاتين المسألتين .
وقد سبق أن بيّنت أقواله في المسألتين في مبحث سابق ، وقول أهل السنة فيهما ، ورددت على أدلة نفاة الصفات^(٢) .

وأما دليله النقلي ، فقد استدلّ بقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١] ونحوها من الآيات^(٣) .
ولقد أجاد ابن حزم في الرد على هذا الاستدلال ، حيث قال : « ومعنى كل ما جاء في القرآن من الآيات التي ذكروا ، هو ما نبينه إن شاء الله تعالى بحوله عز وجل وقدرته ، وهو أنه لما أخبرنا الله عز وجل بأن أهل النار لوردوا لعادوا لما نهوا عنه ، وأخبرنا عز وجل أنه يعلم متى تقوم الساعة ، وأخبرنا بما يقول أهل الجنة وأهل النار قبل أن يقولوا ، وسائر ما في القرآن

(١) انظر : الوافي بالوفيات للصفدي (١٦٠/١١ - ١٦١) .

(٢) انظر : (ص ٤٨٥) وما بعدها .

(٣) ولقد تتبعت هذه الآيات في القرآن ، فوجدتها عشر آيات مع آية سورة محمد ، وهاكم مواضع هذه الآيات : (سورة البقرة ، ١٤٣) ، (سورة آل عمران ، ١٤٢ و ١٦٦) ، (سورة المائدة ، ٩٤) ، (سورة التوبة ، ١٦) ، (سورة سبأ ، ٢١) ، (سورة الحديد ، ٢٥) ، (سورة العنكبوت ، ٣ و ١١) .

من الأخبار الصادقة عما لم يكن بعد ، علمنا بذلك أن علمه تعالى بالأشياء كلها متقدّم لوجودها ولكونها ضرورة ، وعلمنا أن كلامه عز وجل لا يتناقض ولا يتدافع ، وأن المراد بقول الله تعالى ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ ﴾ ، وسائر ما في القرآن من مثل هذا إنما هو على ظاهره دون تكلف وتأويل ، بل هي على المعهود بيننا ، كقوله تعالى : ﴿ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَمَ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْتَسِبُ ﴾ [طه: ٤٤] ، إنما هذا على حسب إدراك المخاطب ، ومعنى ذلك : حتى نعلم من يجاهد منكم مجاهداً ، ونعلم من يصير منكم صابراً ، وهذا لا يكون إلا في حين جهادهم وحين صبرهم ، وأما قبل أن يجاهدوا ويصبروا فإنما عَلِمَهُمْ غير مجاهدين وغير صابرين ، وأنهم سيجاهدون ويصبرون ، فإذا جاهدوا علمهم حينئذ مجاهدين ، وإنما الزمان في كل هذا للمعلوم ، وأما علمه تعالى ففي غير زمان ، وليس ههنا تبدل علم ، وإنما يتبدل المعلوم فقط ، والعلم في كل ذلك لم يزل غير مبدل ^(١) .

وقال الطبري عند تفسير إحدى هذه الآيات : « والله عالم بذلك منهم - يعني من يؤمن ومن لا يؤمن - قبل الاختبار ، وفي حال الاختبار ، وبعد الاختبار ، ولكن معنى ذلك : وليظهرنّ الله صدق الصادق منهم في قلبه آمناً بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوّه » ^(٢) . وقال ابن كثير : « وليس في تقدّم علم الله تعالى بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب ، فالمراد : حتى نعلم وقوعه ، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه في مثل

(١) الفصل (٢٩٧/٣ - ٢٩٨) .

(٢) تفسير الطبري (١٢٩/٢٠) ، عند تفسير الآية الثالثة من سورة العنكبوت .

هذا : (إلا لنعلم) : أي لنرى »^(١) . فيقال : إن معنى هذه الآيات أن الله يريد أن يعلم علماً يثاب ويعاقب عليه ، لا علماً قبل وقوع الفعل مما لو أثاب أو عاقب عليه لكان ظلماً .

ولقد قال الله تعالى في قوم أنكروا بعض علم الله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت: ٢٢-٢٣] ، فما عسى يكون حال جهنم هذا ، الذي أنكر سابق علم الله تعالى بالكلية ؟ قال الإمام أحمد : « إذا قال الرجل : العلم مخلوق ، فهو كافر ، لأنه يزعم أنه لم يكن له علم حتى خلقه »^(٢) . وسئل الإمام أحمد عن رجل يقول بالقدر ، أكافر هو ؟ فأجاب : « إذا جحد العلم ، فقال : إن الله لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم ، فجحد العلم ، فهو كافر »^(٣) . وعن الربيع بن سليمان قال « قال حفص الفرد : علم الله مخلوق . فقال الشافعي : كفرت بالله العظيم »^(٤) . وهذا كله قول جهنم سواء بسواء .

وقال الدارمي ، بعد ذكره لقول جهنم في هذه المسألة : « فردّ على جهنم بعض العلماء قوله هذا ، وقالوا له : كفرت بها يا عدو الله من ثلاثة أوجه :

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ١٩٠) ، عند تفسيره آية سورة محمد .

(٢) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (ص ١٠٢) .

(٣) شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٣ / ٤٥٠) .

(٤) شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٣ / ٤٥٠) .

وجه أنك نفيت عن الله العلم السابق في نفسه قبل حدوث الخلق وأعمالهم .

والوجه الثاني : أنك استجهلت المسيح أنه وصف ربه بما لا يوصف بأن له خفايا علم في نفسه إذ يقول له : ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦] والوجه الثالث : أنك طعنت به على محمد ﷺ إذ جاء به مصدقاً لعيسى ، فأفحم جهماً^(١) .

وهذا القول انفردت به الجهمية من بين سائر الفرق الإسلامية ، إلا ما ورد عن القدرية القدماء ، وعن بعض الأفراد من المنتسبين للإسلام^(٢) . فنجد مثلاً أنه وافقه على قوله هذا هشام بن الحكم ، ومحمد بن عبد الله ابن مسرة ، كما نبّه على ذلك غير واحد من أهل العلم^(٣) . فأما محمد هذا ، فهو ابن عبد الله بن مسرة الجيلي ، الأندلسي ، من المتفلسفة ، وكان من دعاة الإسماعيلية ، واتهم بالزندقة^(٤) . وأما هشام هذا ، فكان من غلاة الرافضة المجسمة ، وكان يقول بالطرفة ، وحكى عنه الأشعري أنه كان يقول : « إنه محال أن يكون الله عالماً في نفسه

(١) الرد على الجهمية (ص ١٣١ - ١٣٢)

(٢) هذا ، ومن المعلوم أن الكرامية قالوا في جميع الصفات الاختيارية إن الله جل وعلا لم يكن متصفاً بها قبل فعلها ثم اتصف بها ، وهذا القول فيه وجه شبه مع قول الجهم بن صفوان في علم الله ، إلا أنني لم أر من نسب إليهم إنكار العلم الإلهي ، والله أعلم .

(٣) انظر على سبيل المثال : المقالات للأشعري (ص ٣٧) ، والفصل لابن حزم (٢ / ٢٩٣) .

(٤) انظر : الأعلام للزركلي (٧ / ٩٥) .

ليس بجاهل ولكنه إنما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها ، فأما قبل أن يقدرها ويريدها فمحال أن يعلمها لا لأنه ليس بعالم ولكن الشيء لا يكون شيئاً حتى يقدره ويثبتته بالتقدير « (١) .

وبين الدارمي تشابه قول جهم بقول بعض المعتزلة فقال : « وهذا المذهب الذي ادعوه في علم الله قد وافقهم على بعضه بعض المعتزلة ، لأنه لا يبقى مذهب الفريقين جميعاً إلا برّد علم الله ، فكفى به ضلالاً » (٢) .

ومن الغرائب أنّ أكثر القدرية اضطروا إلى إثبات علم الله تعالى ، مع نفیهم القدرة الإلهية (٣) . ولكن الجبرية - وعلى رأسهم الجهم بن صفوان - أنكروا علم الله السابق وأثبتوا القدرة الإلهية !



(١) مقالات الإسلاميين (ص ٣٧) .

(٢) الردّ على الجهمية (ص ١٣٩)

(٣) فقد سأل عمرُ بن عبد العزيز غيلانَ عن علم الله ، فأجاب غيلان : « سبحان الله ! فقد علم الله كلّ نفس ما هي عاملة وإلى ما هي صائرة » ، فقال عمر : « والذي نفسي بيده ، لو قلت غير هذا ، لضربت عنقك » (السنة لعبد الله بن أحمد ، ٢ / ٣٨٦) . ولذلك قال عمر بن عبد العزيز : « من أقرّ بالعلم خُصم » (الردّ على الجهمية للدارمي ، ص ١١٨) .

الفصل الثاني مقالات في الملائكة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

المبحث الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها

المبحث الأول

نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

إن الإيمان بالملائكة أمرٌ مجمعٌ عليه بين المسلمين وأهل الكتب - بل وبعض الديانات الوثنية كذلك - مع اختلاف بينهم في بعض مسائله^(١) .
 إلا أن جهماً ، انطلاقاً من مبدئه في إنكار النصوص وعدم الإيمان بها إلا في الأمور المحسوسات ، أنكر وجود بعض الملائكة . قال الملطي :
 « وأنكر جهم أن ملك الموت يقبض الأرواح »^(٢) . وقال : « وأنكر جهم . . . منكراً ونكيراً . »^(٣) . وقال : « وأنكر جهم ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴾ [الأنفطار: ١٠-١١] »^(٤) . وقال الملطي عن بعض الجهمية « ومنهم صنف . . . أنكروا الكرام الكاتبين ، أن يكون الله عز وجل يجعل على عباده حفظة يحفظون أعمالهم ، وأنكروا . . . منكراً ونكيراً . . . وأنكروا أن يكون ملك الموت يقبض الأرواح ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً »^(٥) .

(١) انظر : معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين ، للعقيل (ص ٢٣٩-٣١٥) .

(٢) التنبيه والرد (ص ١١٧) . ويلاحظ أن جهماً أنكر وظيفة ملك الموت ، ولم يصرح بإنكار وجوده ، بخلاف إنكاره لبقية الملائكة ، ولكن إنكار وظيفة ملك الموت فيه إنكار للنصوص الصريحة في ذكره ، وإشارة منه إلى عدم وجوده ، والله أعلم .

(٣) نفس المصدر (ص ١١٨) .

(٤) نفس المصدر (ص ١٠٧) .

(٥) نفس المصدر (ص ٩٧) .

ولم أجد من المتقدمين والمتأخرين من نصّ على مقالته هذه سوى الملطي ، فالله أعلم^(١) .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام : هل أنكر جهم الإيمان بالملائكة بالكلية ، أم أنّه أنكر وجود هذه الملائكة فحسب ؟

ذهب بعض الباحثين^(٢) إلى أنّ جهماً أثبت وجود الملائكة ، ذلك لأنّه أثر عن الجهمية قولهم : « إنّ الإيمان هو المعرفة بالله ورسوله . . . وزعموا أنّ إيمانهم كإيمان جبريل والملائكة والنبين »^(٣) . فيظهر من هذا النصّ أنّ بعض الجهمية أثبتوا وجود بعض الملائكة .

ولكن قد يقال في الردّ على هذا الاستنباط إنّ جهماً نفسه لم يصرح بعقيدته في الملائكة ، وتصريح بعض الجهمية المتأخرين لا يستلزم أنّ هذا قول جهم نفسه كما لا يخفى . ثم إنّ جهماً أنكر ما علّم من الدين بالضرورة وثبت بأدلة الكتاب ، كإنكار الكرام الكاتبين ، وملك الموت . فإذا أنكر هؤلاء الذين ورد ذكرهم في القرآن ، فما باله لا ينكر بقية الملائكة ؟

فمقالته هذه في الحقيقة ليست إيماناً بالملائكة ، بل هي تسترّ توصل إلى إنكار وجودهم وجحد حقيقتهم ، وتكذيب منه لهذا الركن من أركان

(١) ومّا يؤيد أنّه فعلاً أنكر وجود الملائكة ، تأثّره بالسمنية الذين ينكرون جميع العلوم إلا ما ثبت بالحسّ ، فإنكار الملائكة يكون تبعاً لهذا المبدأ ، لأنّه من الأمور الغيبية التي لا يمكن إثباتها إلا عن طريق الوحي .

(٢) منهم العسلي في رسالته المتعلقة بالجهم (ص ١٢٣) ، ووافقه عليه د . / . العقيل في كتابه عن الملائكة (ص ٢٤٣) .

(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (٢٧٣ / ١) .

الإيمان ، والله أعلم .

ولقد تلقى جهم هذه المقالة عن الفلاسفة ؛ إذ إنّ جميع ديانات العالم ، سواء من أهل الكتاب أو الهندوس أو البوذيين ، كلّهم يؤمنون بوجود الملائكة (مع اختلاف شديد فيما بينهم في أعمالهم وطبائعهم)^(١) . ولكن الفلاسفة هم الذين أنكروا حقيقة الملائكة ، فقالوا إنّ الملائكة المقرّبين هي العقول المجردة التي هي جواهر قائمة بأنفسها ، لا تتحرّز ولا تتصرّف في الأجسام ، وإنّ ما أخبر به الرسول ﷺ عن هذه الأمور الغيبية إنّما هو تخيل وأمثال مضروبة ، لا أنّه أخبر عن الحقائق على ما هي عليه فليس في الحقيقة ذات منفصلة لهم ، تصعد وتنزل وتخطب وتعبّد ، بل وجودهم وجود ذهني لا وجود حقيقي^(٢) .

قال ابن أبي العزّ ، بعد سياقه الأركان الستة للإيمان : « وأما أعداؤهم - يقصد أعداء أهل السنة - ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع ، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها ، وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المسمّون عند من يعظّمهم بالحكماء ، فإنّ من علم حقيقة قولهم علم أنّهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر » إلى أن قال في عقيدتهم في الملائكة أنّهم تخيل وأمثال « . . . » وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخطب الرسل ، وإنّما

(١) انظر : معتقد فرق المسلمين للعقل (ص ٣١٠-٣٢١) .

(٢) انظر : تهافت الفلاسفة للغزالي (ص ٢٢٦) ، وشرح الطحاوية (ص ٢٩٨)

ومعتقد فرق المسلمين للعقل (ص ٣٢٠-٣٢١) .

ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان» (١) .
ولم أجد أحداً من المنتسبين إلى الإسلام أنكر وجود الملائكة
صرحة (٢) .



(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٩٨) .

(٢) ورد نص غريب في (المحصل) للرازي أنه قال عن الملائكة : « والفلاسفة
وأوائل المعتزلة أنكروها » (ص ٣٢٥) ، ولكنني - بعد طول البحث - لم
أجد أحداً نصّ على ذلك ، لا من المعتزلة ولا من غيرهم ، والمشهور عنهم
خلاف ذلك ، والله أعلم .

المبحث الثاني

نقد هذه المقالة والرد عليها

بما أَنَّ الإيمان بالملائكة من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها ، ليس علينا في الرد على عقائد الجهم في هذا الباب إلا أن نسوق الأدلة الدالة على ذلك من الكتاب والسنة .

وقد ورد ذكر ملك الموت في القرآن ، حيث قال تعالى ﴿ قُلْ يَنفَعُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيَّ رَبِّكُمْ تَرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١] .

وورد ذكره في الأحاديث كذلك ، منها ما هو متفق عليه ، مثل حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعاً : قَالَ : أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ .

فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ : « أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ » .
فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ : « ازْجِعْ فَقُلْ لَهُ : يَضَعُ يَدُهُ عَلَى مَثْنِ نَوْرٍ ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ » .

قَالَ : « أَيُّ رَبِّ تُمَّ مَاذَا ؟ »

قَالَ : « تُمَّ الْمَوْتُ »

قَالَ : « فَالآنَ ! » فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ .

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، عِنْدَ الْكَيْثِيبِ الْأَخْمَرِ » (١) .

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب من أحبّ الدفن في الأرض المقدسة

أونحوها (٢٤٥ / ٣ ، حديث ١٣٣٩) ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب من

فضائل موسى (١٢٥ / ١٥ ، حديث ٦١٠٠) .

وورد ذكر منكر ونكير في بعض الأحاديث الصحيحة ، منها حديث أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ (أَوْ قَالَ : أَحَدُكُمْ) ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ .

فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

فَيَقُولَانِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا . ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ، ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : نَمْ . فَيَقُولُ : أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ .

فَيَقُولَانِ : نَمْ كَنُومَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ .

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ ، لَا أَذْرِي . فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ التَّيْمِي عَلَيْهِ ، فَتَلْتِمِ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ « (١) .

والأحاديث الواردة في سؤال الميت في قبره رويت من طرق كثيرة ، حتى عدّها السيوطي في (قطف الأزهار) من الأحاديث المتواترة ، وذكر اثنين وعشرين صحابياً رَوَوْا هذا الحديث (٢) .

(١) رواه الترمذي في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر (٣ / ٣٧٤ ، حديث ١٠٧١) وقال حديث حسن غريب ، وابن حبان في صحيحه (٧ / ٣٨٦ ، حديث ٣١١٧ مع ترتيب ابن بلبان) ، وقال الألباني في تخريج المشكاة (حديث ١٣٠) : سنده حسن وهو على شرط مسلم .

(٢) قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة (ص ٢٩٦) .

لذلك قال الطحاوي في عقيدته : « ونؤمن ب . . . سؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة »^(١) ، ثم قال شارحه ابن أبي العز الحنفي : « وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان كذلك أهلاً وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ، ولا نتكلم في كفيته ، إذ ليس للعقل وقوف على كفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول »^(٢) .

وقال الطحاوي أيضاً : « ونؤمن بالملائكة »^(٣) ، وقال : « ونؤمن بالكرام الكاتبين ، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين ، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين »^(٤) ، وقال البربهاري أن من أصول الإيمان : « الإيمان ب . . . منكر ونكير »^(٥) ، وقال ابن أبي زمنين : « وأهل السنة يؤمنون بالحفظة الذين يكتبون أعمال العباد »^(٦) ، وقال : « وأهل السنة يؤمنون بأن ملك الموت يقبض الأنفس »^(٧) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٩٦) .

(٢) نفس المصدر (ص ٣٩٩) .

(٣) نفس المصدر (ص ٢٩٧) .

(٤) نفس المصدر (ص ٣٩٠) .

(٥) شرح السنة (ص ٢٩-٣٠) .

(٦) أصول السنة (ص ١٤٥) .

(٧) نفس المصدر (ص ١٤٨) .

ولقد كفر الله تعالى اليهود لما أعلنوا عداوتهم لجبريل عليه السلام ، هذا مع أنهم آمنوا بوجوده وأثبتوا أنه ملك من الملائكة^(١) ، فقال تعالى ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨] فكيف بجهم هذا ، الذي أنكر وجود بعض الملائكة المقرين ، إن لم نقل إنه أنكرهم جميعاً ؟



(١) نقل الحافظ ابن كثير الإجماع على أن هذه الآية نزلت في اليهود لما أعلنوا عداوتهم لجبريل . انظر : تفسير ابن كثير عند هذه الآية (١٣٨/١) .

الفصل الثالث مقالته في الجنة والنار

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

المبحث الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها

المبحث الأول

نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

مقالة جهنم في هذا الباب مقالة مشهورة ، فقد تواترت نقولات علماء السلف عنه في هذا الباب ، حتى صارت هذه المقالة علماً عليه ، حيث لم يقل بها أحد من المنتسبين للإسلام إلا النزر اليسير منهم ، على رأسهم الجهم بن صفوان .

قال ابن أبي شيبة : « ذكروا أنّ الجهمية يقولون . . . إنه - يعني الله عزّ وجلّ - لا يتخلص من خلقه ولا يتخلص الخلق منه إلا أن يفنيهم فلا يبقى من خلقه شيء ، وهو مع الآخر فالآخر من خلقه ممتزج به ، فإذا أفنى خلقه تخلص منهم وتخلصوا منه »^(١) . وقال الإمام أحمد « فزعموا أنّ الله هو قبل الخلق ، فصدقوا . وقالوا : يكون الآخر بعد الخلق ؛ فلا يبقى شيء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ولا كرسي ، وزعموا أنّ شيئاً مع الله لا يكون ، هو الآخر كما كان ، فأضلوا بهذا بشراً كثيراً »^(٢) . ونقل أبو الحسن الأشعري هذه المقالة في مواضع كثيرة من كتابه (المقالات) ، منها قوله : « الذي تفرد به جهنم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان . . . إلخ »^(٣) ، وقال أيضاً : « واختلفت المرجئة في تخليد الله الكفار على مقالتين : فقالت الفرقة الأولى منهم ، وهم أصحاب جهنم بن صفوان : الجنة والنار تفنيان وتبيدان ، ويفنى

(١) كتاب العرش وما روي فيه (ص ٤٩) .

(٢) الردّ على الجهمية (ص ١٣٦) .

(٣) مقالات الإسلاميين (ص ٢٧٩) .

أهلها حتى يكون الله موجوداً لا شيء معه ، كما كان موجوداً لا شيء معه ، وأنه لا يجوز أن يخلد الله أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار . وهذا ردّ ما اتفق المسلمون عليه ونقلوه نصّاً ، وقال المسلمون كلّهم إلا جهماً إن الله يخلد أهل الجنة في الجنة ويخلد الكفار في النار»^(١) ، وقال أيضاً : « واختلفوا أيضاً هل لأفعال الله سبحانه آخر أم لا آخر لها ، على مقالتين . فقال جهم بن صفوان : لمقدورات الله تعالى ومعلوماته غاية ونهاية ولأفعاله آخر ، وأنّ الجنة والنار تفتيان ويفنى أهلها ، حتى يكون الله سبحانه وتعالى آخراً لا شيء معه ، كما كان أولاً لا شيء معه .

وقال أهل الإسلام جميعاً : ليس للجنة والنار آخر وأنهما لا تزالان باقيان . . . إلخ»^(٢) ، وقال : « أجمع أهل الإسلام جميعاً إلا الجهم أن نعیم الجنة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في النار . وقال جهم ابن صفوان إن الجنة والنار تفتيان وتبيدان ، ويفنى من فيهما حتى لا يبقى إلا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه»^(٣) ، وقال : « وزعم الجهم ابن صفوان أن معنى « الآخر » أنّه لا يزال كائناً موجوداً ولا شيء سواه ولا موجود غيره ، وأنّ الجنة والنار تفتيان ويبيد من فيهما ويفنى»^(٤) .

وقال الملطي : « وأنكر جهم أن الله جلّ اسمه خلق الجنة والنار»^(٥) ،

(١) نفس المصدر (ص ١٤٩) .

(٢) نفس المصدر (ص ١٦٤) .

(٣) نفس المصدر (ص ٤٧٤) .

(٤) نفس المصدر (ص ٥٤٢) .

(٥) التنبيه والردّ (ص ١٣٧) .

وقال : « وزعم جهنم أَنَّ الجنة والنار تفنيان بعد خلقهما فيخرج أهل الطاعة من الجنة بعد دخولهم ويخرج أهل النار بعد دخولهم ، وأن أهل الجنة إذا دخلوها لبثوا فيها دهرًا طويلًا فتبيد الجنة وأهلها ، ويبعد نعيمها ، وتهلك النار ويبعد عذابها . وأخذ ذلك من قوله عز وجل ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣] ، فشكك الناس ولبس الجاهل تأويل القرآن من غير تأويله . وقد أكذبه الله بكتابه والمأثور عن النبي ﷺ » (١) .

وقال عبد القاهر البغدادي : « الجهمية : أتباع جهنم بن صفوان الذي . . . زعم أَنَّ الجنة والنار تبيدان وتفنيان » (٢) . وقال عبد القادر الجيلاني إنه تفرد بقوله « إِنَّ الجنة والنار تفنيان » (٣) .

وقال ابن حزم : « اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها ، إلا جهنم بن صفوان ، وأبا الهذيل العلاف وقوماً من الروافض . فأما جهنم فقال : إن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلهما . . . و . . . احتج بقول الله تعالى : ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨] ، وبقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصر: ٨٨] . ما نعلم له حجة غير هذا أصلاً ، وكل هذا لا حجة له فيه » (٤) .

وقال الشهرستاني : « ومنها قوله - يعني قول جهنم - : إن حركات أهل الخلدين تنقطع ، والجنة والنار يفنيان بعد دخول أهلهما فيهما ، وتلذذ أهل الجنة بنعيمها ، وتألّم أهل النار بجحيمها ، إذ لا يتصور

(١) نفس المصدر (ص ١٣٤) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص ١٩٣) .

(٣) الغنية (ص ١١٨) .

(٤) الفصل (٤ / ١٤٥ - ١٤٦) .

حركات لا تتناهى آخرأ ، كما لا يتصور حركات لا تتناهى أولأ . وحمل قوله تعالى ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا ﴾ [آل عمران: ١٥ وغيرها] على المبالغة والتأكد دون الحقيقة في التخليد ، كما يقال : خلد الله ملك فلان . استشهد على الانقطاع بقوله تعالى : ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧] فالآية اشتملت على شريطة واستثناء ، والخلود والتأييد لا شرط فيه ولا استثناء « (١) .

قال المطرزي إن من عقائده أن : « . . . الجنة والنار تفتيان » (٢) . وقال الصفدي : « ومنها أنه قال : إن حركات أهل الجنة والنار تنقطع ، ومنه أخذ أبو الهذيل وأتباعه من المعتزلة . ومنها أن النار والجنة تفتيان بعد دخول أهلها إليهما ، قال : لأنه لا يتصور حركات لا تتناهى أولأ فكذلك لا يتصور حركات لا تتناهى آخرأ ، وحمل قوله تعالى : ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [النساء: ٥٧] على المبالغة واستدل على الانقطاع بقوله تعالى ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١٠٨] ، ولو كان مؤبداً بلا انقطاع لما استثنى » (٣) .

وقال المناوي « الجنة أبدية لا تفتنى والنار مثلها ، وزعم جهنم بن صفوان أنهما فانيتان لأنهما حادثتان ، ولم يتابعه أحد من الإسلاميين بل كفره به » (٤) .

ونسب إليه هذا القول بعض المعتزلة كذلك (٥) .

(١) الملل والنحل (١ / ٧٤) .

(٢) المغرب في ترتيب المعرب (١ / ١٧١) .

(٣) الوافي بالوفيات (١١ / ١٦٠-١٦١) .

(٤) فيض القدير (٦ / ٣١٤) .

(٥) انظر : المحيط بالتكليف ، للقاضي عبد الجبار (ص ١١٧) .

ونستخلص من جميع هذه النقولات أَنَّ عقيدة الجهم بن صفوان في الجنة والنار تدور حول ثلاثة أمور ، هي قوله :

(١) بعدم وجود الجنة والنار وأنهما لم تخلقا بعد ، ولقد نصّ على ذلك الملطي في النقل السابق

(٢) بفناء حركات أهل الجنة والنار ، كما ذكره الشهرستاني والصفدي

(٣) وبفناء الجنة والنار ، وهذه المقالة نصّ عليها جميع من سبق .

ولم يذكر مقالته في عدم وجود الجنة والنار من العلماء المتقدمين سوى الملطي ، ولكن أشار إلى هذا القول ابن خزيمة ، فبعد سياقه لحديث « إذا مات أحدكم يعرض عليه مقعده من الجنة والنار . . . »^(١) قال : « وهذا الخبر يبيّن ويوضح أَنَّ . . . الجنة والنار مخلوقتان ، لا كما ادعت الجهمية أنهما لم تخلقا بعد »^(٢) .

وقد نقل بعض الباحثين أَنَّ القول بفناء الجنة والنار عقيدة قديمة ، وجدت عند اليهود ، والصابئة ، والزرادشتية^(٣) .



(١) سيأتي تخريجه في المبحث القادم .

(٢) كتاب التوحيد (٨٨١/٢) .

(٣) نشأة الفكر للنشار (٥١٥-٥١٩) ، و : الأمدى وآراؤه الكلامية للشافعي

المبحث الثاني

نقد هذه المقالة والردّ عليها

- وسيكون الكلام في هذا المبحث في ثلاثة مطالب :
- المطلب الأول : الأدلة على وجود الجنة والنار .
- المطلب الثاني : الأدلة على أبدية الجنة والنار .
- المطلب الثالث : الردّ على أدلة جهنم في قوله بفناء الجنة والنار .

المطلب الأول

الأدلة على وجود الجنة والنار

إنّ الأدلة الدالة على وجود الجنة والنار من الكتاب والسنة كثيرة جداً .
فمن الكتاب ، كلّ آية وردت في ذكر الجنة أو النار بلفظ (الإعداد)^(١) .
والإعداد : التهيء والتجهيز^(٢) ، وهذا يدلّ دلالة واضحة أنّ الجنة والنار مخلوقتان معدّتان موجودتان الآن . ومما ورد في ذلك من الآيات ، قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١] ، وفي الجنة : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ، وغير ذلك من الآيات .
ومن السنة ، حديث الإسراء والمعراج ، وفيه : « ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت

(١) انظر : معارج القبول للحكمي (٢ / ٨٦٠) .

(٢) انظر : لسان العرب لابن منظور (٣ / ٢٨٤) ، ومفردات ألفاظ القرآن

للأصبهاني (ص ٥٥١) .

الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»^(١) . ولقد عقد البخاري في صحيحه بابين بعنوان : (باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) ، و : (باب ما جاء في صفة النار وأنها مخلوقة) ، وساق في هذين البابين سبعة وعشرين حديثاً مرفوعاً ، أكثرها شاركه مسلم في إخراجها . ومما أخرجه : حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً : « إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار »^(٢) ، وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »^(٣) . وكل هذه الأحاديث تدل على وجود الجنة والنار وأن الرسول ﷺ أطلع عليهما . لذلك فقد أجمع السلف على أن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقهما الله قبل خلقه الخلق .

قال أبو حنيفة : « والجنة والنار مخلوقتان »^(٤) ، وقال الإمام أحمد في

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (٥٤٧/١ ، حديث ٣٤٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلاة (٣٨٤/٢ ، حديث ٤٠٩) ، كلاهما عن أنس بن مالك .

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٦٦/٦ ، حديث ٣٢٤٠) ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه (١٩٧/١٧ ، حديث ٧١٤٠) .

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٦٦/٦ ، حديث ٣٢٤١) ، ومسلم في الذكر والدعاء ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء (٥٦/١٧ ، حديث ٦٨٧٣) .

(٤) الفقه الأكبر (ص ٦٣) .

أصول السنة : « الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا »^(١) ، وقال البريهاري : « والإيمان بأن الجنة والنار حق وأنهما مخلوقتان »^(٢) ، وقال ابن بطة إن من أصول الإيمان « الإيمان بأن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل خلق الخلق »^(٣) ، وقال ابن خزيمة : « وهذا الخبر - يقصد حديث عرض الجنة والنار على الرجل في قبره - يبين ويوضح أن... الجنة والنار مخلوقتان ، لا كما ادعت الجهمية أنهما لم تخلقاً بعد »^(٤) .

ولقد عقد الأجزى بابين في كتابه (الشريعة) في إثبات عقيدة أهل السنة في هذا الباب^(٥) ، كما جعل اللالكائي في كتابه (شرح أصول الاعتقاد) باباً كاملاً في بيان الأدلة على أن الجنة والنار مخلوقتان^(٦) .

ولم أجد أدلة جهم على ما ذهب إليه من أن الجنة والنار لم تخلقاً بعد ، إلا ما أشار إليه المَلْطِي بأنه استدَلَّ بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣] ، وهذا لا دليل له فيه البتة ، إذ جميع الفرق متفقون معه في أن الجنة والنار قد خلقتا بعد أن لم تكن ، وكان الله ولم يكن معه شيء ، ولكن الخلاف في وجودهما الآن ، ومما سبق نجد أن الآيات والأحاديث صريحة في هذا الباب ، فلا مجال للمؤمن إلا أن يعتقد وجودهما .

(١) أصول السنة (ص ٨٥) .

(٢) شرح السنة (ص ٣١) .

(٣) الشرح والإبانة (ص ٢٢٩) .

(٤) كتاب التوحيد (٨٨١/٢) .

(٥) انظر : الشريعة (٢٣١-٢١٤/٢) .

(٦) انظر : شرح أصول الاعتقاد للالكائي (١٢٥٦/٦ - ١٢٦٩) .

المطلب الثاني

الأدلة على أبدية الجنة والنار

الأدلة على أبدية الجنة والنار من الكتاب كثيرة لا تحصى إلا بصعوبة ، ويمكن تصنيفها في مجموعات ، كالآتي :

المجموعة الأولى : التصريح بـ (الخلود) في الجنة والنار ، الدال على الديمومة والبقاء .

قال الأصفهاني : « الخلود : هو تبيي الشيء من اعتراض الفساد ، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها » (١) .

ولقد وصف الله تعالى الجنة بهذا الوصف في تسع وثلاثين آية ، منها قوله تعالى ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَاصِيراً ﴾ [الفرقان: ١٥] ، وقوله تعالى ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ [ق: ٣٤] ، وكذلك في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٢] ، وغير ذلك من الآيات .

وقد ورد التصريح بالخلود في النار - أعاذني الله تعالى وإياكم منها - في ثمان وثلاثين آية في القرآن ، منها : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ٢٨] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦] وغير ذلك من الآيات .

(١) مفردات القرآن الكريم (ص ٢٩١) .

المجموعة الثانية : تأكيد الخلود بالأبدية ، والتأكيد ينفي المجاز عند من يقول به .

وجاء التأكيد بالخلود في الجنة - جعلني الله وإياكم من أصحابها - في ثمان آيات ، منها ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩] و ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩] .

وقد ورد هذا التأكيد لأصحاب النار في ثلاث آيات ، هي : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ [النساء: ١٦٨] ، و ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥] ، و ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣] .

المجموعة الثالثة : آيات متفرقة يدل لفظها ومعناها على الخلود والأبدية .

وللتمثيل ببعض هذه الآيات الواردة في الجنة ، يحسن بنا أن ننقل كلام خارجة بن مصعب ، حيث قال : « كَفَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْجَنَّةَ تَفْنَى .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرْزُقُنَا مَا لَمْ يَنْفَكْ ﴾ [ص: ٥٤] فمن قال إنها تنفذ فقد كفر .

وقال : ﴿ أَكُلُوهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥] فمن قال لا يدوم فقد كفر . وقال : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٣] ، ومن قال : إنها تنقطع فقد

كفر . وقال : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ ﴾ [هود: ١٠٨] فمن قال إنها تنقطع فقد كفر ^(١) .

ومن الأمثلة على هذا النوع في أبدية عذاب النار ، قوله تعالى : ﴿ لَا يُفَرِّقُهُنَّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٥] ، وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦] ، وقوله تعالى ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيفُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَشِيٍّ مِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٧] وغير ذلك من الآيات .

ويمكن إضافة مجموعة رابعة من الأدلة ، ولكنها خاصة بأبدية الجنة ، وهي الآيات التي وردت فيها وصف الجنة بأنها جنات (عدن) ومعنى العدن : البقاء والإقامة والخلود والأبدية ، قال الراغب الأصبهاني تحت مادة عدن : « أي استقرار وثبات ، وَعَدَنَ بِمَكَانٍ كَذَا ، أي استقر » ^(٢) .

وصفت الجنة بهذا الوصف في إحدى عشرة آية ، منها قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ [ص: ٥٠] .

فبهذه المجموعات الأربعة ، نستطيع أن نرد على تأويل الجهم بأن المراد بقوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [آل عمران: ١٥] وغيرها : « المبالغة والتأكد دون الحقيقة في التخليد » كما نصّ على تأويله هذا الشهرستاني ^(٣) والصفدي ^(٤)

(١) الرد على الجهمية لابن بطة (٩٦/٢ - ٩٧) ، وخلق أفعال العباد للبخاري (ص ١٢) ، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٣٠) .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٥٥٣) .

(٣) انظر : الملل والنحل (١ / ٧٤) .

(٤) انظر : الوافي بالوفيات (١١ / ١٦٠ - ١٦١) .

إذ لا يمكن حمل جميع هذه الآيات - والتي تتجاوز المائة - على المبالغة والتأكد ، خاصة وأنها أكدت لفظاً ومعنى .

لذلك ، فقد أجمع السلف - بل وجميع الطوائف ما عدا الجهمية - على أبدية الجنة والنار .

قال أبو حنيفة : « والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً »^(١) ، وقال البريهاري : « والإيمان بأن الجنة والنار حق وأتھما مخلوقتان . . . لا تفنيان أبداً »^(٢) ، وقال ابن بطة أن من أصول الإيمان « الإيمان بأن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل خلق الخلق ، ونعيم الجنة لا يزول ، دائم أبداً في النضرة والنعيم ، والأزواج من الحور العين لا يمتن ولا ينقصن ولا يهرمن ، ولا ينقطع ثمارها ونعيمها . . . وأما عذاب النار فدائم أبداً بدوام الله ، وأهلها فيها مخلدون خالدون - من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة »^(٣) ، وقال ابن أبي زمنين : « وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان ، ولا يموت أهلها . . . ولولم يذكر الله تبارك وتعالى الخلود إلا في آية واحدة لكانت كافية لمن شرح الله صدره للإسلام ، ولكن رد ذلك ليكون له الحجة البالغة »^(٤) ، وقال محمد ابن القاضي أبي يعلى الحنبلي « ثم الإيمان بأن الله خلق الجنة والنار قبل أن يخلق الخلق ، ونعيم

(١) الفقه الأكبر (ص ٦٣) .

(٢) شرح السنة (ص ٣١) .

(٣) الشرح والإبانة (ص ٢٢٩) .

(٤) أصول السنة (ص ١٣٩) .

الجنة لا يزول أبداً ، والحدور العين لا يمتن ، وعذاب النار فءائم
بدوامها ، وأهلها فيها مآلدون آالدون - من آرج من الدنيا غير
معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة «^(١) .



(١) كتاب الاعتقاد لمحمد الحنبلي (ص ٣٤) .

المطلب الثالث

الرد على أدلة جهنم في قوله بفناء الجنة والنار

إن قول الجهم في هذه المسألة مبنيّ تماماً على أصله الفاسد في مسألة (دليل حدوث العالم بحدوث الأعراض) ، وبالأخص : قوله بامتناع التسلسل في الماضي والمستقبل . وقد ذكر ابن تيمية مسألة التسلسل ثم قال : « . . . إن (بها) يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل ، كما التزم جهنم لأجلها فناء الجنة والنار »^(١) . وأشار الشهرستاني إلى هذا فقال : « ومنها قوله - يعني قول جهنم - : إن حركات أهل الخلدین تنقطع ، والجنة والنار يفنيان بعد دخول أهليهما فيهما ، وتلذذ أهل الجنة بنعيمها ، وتألّم أهل النار بجحيمها ، إذ لا يتصور حركات لا تتناهى آخرأ ، كما لا يتصور حركات لا تتناهى أولأ »^(٢) . وقال شيخ الإسلام : « وهذا (يعني القول بفناء النار) قاله جهنم لأصله

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣ / ٣٠٤) . وقال في موضع آخر : « ثم إنهم تفرّقوا عن هذا الأصل [يقصد مسألة حدوث الأجسام] ، فلما قالوا بامتناع دوام الحوادث في الماضي عورضوا بالمستقبل ، فطرد إماما هذه الطريقة هذا الأصل . . . ثم إن جهنماً قال : إذا كان الأمر كذلك ، لزم فناء الجنة والنار وأنه يعدم كل ما سوى الله ، كما كان كل ما سواه معدوماً . . . وأما أبو الهذيل فقال : إن الدليل إنما دلّ على انقطاع الحوادث فقط ، فيمكن بقاء الجنة والنار لكن تنقطع الحركات . . . إلخ كلامه » . انظر : منهاج السنة لابن تيمية (١ / ٣١٠) .

(٢) الملل والنحل (١ / ٧٤) .

الذي اعتقده ، وهو : امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث - كما بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع - وهو عمدة أهل الكلام الذين استدّلوا على حدوث الأجسام وحوادث ما لم يخل من الحوادث بها ، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم . فرأي جهم أن ما يمنع من وجود ما لا يتناهى بمعنه في المستقبل ، كما يمنعه في الماضي ، فيلزم أن يكون الفعل الدائم ممتنعاً على الربّ في المستقبل كما كان ممتنعاً عليه في الماضي »^(١) .

وقد سبق أن رددتُ على دليل (حدوث العلم بحدوث الأعراض)^(٢) بالتفصيل ، كما رددتُ على قوله بمنع التسلسل^(٣) .

وبجانب هذا الأصل ، استدّل ببعض الآيات على ما قرّره . ويلاحظ أنّه - كغيره من أهل البدع - يبنّي رأيه على أصولٍ فاسدةٍ ، ثم يعمد إلى المتشابهات من النصوص لكي يجد ما يبرّر قوله . فالأصل عنده هو المنطق وما تفرّع منه ، والنصوص إنما هي تابعة لهذا الأصل .

وقد ذكرت المصادر أربعة أدلة نقلية استدّل بها الجهم على قوله ، منها : فهمه لاسم الله جلّ وعلا (الآخر) ، حيث قال الأشعري : « وزعم الجهم ابن صفوان أن معنى (الآخر) أنّه لا يزال كائناً موجوداً ولا شيء سواه ولا موجود غيره ، وأنّ الجنة والنار تفنيان ويبيد من فيهما ويفنى »^(٤) . وقال أيضاً : « قال جهم بن صفوان : لمقدورات الله تعالى ومعلوماته غاية ونهاية

(١) الردّ على من قال بفناء الجنة والنار لابن تيمية (ص ٤٤) .

(٢) انظر (ص ٣٨٥) فما بعدها .

(٣) انظر (ص ٤٥٠) من الرسالة .

(٤) مقالات الإسلاميين (ص ٥٤٢) .

ولأفعاله آخر ، وأن الجنة والنار تفتيان ويفني أهلهما ، حتى يكون الله سبحانه وتعالى آخراً لا شيء معه ، كما كان أولاً لا شيء معه ^(١) .
ويلاحظ أن هذا التفسير موافق تماماً مع الأصل المنطقي الذي سبق ذكره .
ومن أدلته ، قوله تعالى : ﴿ وَأَخَصَى كُلُّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨] ، وكذلك
قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصاص: ٨٨] . قال ابن حزم :
« فأما جهنم فقال : إن الجنة والنار يفنيان ويفني أهلهما »
احتج بقول الله تعالى : ﴿ وَأَخَصَى كُلُّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨] ، وبقوله
تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصاص: ٨٨] . ما نعلم له حجة غير
هذا أصلاً ، وكل هذا لا حجة له فيه ^(٢) . وأشار الإمام أحمد باستدلاله
على آية سورة القصص كذلك ^(٣) .

واستدل كذلك بالاستثناء الوارد في آية سورة هود . قال الشهرستاني :
« استشهد - يعني الجهم - على الانقطاع بقوله تعالى : ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا مَا
دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧]
فالآية اشتملت على شريطة واستثناء ، والخلود والتأييد لا شرط فيه ولا
استثناء ^(٤) . وقال الصفدي : « واستدل على الانقطاع بقوله تعالى ﴿ إِلَّا
مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١٠٧] ، ولو كان مؤبداً بلا انقطاع لما استثنى ^(٥) .

(١) نفس المصدر (ص ١٦٤) .

(٢) الفصل (٤ / ١٤٥ - ١٤٦) .

(٣) انظر : الرد على الجهمية (ص ١٤٨) ، وسيأتي نص كلام الإمام أحمد بعد قليل .

(٤) الملل والنحل (١ / ٧٤) .

(٥) الوافي بالوفيات (١١ / ١٦٠ - ١٦١) .

فهذه أربع أدلة نقلية ، نجيب عنها باختصار .
 فاستدلاله الأول ، وهو تفسيره الخاص لاسمه تعالى (الآخر) ، يجاب عنه بأن معنى (الآخر) في حق الله جل وعلا هو الذي ليس بعده شيء ، أي بذاته فالله تعالى هو المتأخر عن الأشياء كلها ، ويبقى بعدها ، ولا انتهاء لوجوده^(١) . وهذا لا يلزم أن لا يُبقي الله بعض المخلوقات بتقديره ومشيئته . فوجود هذه المخلوقات لا يكون بذاتها ، بل وجودها متعلق بمشيئة الله تعالى . قال شيخ الإسلام ، حاكياً هذا المعنى : « إنّ الله سبحانه . . . هو الأول الذي خلق الكائنات ، والآخر الذي إليه تصير الحادثات »^(٢) .
 وقد حكى شيخ الإسلام الإجماع على أنّ بعض المخلوقات تبقى ، فقال : « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أنّ من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية ، كالجنة والنار ، والعرش ، وغير ذلك »^(٣) .

وأما الآية الثانية التي استدلّ بها الجهم ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَخَصَّ كُلَّ شَيْءٍ عَدْدًا ﴾ [الجن : ٢٨] فوجه الاستدلال بالآية : أنّها نصّت على أنّ علم الله قد أحاط بكلّ شيء عدداً ، وهذا يستلزم أنّ مدد الجنة والنار متناهية إذ إنها محاطة^(٤) . وقد أجاب عن هذه الشبهة ابن حزم ، حيث قال : « إنّ الله تعالى إنما يعلم الأشياء على ما هي عليه ، لا على خلاف ما

(١) انظر : النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (ص ١٣٩) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٦/٢) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٠٧/١٨) .

(٤) انظر : الفصل (١٣٦-١٤٧) .

هي عليه ، لأن من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطيء في اعتقاده ، ظان للباطل . . . فكل ما كان ذا نهاية فهو في علم الله تعالى ذونهاية ، وما كان غير ذي نهاية ، فهو في علم الله تعالى غير ذي نهاية ، ولا سبيل إلى غير هذا البتة ، وليس للجنة والنار مدد غير متناهية محاط بها ، وإنما لهما مدد ، كل ما خرج منها إلى الفعل فهو محصي محاط بعدده ، وما لم يخرج على الفعل فليس بمحصي ، لكن علم الله تعالى أحاط بأنه لا نهاية لهما ^(١) .

وهناك أمر آخر لم يذكره ابن حزم ، وهو أن تفسير الجهم لهذه الآية متناقض تماماً مع قوله في علم الله تعالى ، حيث أنكر جهم أن الله يعلم الأشياء قبل وقوعها ، وادعى أن علم الله حادث ، فكيف يفسر هذه الآية بإثبات علم الله تعالى ؟ وهذا دليل آخر على تخبطه وتناقضه ، وأنه لم يكن محترماً للنصوص أصلاً ، بل كل ما وافق مبادئه أخذ به ، وكل ما خالفها تركه . وهذا دأب أهل البدع قديماً وحديثاً ، والله المستعان .

وأما الآية الثالثة التي استدلت بها الجهم ، وهي قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [الفصل: ٨٨] ، فمن المعلوم أن لفظ (كل) ليس على إطلاقه في جميع المخلوقات ، ومعناه في كل موضع بحسب سياقه . ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٣] ، ومن المعلوم أنها لم تعط جميع الأشياء . وكذلك قوله : ﴿ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٥] ، فلم تدمر الريح

(١) الفصل لابن حزم (١٤٧/٤) .

مساكنهم بدليل الآية ، ولا القرى والمناطق المجاورة لها بدليل الحسن .
وقد ثبت أن الله جلّ وعلا يبقي بعض الأشياء بإذنه ، مثل العرش ،
والجنة والنار ، كما سبق بيانه .

وأشار إلى تفسير آخر للآية الإمام أحمد حيث قال : « وأما قوله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] ذلك أن الله أنزل ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦] ، فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض ، وطمعوا في البقاء .
فأنزل الله آية يخبر عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون ، فقال :
كل شيء من الحيوان هالك ، يعني ميت ، إلا وجهه ، إنه حي لا يموت .
فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت » (١) .

هذا على تفسير الآية بمعنى أن (وجهه) أطلق على ذات الله جلّ وعلا
وهو أحد تفاسير السلف للآية . وقيل : إن المراد بالآية ، كل شيء هالك
إلا ما أريد به وجهه ، وقيل : إلا جاهه ، وقيل : دينه ، وقيل غير
ذلك (٢) . وعلى التفاسير الأخرى فلا حجة للجهنم فيها أصلاً .

وأما الاستثناء الوارد في سورة هود ، فهذا أقوى شبهة النقلية ، وهي
عمدة من قال بفناء النار . وقد أجاب عن هذه الشبهة علماء السنة بعدة
أجوبة ، منها (٣) :

(١) الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص ١٤٨) .

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٢٧/٢١) ، وتفسير ابن كثير (٤٤٤/٣) ، وتفسير
القرطبي (٢٨٤/١٣) ، عند تفسير هذه الآية . ويجب التنبيه إلى أن بعض
كتب التفاسير أوردوا أوجهاً كثيرة لمعنى الآية ، إلا أنهم قصدوا بذلك تأويل
صفة (الوجه) .

(٣) لهذه الأقوال ، انظر : رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ، للصنعاني (ص
٩٠-٩٩) ، و : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشقيطي (ص ٢٨٨) .

(١) أَنَّ الاستثناء متعلق بالموّخدين الذين دخلوا النار بسبب ذنوبهم ، ثم يخرجون إلى الجنة

(٢) أَنَّ هذا استثناء من الله ولا يفعله ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩]

(٣) أَنَّ الآية فيها إجمال ، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة الصريحة بأنّ الكفار خالدون فيها أبداً ، فيحمل المطلق والمجمل على المقيّد والمفسّر .

(٤) أَنَّ لفظ (إلا) الوارد في الآية بمعنى (سوى) ، أي أنّهم خالدون فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما شاء ربك من المدة الزائدة على ذلك .

(٥) أَنَّ الاستثناء إنّما هو مدة احتباسهم عن النار ، يعني ما بين الموت والبعث ، وهو البرزخ إلى أن يحكم الله بينهم ، ثم يصيرون إلى النار خالدين فيها أبداً سوى هذه المدة قبل دخولهم النار .

وغير ذلك من الأقوال . والمقصود أنّ هذه الآية من المتشابهات ، فيجب حملها على المحكم من الكتاب والسنة .

وقول جهنم هذا لم تأخذ به أي فرقة من الفرق الإسلامية ، إلا أنّ المعتزلة وافقوه في بعضه ، حيث قالوا إنّ الجنة والنار لم تخلقا بعد^(١) . كما وافقه على جزء من قوله أبو الهذيل العلاف المعتزلي ، حيث قال بفناء

(١) ويلاحظ أنّ سبب منع المعتزلة وجود الجنة والنار هو أنّه - على حدّ زعمهم - ليس في وجودهما الآن حكمة ، وهذا مخالف تماماً مع عقيدة جهنم ، حيث أنكر جهنم الحكمة الإلهية أصلاً . فلهذا ، أرى أنّ المعتزلة لم يتأثروا بقول جهنم في هذه المسألة أصلاً ، والله أعلم .

حركات أهل الجنة والنار^(١) . قال عبد القاهر البغدادي : « وزعم قوم من الجهمية أن الجنة والنار تفنيان . وزعم أبو الهذيل أن أهل الجنة والنار ينتهون إلى حال يبقون فيها خموداً ساكنين سكناً دائماً ، لا يقدر الله تعالى حيثنذ على شيء من الأفعال ولا يملك لهم حيثنذ ضرراً ولا نفعاً »^(٢) . وقال الصفدي : « ومنها أنه - يعني جهماً - قال : إن حركات أهل الجنة والنار تنقطع ، ومنه أخذ أبو الهذيل وأتباعه من المعتزلة »^(٣) .

ولابن القيم كلام نفيس في الرد على هذا القول في النونية ، فقال عن الجهم بن صفوان^(٤) :

وقضى بأن النار لم تخلق ولا جنات عدن بل هما عدمان فإذا هما خلقاً ليوم معادنا فهما على الأوقات فانيتان وتلطف العلاف من أتباعه فأتى بضحكة جاهل مجان قال الفناء يكون في الحركات لا في الذات واعجباً لذا الهذيان يصير أهل الخلد في جناتهم وجحيمهم كحجارة البنيان ما حال من قد يغشى أهله عند انقضاء تحرك الحيوان وكذلك ما حال الذي رفعت يدا ه أكلة من صحفة وخوان فتناهت الحركات قبل وصولها للقم عند تفتح الأسنان وكذلك ما حال الذي امتدت يد منه إلى قنبر من القنوان

(١) انظر : انظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٣٦) .

(٢) أصول الدين (ص ٢٣٨) .

(٣) الوافي بالوفيات (١٦٠/١١ - ١٦١) .

(٤) النونية لابن القيم (٣١/١ - ٣٣ مع شرح الهراس) .

فتناهت الحركات قبل الأخذ هل يبقى كذلك سائر الأزمان
تباً لهاتيك العقول فإنها والله قد مسخت على الأبدان
تباً لمن أضحى يقدمها على الآثار والأخبار والقرآن
كما حكى هذا القول عن بعض الإسماعيلية^(١) ، وبعض الروافض^(٢) .
كما وافقه على هذا القول الشاعر الهندي المشهور د . علامة محمد إقبال
في كتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام)^(٣) .

دفاع عن شيخ الإسلام وابن القيم

لقد اتهم كثير من الأشاعرة والصوفية وغيرهم من أهل البدع شيخ
الإسلام وتلميذه ابن القيم بأنهما يقولان بفناء النار ، ولكن حسب ما
اطلعت عليه لم يتهم أحد منهم أنّ شيخ الإسلام أخذ هذه المقالة من
الجهنم بن صفوان - كيف والقولان مختلفان تماماً في حقيقتهما
ومصادرها ؟ فالجهنم بن صفوان أنكر أبدية الجنة والنار ، بينما اتهم هذان
الإمامان بالقول بفناء النار فقط . ثم إنّ الجهنم بنى قوله هذا على أصل
فلسفي الذي هو القول بإثبات الصانع بطريقة الحدوث الأعراض ومنع
التسلسل ، بينما شيخ الإسلام وتلميذه إنّما مالا لهذا القول - إن قلنا بأنهم
فعلاً مالا إليه - للآثار السلفية الواردة في هذا الباب .
ومن الذين شتّعوا عليهما : المناوي ، حيث قال بعد شرحه لحديث يدلّ

(١) انظر : الآمدي وآراؤه الكلامية للشافعي (ص ٤٩٧) .

(٢) نسب هذا القول إليهم ابن حزم في الفصل (٨٣ / ٤) ، ولم يبين من هم -
وربما قصد ابن حزم الإسماعيلية .

(٣) تجديد التفكير الديني في الإسلام لمحمد إقبال (ص ١٢٨ - ١٤١) .

على أبدية الجنة : « وهذا صريح في أنّ الجنة أبدية لا تنفنى والنار مثلها ، وزعم جهنم بن صفوان أنّهما فانيتان لأنّهما حادثتان ، ولم يتابعه أحد من الإسلاميين بل كفّروه به . وذهب بعضهم إلى إفناء النار دون الجنة ، وأطال ابن القيم كشيخه ابن تيمية في الانتصار له في عدة كراريس . . . » (١) .
ف نجد أنّ المناوي فرّق بين القولين ، وجزم بأنّ قول الجهنم (لم يتابعه أحد من الإسلاميين) .

ولكن دفاعاً عن هذين الإمامين ، وتبرئة لدمتنا نحوهما ، ووفاء لحقوقهما علينا وعلى جميع العلماء السابقين ، نقول :
أولاً : إنّ الجزم بأنّ شيخ الإسلام وتلميذه كانا يقولان بهذا القول جزم باطل لا دليل عليه البتة من كتاباتهم . بل نجد أنّهم في مواضع من كتبهم صرّحوا بأبدية الجنة والنار ، فمثلاً قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أنّ من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية ، كالجنة والنار ، والعرش ، وغير ذلك » (٢) .
وقال ابن القيم : « وأمّا النار ، فإنّها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب . . . ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طيّب لا يشينه خبث ، وخبث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبث وطيّب ، كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تفنيان . . . إلخ » (٣) .

(١) فيض القدير (٣١٤ / ٦) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٠٧ / ١٨) .

(٣) الوابل الصيّب (ص ٤٤) .

ولا شك أنّ ابن القيم دافع عن القول بفناء النار ، وبين أدلة القائلين بذلك في بعض كتبه ، من أشدها تحمّساً كتابه (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) ، فقد خصّص له ما يقارب أربعين صفحة في المطبوع ، إلا أنّه صرّح في نهاية المطاف بأنّه لا يجزم بهذا القول ، حيث قال : « فإن قيل : إلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن ، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟ قيل : إلى قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧] . . . وإلى ههنا انتهت أقدام الخلائق وما ذكرنا في هذه المسألة ، بل في الكتاب كلّه من صواب فمن الله سبحانه ، وهو المانّ به ، وما كان من خطأ فمَنّي ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه ، وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده ، والله أعلم »^(١) . كما ذكر بعض أدلة هذا القول شيخ الإسلام في رسالته المسمّى (الردّ على من قال بفناء الجنة والنار) وبيان الأقوال في ذلك) ، علماً بأنّ بعض الناس شكّكوا في نسبة هذه الرسالة إليه^(٢) .

ثانياً : على فرض ميلهما لهذا القول ، نجد أنّ الأصول التي تبنياها للوصول إلى هذا القول أصول سليمة سلفية ، حيث استدلا بأقوال كثير من الصحابة والتابعين ، وبالأصول العامة المتفق عليها ، مثل تغليب جانب الرحمة على جانب العذاب ، إلى غير ذلك من الأصول . بينما ذهب جهنم إلى قوله تعظيماً للعقل ، معرضاً عن كتاب ربّ العالمين ومتبعاً

(١) حادي الأرواح (ص ٥٢٨) .

(٢) انظر مقدمة الكتاب ، حيث ذكر المحقق أدلة من أنكر نسبة هذا الكتاب إليه ثم ردّ على هذه الأدلة (ص ١٢-١٦) .

أصول فلاسفة اليونانيين .
وعلى كل حال ، فكلّ يؤخذ من قوله ويردّ إلا رسول الله ﷺ ، وكل
بني آدم خطاء ، والله تعالى أعلى وأعلم .



الخلاصة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فهذه خاتمة الرسالة ، وهي تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها ، ويمكن إجمالها فيما يلي :

- أعرض الجهم بن صفوان عن طلب العلم - مع كثرة العلماء ورواة الحديث في وقته - وأقبل على علم الكلام والجدال فاشتهر به ، وكان ذلك من أهم أسباب حيرته وضلالاته .

- تتلمذ الجهم على الجعد بن درهم ، وكان أول من أنكر صفات الله تعالى ، وقد أخذ مقالته من اليهود .

- تأثر الجهم بالسمنية ، وهي فرقة بوذية هندوسية ، فجادلهم ثم اخترع أصوله في باب الصفات ، من أهمها : إثبات وجود لا يمكن إحساسه .

- ناقض الجهم قناعاته واعتقاداته ، حيث خرج مع الحارث بن سريج في ثورته على بني أمية ، مع أنه كان يرى الجبر ، فعلى أي أساس يقاتلهم وهم - عنده - لم يفعلوا هذه الأعمال أصلاً ؟

- أجمع علماء السنة - بل وعلماء الكلام أيضاً - على تكفير الجهم بن صفوان ولعنه والتحذير منه .

- حققت صحة ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية من أن جذور مقالة التعطيل يرجع إلى المشركين والصابئة والفلاسفة واليهود والنصارى .

- رُكِّبَ إسناداً آخر لمقالات الجهم بن صفوان ، فهو أخذ مقالاته عن الجعد بن درهم ، عن يوحنا الدمشقي ، عن كوزماس الإيطالي ، عن فلاسفة اليونان .

- لقد تفرّد الجهم بن صفوان من بين سائر الفرق بقوله بحدوث علم الله تعالى ، ويقول به عدم وجود الملائكة ، ويقول به فناء الجنة والنار .
- يمكن تلخيص بقية مقالات الجهم بن صفوان وأثرها على الفرق الكلامية في الجدول الآتي :

مقالة الجهم بن صفوان	أثرها على المعتزلة و من وافقهم	أثرها على الأشاعرة و الماتريدية
أعرض الجهم بن صفوان عن المصدرين الأساسيين، وقدم ما زعم أنه عقل على النصوص.	وافقوا جهماً في تقديم ما يزعمون أنه عقل على النقل.	المتقدمون منهم لم يصرحوا بذلك، ولكن تأثروا بعلم الكلام فزلوا، ثم تطوروا شيئاً فشيئاً حتى وافقوا المعتزلة في هذا الأصل الجهمي.
اخترع القول بأن الإيمان مجرد المعرفة، والكفر هو الجهل بالله. و بناء على ذلك، ادّعى أنّ الإيمان شيء واحد لا يتجزأ، و أنّه لا يزيد و لا ينقص، و أنّ العمل الكفري لا يخرج الإنسان من الإسلام إلى الكفر. و هذه المقالة مستنبطة من عقائد الفلاسفة.	---	وافقوا جهماً في جعله الإيمان شيئاً واحداً لا يتجزأ، و في قوله بعدم زيادته و نقصانه، و في قوله بعدم تكفير من فعل فعلاً كفرياً مطلقاً. و عرفوا الإيمان بأنه (التصديق) و لكنهم لم يستطيعوا أن يبينوا الفرق الحقيقي بين مجرد (التصديق) و (المعرفة)، فكلاهما يخرجان أعمال القلوب عن مسمى الإيمان.

<p>قد استعمل متقدمو الأشعرية هذا الدليل، إلا أنهم لم يأخذوا بجميع لوازمه و لم يقصروا إثبات وجود الله تعالى عليه. أما المتأخرون منهم، و جميع الماتريدية، فهم وافقوا المعتزلة في جعلهم هذا الدليل هو الأساس في إثبات وجود الله تعالى. كما وافقوا جهماً في قوله بوجود معرفة الله تعالى بهذا الدليل، حيث فسّوا أو كفّروا من لم يسلكه. و وافق الماتريدية جهماً في قوله بوجود معرفة الله تعالى بالعقل.</p>	<p>أخذ أبو الهذيل العلاف هذا الدليل من الجهم ثم فصله و قدّره و نشره بين بقية الفرق الكلامية، منهم المعتزلة و الزيدية و الإباضية و متأخرو الرافضة. و جميع هذه الفرق كفّروا أو فسّوا من لم يسلك هذا الدليل. و ادّعوا أنّ معرفة الله تعالى واجبة بالعقل، لا الشرع.</p>	<p>أخذ جهم بن صفوان أصل دليل الأعراض و حدوث الأجسام من فلاسفة اليونان، ثم نشرها بين المسلمين، و ادّعى أنّه هو الطريق الوحيد لإثبات وجود الله تعالى و أنّ من لم يسلكه فليس بمؤمن عنده. و قال بوجود معرفة الله تعالى بالعقل.</p>
<p>أخذوا بجميع شبهات جهم في نفيه الصفات، إلا أنهم اختلفوا معه في فهمها و تطبيقها. فمقدمو الأشاعرة أثبتوا كثيراً من الصفات و أولوا جميع الصفات الاختيارية، بناء على قولهم بدليل الأعراض و حدوث الأجسام. و متأخرو الأشاعرة و الماتريدية أنكروا جميع الصفات ما عدا سبعا أو ثمان، و أولوا جميع الصفات الخيرية.</p>	<p>أنكروا جميع الصفات، إلا أنهم أثبتوا الأسماء، زعموا أنّ ذلك يسلمهم من شناعة قول جهم. و الحقيقة أنّ موافقتهم لجهم موافقة تامة في المعنى. و أنكروا جميع الصفات الذاتية، كما فعل جهم. و قد أخذوا بجميع أصول جهم في هذا الباب، مع زيادة بعض الحجج الأخرى (مثل حجة التركيب و حجة تعدّد القدماء)</p>	<p>أثبت جهم أسماء الله تعالى التي لا يجوز للخلق التسمي بها، و أنكر كل اسم يتسمّى به الخلق، كما أنكر جميع صفات الله تعالى المعنوية و الخيرية إلا أنّه أثبت أحكام بعض الأسماء، كالخلق و القدرة. و ادّعى - بناء على قوله بمنع التسلسل - أنّ الله لم يكن متصفاً بهذه الأسماء ثم انتصف بها. و لقد أخذ مقالته في التعطيل من الصائبة و الفلاسفة و أهل الكتاب. كما بنى هذه المقالة</p>

		<p>على أصول فاسدة، منها: قوله بإثبات وجود لا يمكن إحساسه، و غلوّه في تنزيه الله تعالى، و نفيه الجسمية، و أخذه بلوازم دليل الأعراض و حدوث الأجسام.</p>
<p>أنكر متأخرو الأشاعرة والماتريدية علوّ الله تعالى على خلقه، و استواءه على عرشه، و فسّروه بالاستيلاء، و حرّموا السؤال بـ(أين) في حقّ الله تعالى. و بنوا عقيدتهم هذه على أصل جهّم في وجود. موجود لا يمكن إحساسه. كما أنكر بعضهم حقيقة العرش و الكرسي.</p>	<p>أنكروا علوّ الله تعالى على خلقه، و أنكروا الاستواء و فسّروه بالاستيلاء. كما أنكر بعضهم حقيقة العرش و الكرسي. و حرّموا السؤال بـ(أين) في حقّ الله، إلا أنّهم ادّعوا أنّ الله ليس في مكان. فوافقوا جهماً في جميع أصوله و خالفوه في النتيجة.</p>	<p>أنكر جهّم علوّ الله تعالى على خلقه، و أنكر استواءه على العرش، و أنكر العرش و الكرسي، و ادّعى أنّه تعالى في كل مكان، و حرّم السؤال بـ(أين) في حقّ الله تعالى.</p>
<p>أثبتوا صفة (الكلام) إلا أنّهم ادّعوا أنّها صفة أزلية لا تتعلّق بالمشيئة، و أنّ كلام الله تعالى بدون حرف و صوت. و بناء عليه، قالوا بأنّ القرآن الموجود معنا مخلوق، و أنّه يسمّى (كلام الله) مجازاً، و أنّ جبريل جاء بشيء مخلوق إلى النبي ﷺ . وهذا كان قول جهّم في بداية أمره. و لذلك لم يكفرا المعتزلة و الجهمية لقولهم بخلق القرآن.</p>	<p>وافقوا جهماً في قوله بخلق كلام الله تعالى، و بخلق القرآن، و استدلوا بجميع أدلته في هذه المقالة.</p>	<p>أنكر جهّم صفة الكلام، و زعم أنّ الله تعالى يخلق كلاماً في محلّ منفصل عنه ثم ينسب إلى نفسه ذلك الكلام، و قد أخذ هذه المقالة من اليهود.</p>

---	وافق المعتزلة و الزيدية والإباضية و معظم الرافضة جهماً في قوله بنفي الرؤية، و استدلوا بأدلتهم على ذلك.	أنكر جهم رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة.
---	وافق على ذلك بعض الطوائف من المعتزلة و الزيدية والإباضية، إلا أن معظمهم أثبتوا (الشفاعة) و لكنهم قصروها على الموحدين الذين لم يرتكبوا الكبائر.	أنكر جهم عذاب القبر، والصراط، و الميزان، و الشفاعة.
ادعى الأشاعرة أنه لا فاعل إلا الله تعالى، و أنكروا الحكمة والتعليل، و التحسين و التقييح العقليين، و الأسباب و الطبائع، و جوزوا إطلاق القول بتكليف ما لا يطاق، و فسروا الظلم المنزه عنه بأنه لا يتصور وقوعه من الله، و جعلوا إرادة الله تعالى نوعاً و احداً. و حاولوا أن يفرقوا بين قولهم وقول جهم، فابتدعوا نظرية (الكسب) و أثبتوا استطاعة للعبد، و لكن صرحوا بأن هذه الاستطاعة لا تأثير لها في فعل الإنسان، فهذا وافقوا قول جهم تماماً، و لقد صرح كثير منهم بالجبر.	---	أنكر جهم قدرة العبد، و ادعى أنه مجبور في جميع حركاته و وسكناته، و أنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله. و لعله أخذ مقالة الجبر من بعض الفلاسفة. و قد أنكر جهم الحكمة و التعليل، و التحسين و التقييح العقليين، و الأسباب و الطبائع، و استطاعة العبد، و جوز إطلاق القول بتكليف ما لا يطاق، و فسّر الظلم المنزه عنه بأنه لا يتصور وقوع الظلم من الله، و جعل إرادة الله تعالى نوعاً و احداً.

وبهذا كله ، يتبين أن الأشاعرة قد تأثروا بالجهم بن صفوان أكثر من غيرهم ، فإنهم أخذوا بقوله في أكثر مسائل الاعتقاد ، خاصة في مسألة الإيمان والقدر ، مع أن المعتزلة أقرب إلى قول جهم في باب الصفات .

التوصيات

١- أوصي بدراسة جذور مقالة التعطيل ومقالة القدر عند الأمم السالفة ومن ثم تأثيرهم على المسلمين ، وأخصّ بالذكر : دراسة تفصيلية عن فيلواليهودي (Philo the Jew) ويوحنا الدمشقي النصراني (John of Damascus) ، إذ إنّ عقائدهما تشابه عقائد المعتزلة كثيراً ، ممّا جعل بعض الباحثين الغربيين يقول إنّ أفكار هذين الرجلين من أهمّ مصادر علم الكلام .

٢- أوصي بدراسة أثر جهنم على ابن سينا وفلاسفة الإسلام ، فقد ذكر شيخ الإسلام كثيراً أنّ مقالات الجهنم وحججه من جنس حجج المتفلسفة .

٣- أوصي بدراسة نقدية لبعض شخصيات المبتدعة للكشف على شبهاتهم وبيان أثرهم السيئ على الأمة الإسلامية ، أمثال : بشر بن غياث المريسي ، وواصل بن عطاء ، وأحمد بن أبي دؤاد ، وغيرهم .

٤- أوصي بدراسة أثر الاعتزال وعلم الكلام على اليهودية والنصرانية ، لأنّ كتب المعتزلة كان لها دورٌ كبيرٌ في تحرير عقائد بعض الفرق اليهودية والنصرانية ، وما (موسى ابن ميمون) إلا يهودي على منهج الاعتزال . وفرقة الكاثوليك من النصاري يكاد يقولون بالأصول الخمسة ، خاصة أن توما أكوينا (Thomas Aquinas) - وهو من أكبر محرري مذهبهم - قد تأثر بالاعتزال أيّما تأثر .

وبعد هذا ، أحمد الله تعالى الذي وفّقني لإتمام هذه الرسالة ، وأختتمها بكلام للإمام الذي صدّرتُ به هذه الرسالة ، وهو إمامٌ جليلٌ لم ير المسلمون مثله في زمانه ، فقد تصدّى لمجاهدة أفكار جهنم بن صفوان وفضحها وكشف عوارها ، ولاقى بسبب جلده للحق ما لاقاه ، ولقد ختم

كتابه النفيس في ردّ أفكار جهنم بقوله :
 « فرحم الله من عقل عن الله ، ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب
 والسنة ، وقال بقول العلماء ، وهو قول المهاجرين والأنصار ، وترك دين
 الشيطان ، ودين جهنم وشيعته .
 والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
 والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلّم تسليماً كثيراً »^(١) .



(١) الردّ على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص . ١٤٩) .

ملحق النراجم

لبعض الأعلام الوارد ذكرهم في البحث
وهي مرتبة على الحروف الهجائية ، ولم يراعى فيها
الألف واللام التي للتعريف ولا الكنى ك (أب)
وكذلك (ابن) وقد رُتبت حسب الشهرة

(١)

- ١- ابن الأثير: هو المبارك محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، مجد الدين، أبو السعدات. ولد سنة ٥٤٤ هـ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ. (سير أعلام النبلاء ٤٨٨/٢١)
- ٢- إبراهيم بن طهمان بن شعبة: أبو سعيد، الخرساني، من أعلام السلف، ورمي بالإرجاء وقيل إنه رجع عنه. توفي سنة ١٦٨ هـ (سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٧).
- ٣- إبراهيم بن يزيد النخعي: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، الكوفي، الفقيه العالم، شيخ الإمام أبي حنيفة، ومن أعلام السلف. توفي سنة ٩٦ هـ (سير أعلام النبلاء ٥٢٠/٤).
- ٤- أحمد بن عمر بن سريخ: أبو العباس البغدادى الشافعي، صاحب المصنفات، الإمام الحافظ، علم من أعلام السلف. توفي سنة ٣٠٣ هـ (سير أعلام النبلاء ١٠٢/١٤).
- ٥- أحمد بن يحيى بن المرتضى، الإمام المهدي لدين الله، الفاطمي الحسيني. إمام الزيدية في وقته، وصاحب التأليف الكثيرة، من أشهرها (كتاب الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) الذي هو عمدة الفقه الزيدي. ومن أشهر كتبه في العقيدة (الدرر الفرائد في شرح كتاب القلائد)، ما زال مخطوطاً. توفي سنة ٨٤٠ هـ إثر طاعون معروف بـ (الطاعون الكبير). (البدر الطالع للشوكانى ٣٢١/٢، والأعلام للزركلي ٢٦٩/٦).
- ٦- الآجري: هو محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، أبو بكر، من أئمة أهل السنة والجماعة. من أشهر مؤلفاته (الشريعة). توفي بمكة سنة ٣٦٠ هـ. (سير أعلام النبلاء ١٣٣/١٦).
- ٧- الأخطل: غياث بن غوث التغلبي، نصراني، شاعر مشهور في زمن الأمويين. توفي سنة ٩٠ هـ (سير أعلام النبلاء ٥٨٩/٤).
- ٨- أرسطوطالوس - Aristotles: أشهر فلاسفة اليونان على الإطلاق، وتلميذ أفلاطون. كتب آلاف الكتب والرسائل في جميع علوم وقته. ادعى قدم العالم وأثبت (واجب الوجود) أو (العلة الأولى) على حسب تعبيره هو. أصبح معلّم الإسكندر المقدوني، ومدير جامعة فلسفية. وكان يدرّس طلابه وهو يمشي معهم ويتجوّل في الحدائق، فسموا لذلك بالمشائين. توفي سنة ٣٢٢ ق. م. (Introducing Philosoph ٧١٥ p).

٩- إسحاق بن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، الحنظلي، أبو محمد المروذي، الإمام العالم الفقيه المحدث المسند، من أعلام السلف ورواة الأثر توفي سنة ٢٣٨ هـ (سير أعلام النبلاء ١١/٣٥٨).

١٠- الإسفرايني: طاهر بن محمد، أبو المظفر الإسفرايني، عده ابن عساكر في (التيبين) من رجال الطبقة الرابعة من الأشاعرة، وله (التبصير في الدين) وغيرها. توفي سنة ٤٧١ هـ. (تبيين كذب المفتري ٢٧٦، وطبقات الشافعية الكبرى ١٧٥/٣).

١١- الأشعري: علي بن إسماعيل بن أبي بشير، أبو الحسن، مؤسس فرقة الأشاعرة. كان معتزلياً ثم اعتنق مذهب ابن كلاب وبقي عليه إلى وفاته، مع تأثره بالإمام أحمد وانتسابه إليه. له مصنفات كثيرة، منها: اللمع، ورسالة إلى أهل الثغر، ومقالات الإسلاميين، وغيرها. توفي سنة ٣٢٤ هـ (سير أعلام النبلاء ١٥/٨٥).

١٢- الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، أبو سعيد الأصمعي البصري اللغوي الإخباري. أحد علماء اللغة. توفي سنة ٢١٥ هـ (الكاشف للذهبي ٢/٢١٣).

١٣- ابن الأعرابي: محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي، أبو عبد الله. إمام اللغة العربية في وقته، وحجة في اللغة. توفي سنة ٢٣١ هـ (سير أعلام النبلاء ١٠/٦٨٧).

١٤- الأعمش: سليمان بن مهران، الأسدي الكوفي، أبو محمد، المعروف بـ (الأعمش). الإمام الحافظ المسند المحدث، عالم من أعلام السلف ورواة الأثر. توفي سنة ١٤٧ هـ (سير أعلام النبلاء ٢٢٦/٦).

١٥- أفلاطون-Plato: من أشهر فلاسفة اليونان، تلميذ سقراطس وشيخ أرسطوطليوس. كان يقول بخلق العالم، ويؤمن بإله. ألف عدة كتب، وحفظ آراء سقراطس من خلال كتبه. توفي ٣٤٧ ق. م. (Introducing Philosophy، p. ٧٢٢).

١٦- الآمدي: علي بن أبي علي بن محمد الثعلبي، سيف الدين. من أئمة الأشاعرة. من أهم تأليفاته: غاية المرام في علم الكلام، والأبكار. توفي سنة ٦٣١ هـ (سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٦٤).

١٧- أنبأذوقليس: وهو من الحكماء الخمسة ومن كان له دور أساسي في تكوين آراء أرسطوطيلس، توفي ٤٣٠ ق. م. انظر: Introducing Philosoph، Solomon، p. ٥٤).

- ١٨- الأوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو ، أبو عمرو الأوزاعي ، الفقيه المحدث العالم المسند من أعلام السلف وحملة الأثر . توفي سنة ١٥٧ هـ (سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧) .
- ١٩- الإيجي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد الإيجي . من أئمة الأشاعرة ومن محققي مذهبهم وكتابه (المواقف في علم الكلام) عمدة عند الأشاعرة توفي سنة ٩٠٥ هـ . (الأعلام ١٩٥/٦) .
- ٢٠- أيوب بن أبي تميمة العزي ، أبو بكر السخيتاني . علم من أعلام السلف ورواة الأحاديث . توفي سنة ١٣١ هـ (سير أعلام النبلاء ١٥/٦) .

(ب)

- ٢١- الباقلاني : محمد بن الطبيب بن محمد البصري ، القاضي أبو بكر . متكلم أشعري . من تصانيفه (الإنصاف) و (التمهيد) ، توفي سنة ٤٠٣ هـ (سير أعلام النبلاء ١٧/١٩٠) .
- ٢٢- البربهاري : الحسن بن علي بن خلف ، شيخ الحنابلة في وقته ، علم من أعلام السنة . من مؤلفاته (شرح السنة) . توفي سنة ٣٢٨ هـ (سير أعلام النبلاء ٩/١٥) .
- ٢٣- البزدوي : محمد بن محمد البزدوي القاضي ، الملقب بـ (صدر الإسلام) ، عالم من علماء الماتريدية وله في علم الكلام (أصول الدين) وغيرها توفي سنة ٤٩٣ هـ (الجواهر المضية ٩٨/٤) .
- ٢٤- بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي : أبو عبد الرحمن ، رأس الجهمية في وقته ، كُفره بعض علماء السلف . هلك سنة ٢١٨ هـ . (سير أعلام النبلاء ١٠/١٩٩)
- ٢٥- ابن بطة العكبري : عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان ، أبو عبد الله ، من علماء أهل السنة والجماعة ، ومن تصانيفه : كتاب الإبانة توفي سنة ٣٨٧ هـ (سير أعلام النبلاء ١٦/٥٢٩) .
- ٢٦- البغدادي : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، أبو منصور . من علماء الأشاعرة ، وصنّف في المقالات من تصانيفه (أصول الدين) ، و (الفرق بين الفرق) توفي سنة ٤٢٩ هـ (سير أعلام النبلاء ١٧/٥٧٢) .
- ٢٧- البيجوري : إبراهيم بن محمد بن أحمد ، شيخ الأزهر في وقته ، صنّف في عقيدة الأشاعرة ، ومن أشهر تأليفاته (تحفة المريد في شرح جوهره التوحيد) . توفي سنة ١٢٧٧ هـ (الأعلام ١/٧١) .

٢٨- البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، أبوبكر ، محدث أشعري ، صاحب (السنن)
و (الاعتقاد) و (الأسماء والصفات) وغيرها توفي سنة ٤٥٨ هـ (سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٦٣) .

(ت)

٢٩- التفتزاني : مسعود بن عمر بن عبد الله ، سعد الدين ، من أشهر علماء الماتريدية ، له في علم الكلام
(شرح المقاصد) و (شرح العقائد النسفية) . توفي سنة ٧٩٢ هـ (البدر الطالع ١٠ / ٤١٠) .

(ث)

٣٠- الثقفى : محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، أبو علي الثقفى النيسابورى الشافعى . من
أصحاب أبي الحسن الأشعري ، توفي سنة ٣٢٨ هـ (سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢٨٠)

(ج)

٣١- الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب البصري ، الجاحظ . رأس من رؤوس المعتزلة ، وإمام من أئمة
البدع ، وتلميذ النظم . له تصانيف في فنون مختلفة ، توفي بعد ٢٥٠ هـ . (سير أعلام النبلاء ١١ /
٥٢٦) .

٣٢- الجبائي : محمد بن عبد الوهاب البصري ، شيخ المعتزلة في وقته ، صنف (الأصول)
و (الأسماء والصفات) وغيرهما . توفي سنة ٣٠٣ هـ (سير أعلام النبلاء ١٤ / ١٨٣)

٣٣- الجرجاني : علي بن محمد بن علي ، أبو الحسن الحسيني ، حنفي ماتريدي ، له (شرح المواقف)
وغيرها . توفي سنة ٨١٦ هـ (الضوء اللامع ٣ / ٣٢٨) .

٣٤- الجعد بن درهم : مؤدب مروان الحمار ، وإليه تنسب الجعدية ، أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ
إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً . شيخ الجهم بن صفوان ، قتله خالد القسري يوم النحر .
(سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٣٣ ، ميزان الاعتدال ٢ / ١٢٥) .

٣٥- الجنيد بن محمد بن الجنيد : شيخ الصوفية في وقته ، وله قصص في الزهد والعبادة ، ولم يرو عنه ما
يستنكر في الاعتقاد ، وله كلام جميل في الرد على علم الكلام . توفي في نهاية القرن الثالث
الهجري . (سير أعلام النبلاء ١٤ / ٦٦) .

٣٦- الجويني : عبد الملك بن بعد الله بن يوسف ، أبو المعالي ، إمام الحرمين ، متكلم أشعري . له تصانيف كثيرة ، منها : (العقيدة النظامية) ، و (الإرشاد) و (لمع الأدلة) . توفي سنة ٤٨٧ هـ (سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨) .

(ح)

٣٧- حافظ الحكمي : حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، الشيخ الإمام ، أحد علماء المملكة ، وله تصانيف مفيدة في عقيدة السلف . توفي سنة ١٣٧٧ هـ (مقدمة كتابه معارج القبول ١١) .

٣٨- الحرّ العاملي : محمد بن الحسين بن علي العاملي ، الملقّب بالحرّ ، من أئمة الإمامية . صاحب كتاب (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) . توفي سنة ١١٠٤ هـ (الأعلام ٩٠/٦) .

٣٩- ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، أبو محمد الأندلسي ، إمام ظاهري . من تصانيفه : (المحلى) ، و (الفصل في الأهواء والملل والنحل) ، وغيرها . توفي سنة ٣٥٦ هـ (سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨) .

٤٠- الحسين بن بدر الدين : الأمير الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى ، إمام زيدي ، صاحب (العقد الثمين في معرفة رب العالم) . توفي سنة ٦٦٢ هـ (من مقدمة كتابه العقد الثمين ، بقلم المحقق) .

٤١- الحسين بن محمد بن عبد الله النجار . عداده في المعتزلة ، مع أنّ المعتزلة لا يعتبرونه منهم لأنّه خالفهم في مسألة القدر ، فقال بقول قريب لقول أهل السنة . وهو رأس فرقة (النجارية) . توفي سنة ٢٢٠ هـ . (الفهرست لابن نديم (ص ٢٥٤) ، الأعلام للزركلي (٢٧٦/٢)) .

٤٢- الحسن البصري : الحسن بن أبي الحسن البصري ، الإمام الزاهد الفقيه المسند المحدث ، عالم من أعلام السلف وحملة الأثر ، وإمام التابعين . توفي سنة ١١٠ هـ (سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤) .

٤٣- حماد بن زيد : حماد بن زيد بن درهم الأزدي ، الجهضمي ، الفقيه العالم المسند ، من أعلام السلف . توفي سنة ١٧٩ هـ (سير أعلام النبلاء ٤٥٦/٧) .

٤٤- حماد بن أبي سليمان : أبو إسماعيل ، الكوفي الأصهباني ، الإمام العالم الفقيه ، من أعلام السلف إلا أنّه كان من مرجئة الفقهاء . توفي سنة ١٢٠ هـ (سير أعلام النبلاء ٢٣١/٥) .

(خ)

- ٤٥- الخطابي : حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، أبو سليمان البستي الشافعي الخطابي . العالم المصنّف المحدث المشهور ، من أعلام الأشاعرة . توفي سنة ٤٠٥ هـ . (تاريخ بغداد ٤٧٢/٥) .
- ٤٦- الخلال : أبوبكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال ، شيخ الحنابلة . جمع علم الإمام أحمد في السنة وغيرها ، من تصانيفه (السنة) . توفي سنة ٣١١ هـ . (سير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٤) .
- ٤٧- الخليل : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، البصري ، أبو عبد الرحمن . إمام من أئمة اللغة ، ومنشئ علم العروض . توفي سنة ١٧٠ هـ . (سير أعلام النبلاء ٤٢٩/٧) .
- ٤٨- الخياط : أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان ، من أئمة المعتزلة ، صنّف (الانتصار) . توفي سنة ٣٠٠ هـ . (سير أعلام النبلاء ٢٢٠/١٤) .
- ٤٩- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي ، عالم مؤرخ . توفي سنة ٨٠٨ هـ (شذرات الذهب ٧٦/٧) .

(د)

- ٥٠- الدارمي : عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي ، من أئمة أهل السنة والجماعة ، له في العقيدة (الردّ على الجهمية) و (نقض عثمان بن سعيد على بشر بن غياث المريسي العنيد) . توفي ٢٨٠ هـ (سير أعلام النبلاء ٣١٩/١٣) .
- ٥١- الدسوقي : محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ، مالكي ، من علماء الأشاعرة . له تعليقات على بعض كتب الكلام . توفي سنة ١٢٣٠ هـ (الأعلام ١٧/٦) .
- ٥٢- ابن أبي دؤاد : أحمد بن فرج بن جرير الإيادي البصري ثم البغدادي ، الجهمي ، كان داعية إلى القول بخلق القرآن ، حمل العدا على الإمام أحمد . توفي سنة ٢٤٠ هـ ببغداد . (تاريخ بغداد ١٤١/٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٦٩/١١) .

(ذ)

٥٣- ذر بن عبدالله : المرهبي ، ثقة عابد من حملة الأثر ، ورمي بالإرجاء . توفي قبل ١٠٠ هـ (التقريب ٣١٣) .

(ر)

٥٤- الرازي : محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي ، فخر الدين ، من علماء الأشاعرة ، له في الكلام (أساس التقديس) و (المحصل) وغيرهما . توفي سنة ٦٠٦ هـ (سير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١) .

٥٥- الراوندي : أحمد بن يحيى بن إسحاق ، أبوالحسين الراوندي ، ملحد مجاهر بالإلحاد ، أحد مشاهير الزندقة ، وكان معتزلياً قبل ذلك . صنف كتباً كثيرة في الإلحاد ، فردّ عليه الخياط . هلك ٢٩٨ هـ . (وفيات الأعيان ٢٧/١)

(ز)

٥٦- الزمخشري : محمود بن عمر ، مفسر معتزلي ، صاحب (الكشف) . توفي سنة ٥٣٨ هـ (سير أعلام النبلاء ١٥١/٢٠) .

٥٧- ابن أبي زمنين : محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد ، أبو عبد الله ، الأندلسي ، إمام سلفي ، صاحب (أصول السنة) وغيرها . توفي سنة ٣٩٩ هـ (سير أعلام النبلاء ١٨٨/١٧)

٥٨- زيد بن وهب : أبوسليمان الكوفي ، تابعي جليل ، من رواة الأحاديث ، من المخضرمين . (التقريب ٣٥٦) .

(س)

٥٩- السالمي : عبد الله بن حميد السالمي ، نور الدين ، من أعيان الإباضية ، انتهت إليه رئاسة العلم عندهم في عصره ، ومن مؤلفاته (جوهرة النظام في تاريخ عمان) . توفي سنة ١٣٣٢ هـ (الأعلام ٨٤/٤) .

٦٠- السبكي : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر ، أشعري جلد ، ومن أشد أعداء شيخ الإسلام ابن تيمية ، صاحب (طبقات الشافعية) وغيرها . توفي سنة ٧٧١ هـ (الدرر الكامنة ٤٣٥/٢) .

٦١- السجزي : عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي ، أبو نصر ، إمام من أئمة السنة ، له (الرد على من أنكر الحرف والصوت) توفي سنة ٤٤٤ هـ (سير أعلام النبلاء ٦٥٤/١٧) .

٦٢- سعيد بن جبير : سعيد بن جبير بن هشام ، الأسدي الكوفي ، الإمام الحافظ المسند ، من أعلام السلف . قتله الحجاج بن يوسف سنة ٩٥ هـ (سير أعلام النبلاء ٣٢١/٤) .

٦٣- سفاريني : محمد بن أحمد بن سالم ، شمس الدين ، أبو العون ، حنبلي سلفي ، له (لوامع الأنوار البهية) وغيرها . توفي سنة ١١٨٨ هـ . (الأعلام ١٤/٦) .

٦٤- سقراطس - Socrates : من أشهر فلاسفة اليونان ، اهتم برّد السفسطائيين فاشتهر بسببه . لم يؤلف شيئاً ولكن بقيت آروؤه ضمن كتب تلميذه أفلاطون . اتهمته الحكومة بأنه يشوّش على المجتمع اليوناني ، فحكم عليه بالاعدام . قتل سنة ٣٩٩ ق م .

٦٥- السمعاني : منصور بن محمد بن عبد الجبار ، أبو المظفر ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ، له (الانتصار لأهل الحديث) وغيرها . توفي سنة ٤٨٩ هـ (سير أعلام النبلاء ١١٤/١٩) .

٦٦- السمعاني : عبد الكريم بن محمد بن منصور ، حفيد أبي المظفر ، صاحب (الأنساب) ، وغيرها . توفي ٥٦٢ هـ (سير أعلام النبلاء ٤٥٦/٢٠) .

٦٧- السمناني : هو أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السمناني الحنفي ، قاضي الموصل ، من كبار تلاميذ الباقلاني . توفي سنة ٤٤٤ هـ . (سير أعلام النبلاء ٧٥١/١٧) .

٦٨- السنوسي : محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسيني ، أبو عبد الله التلمساني الجزائري ، الأشعري المالكي . عالم أشعري ، من مؤلفاته (أمّ البراهين) وغيرها . توفي سنة ٨٩٥ هـ (الأعلام ١٥٤/٧) .

٦٩- سوفوقليز - Sophocles : مسرحي ومؤلف يوناني مشهور . كتب أشهر مسرحيات يونانية ، بقيت منها سبعة فقط ، من أشهرها (الملك إيدياس) . توفي حوالي ٤٠٦ ق م .

(ش)

٧٠- الشماخي : أحمد بن سعيد الشماخي ، أبو العباس بدر الدين ، الإباضي ، من علماء الإباضية من ليبيا . توفي في القرن العاشر الهجري (معجم أعلام الإباضية ٤٤/٢) .

٧١- الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، العالم العلامة ، اللغوي الأصولي المفسر ، من أعلام السنة ومجددي وقته ، له (المذكرة) في الأصول ، و (أضواء البيان) في التفسير ، وغير ذلك . توفي سنة ١٣٩٣ هـ (راجع : مقدمة أضواء البيان ١٧/١) .

٧٢- الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتح ، إمام أشعري صاحب (نهاية الإقدام في علم الكلام) و (الملل والنحل) . توفي سنة ٥٤٨ هـ (سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٢٠) .

٧٣- ابن أبي شيبة : عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، الواسطي الكوفي ، العالم المسند المحدث الكبير ، صاحب (المصنف) و (كتاب العرش) وغيرهما . توفي سنة ٢٣٥ هـ (سير أعلام النبلاء ١٢/٣٩١) .

(ص)

٧٤- الصابوني : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد ، أبو عثمان الصابوني ، العالم الجليل ، وعلم من أعلام السلفية ، صاحب (الانتصار) و (عقيدة السلف أصحاب الحديث) وغيرهما . توفي سنة ٤٤٩ هـ (البداية والنهاية ٧٦/١٢ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٢٧١/٤) .

٧٥- الصفدي : خليل بن أيط بن عبد الله الصفدي ، أبو الصفاء الشافعي . الأديب المؤرخ صاحب التصانيف ، من أشهرها (الوافي بالوفيات) . توفي سنة ٧٦٤ هـ (طبقات الشافعية الكبرى ٥/١٠) .

(ض)

٧٦- ضرار بن عمرو الكوفي القاضي ، ظهر في أيام واصل بن عطاء ، وهو مؤسس فرقة الضرارية . رأس من رؤوس الاعتزال ، توفي زمن الرشيد (سير أعلام النبلاء ٥٤٤/١٠) .

(ط)

٧٧. الطبري : محمد بن محمد بن جرير الطبري ، المفسر ، السلفي ، صاحب (جامع البيان في تفسير القرآن) ، وله في العقيدة (صريح السنة) . توفي ٣١٠ هـ (سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤ هـ)

٧٨. الطحاوي : أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحنفي ، أبو جعفر ، محدث وعالم من علماء السنة ، له (العقيدة) مشهورة (سير أعلام النبلاء ٢٧/١٥ هـ) .

٧٩. طلق بن حبيب : العنزي ، البصري ، إمام سلفي ، من رواة الأحاديث ، توفي بعد سنة ٩٠ هـ (سير أعلام النبلاء ٦٠١/٤ هـ) .

(ع)

٨٠. ابن أبي عاصم : أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد ، الشيباني النبيل ، الشهير بابن أبي عاصم . محدث من علماء السنة ، صنف في العقيدة السلفية عدة كتب ، منها (السنة) ، توفي سنة ٢٨٧ هـ (سير أعلام النبلاء ٤٣٠/١٣ هـ) .

٨١. ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، النمرى القرطبي المالكي ، عالم محدث فقيه ، سلفي العقيدة ، له (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) وغيرها . توفي ٤٦٣ هـ (سير أعلام النبلاء ١٤٣/١٨ هـ) .

٨٢. عبد الجبار الهمداني : القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، أبو الحسين ، إمام المعتزلة في وقته صنف (المغني في أبواب التوحيد والعدل) ، و (شرح الأصول الخمسة) . توفي سنة ٤١٥ هـ (الأعلام ٢٧٣/٣ هـ) .

٨٣. عبد الرحمن بن مهدي : عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولا هم ، أبو سعيد البصري ، الإمام الفاضل ، الفقيه المحدث ، من أعيان علماء الحديث من السلف وإمام من أئمة الجرح والتعديل . توفي سنة ١٩٨ هـ (سير أعلام النبلاء ١٩٢/٩ هـ) .

٨٤. عبد القادر الجيلاني : عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلاني ، أبو محمد ، عالم فقيه حنبلي ،

ونسب إليه أشياء كثيرة هوبريئ منها ، توفي سنة ٥٦١ هـ . (سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٩) .

٨٥- عبد الله بن المبارك : المروذي ، الإمام الفقيه الزاهد العالم المسند المجاهد ، إمام من أئمة السلف ، جمعت فيه خصال الخير . توفي سنة ١٨١ هـ (سير أعلام النبلاء ٨/٣٧٨)

٨٦- ابن أبي العزّ : علي بن علي بن محمد ابن أبي العزّ ، الحنفي ، الدمشقي ، تتلمذ على ابن كثير وابن القيم وطبقتهم ، وصنّف التصانيف على عقيدة السلف ، من أشهرها شرحه لعقيدة الطحاوية . توفي سنة ٧٩٢ هـ (إنباء الغمر لابن حجر ٢/٩٥) .

٨٧- عز الدين بن عبد السلام بن أبي القاسم : الشافعي ، أشعري المعتقد ، وله مواقف طيبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن تصانيفه في الكلام (العقائد) . (طبقات الشافعية ٨/٢١٩) .

٨٨- ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن عساكر ، عالم محدّث أشعري العقيدة . توفي ٥٧١ هـ (وفيات الأعيان ٧/٢٩) .

٨٩- العلاّف : محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول ، أبو الهذيل ، المشهور بالعلاف . إمام من أئمة المعتزلة ، له مذهب في الاعتزال . توفي سنة ٢٢٦ هـ (تاريخ بغداد ٣/٣٦٦ ، ولسنان الميزان ٥/٤١٣) .

٩٠- علي بن عاصم : علي بن عاصم بن صهيب ، أبو الحسن القرشي التميمي ، مسند العراق وشيخ المحدثين ، من طبقة سفيان بن عيينة . وثبت أنّه جادل مع الجهم بن صفوان . توفي سنة ٢٠١ هـ (سير أعلام النبلاء ٩/٢٤٩) .

٩١- أبو عَمّار الإباضي : عبد الكافي بن أبي يعقوب يوسف الوارجلاني ، الشهير بأبي عمّار . صاحب كتاب (الموجز) ، والإباضية يعتبرونه من محقّقي مذهبهم . توفي سنة ٥٧٠ هـ (معجم أعلام الإباضية ٢/٢٥٨) .

٩٢- عمرو بن عبيد : أبو عثمان البصري ، رأس من رؤوس المعتزلة ، وصاحب واصل بن عطاء . هلك سنة ١٤٣ هـ (سير أعلام النبلاء ٦/١٠٤) .

(غ)

٩٣- الغزالي : محمد بن محمد بن محمد الطوسي ، زين الدين ، أبو حامد . إمام من أئمة الأشاعرة والصوفية ، له تصانيف كثيرة جداً في علم الكلام ، والتصوف ، والرد على الفلاسفة . توفي سنة ٥٠٥ هـ (سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩) .

٩٤- غيلان الدمشقي : غيلان بن أبي غيلان ، أبو مروان الدمشقي القدري ، المقتول في القدر ، كان من بلغاء الكتاب ، صلبه هشام بن عبد الملك لمقاتته ، وكان قد استتابه عمر بن عبد العزيز قبل ذلك (تاريخ دمشق ١٨٦/٤٨ ، وميزان الاعتدال (٤٠٨/٥)

(ف)

٩٥- ابن فورك : محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني ، متكلم أشعري ، له (تأويل مختلف الحديث) وغيرها . توفي سنة ٤٠٦ هـ (سير أعلام النبلاء ٢١٤/١٧) .

٩٦- فيلواليهودي الأسكندري - Philo the Jew : يهودي روماني ، وأول من حاول الجمع بين الوحي والفلسفة . هجره يهود وقته لضلالاته ، ومع ذلك ألف الكثير من الكتب ، واحتفظها النصارى من بعده . ويعتبر آراؤه من أهم مصادر علم الكلام . (Encyclopedia Brittanica)

(ق)

٩٧- قاسم بن إبراهيم الرستي : من أئمة الزيدية ، ومعتزلي قح ، له تصانيف عديدة في الدفاع وتقدير مذهب الاعتزال . توفي سنة ٢٤٦ هـ . (الأعلام ١٧١/٥) .

٩٨- القاسم بن سلام : أبو عبيد ، البغدادي ، الإمام المشهور ، صنف التصانيف ودافع عن عقيدة السلف . ومن مصنفاته (كتاب الإيمان) وغيرها (سير أعلام النبلاء ٤٩٠/١٠)

٩٩- قاسم بن قطلوبغا : زيد الدين قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله السودوني الحنفي . عالم ماتريدي حنفي ، كان من المتعصبين لابن الفارض (الضوء اللامع للسخاوي ١٨٤/٦)

١٠٠- ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد ، خطيب أهل السنة ، له (تأويل

مختلف الحديث) وغيرها . توفي سنة ٢٧٦ هـ (سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٦) .

١٠١- القلانسي : أبو أحمد مصعب بن أحمد البغدادي ، شيخ الصوفية ومن قدماء أصحاب الأشعري (سير أعلام النبلاء ١٣/١٧٠) .

(ك)

١٠٢- ابن كلاب : أبو محمد ، عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري ، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه ، وكان أول من نفى بعض الصفات وأثبت البعض . اخترع القول بالكلام النفسي . وإليه تنسب الكلائية . (طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٩٩) ، و (سير أعلام النبلاء ١١/١٧٤) .

١٠٣- الكليني : محمد بن يعقوب ، أبو جعفر الرازي الكليني ، عالم من علماء الرافضة الاثني عشرية . صاحب كتاب (الكافي في أصول الدين) . هلك سنة ٣٢٨ هـ (سير أعلام النبلاء ١٥/٢٨٠) .

١٠٤- الكناني : عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي ، العالم الجليل ، سلفي المعتقد ، ناظر ابن أبي دؤاد في حضرة المأمون ، وألف إثر ذلك (الحيدة) سجل فيه أحداث هذه المناظرة . توفي سنة ٢٤٠ هـ (الفهرست ٢٦١ ، تاريخ بغداد ١٠/٤٥٠)

١٠٥- الكوثري : محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري . حنفي المذهب ، ماتريدي المعتقد ، يميل إلى التجهّم ، سباباً شتاماً طعاناً لقائماً على علماء السنة ، حرباً على العقيدة السلفية . توفي سنة ١٣٧١ هـ (الأعلام للزركلي ٦/١٢٩) .

(ل)

١٠٦- اللالكائي : هبة الله بن الحسن بن منصور ، أبو القاسم اللالكائي . عالم محدّث سلفي العقيدة ، ألف عدة كتب من أشهرها (شرح أصول الاعتقاد) توفي سنة ٤١٨ هـ (تاريخ بغداد ١٤/٣١) .

١٠٧- اللقاني : إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني ، أبو الإمداد برهان الدين ، الأشعري الصوفي المالكي . صاحب (جوهرة التوحيد) في عقيدة الأشاعرة توفي سنة ١٠٤١ هـ (الأعلام ١/٢٨)

(م)

١٠٨- الماتريدي : محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي السمرقندي ، إمام المتكلمين ،

واليه تنسب الماتريدية . له (كتاب التوحيد) ، و(تأويلات القرآن) وغيرها . توفي ٣٣٣ هـ (الخطط للمقرئ ٣٥٩/٢ ، والماتريدية للحري ١٣) .

١٠٩- المتولي الشافعي : عبد الرحمن بن محمد بن مأمون ، المتولي ، الشافعي ، النيسابوري . فقيه وإمام من أئمة الأشاعرة ، له في الكلام (الغنية في أصول الدين) وغيرها . توفي سنة ٤٧٨ هـ (طبقات الشافعية الكبرى ٢٢٣/٣) .

١١٠- ابن مجاهد : محمد بن أحمد بن محمد بن مجاهد ، أبو أحمد الطائي البصري ، المتكلم ، صاحب أبي الحسن الأشعري ، وكان الباقلاني يثني عليه كثيراً (تاريخ بغداد ٣٤٣/١) .

١١١- المجلسي : محمد تقي بن مقصود علي الأصبهاني المجلسي ، من فقهاء الإمامية الرافضة ، له تصانيف كثيرة . توفي سنة ١٠٧٠ هـ (الأعلام ٦٢/٦) .

١١٢- محمد بن إسحاق بن خزيمة : النيسابوري ، الحافظ المحدث القيه ، إمام الأئمة ، سلفي المعتقد ، صاحب (الصحيح) و(كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب) . توفي ٣١١ هـ . (سير أعلام النبلاء ١٣/٣٦٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى ١٠٩/٣) .

١١٣- محمد بن خازم ، أبو معاوية الضرير : السعدي ، الكوفي ، الإمام المسند الحافظ ، من أعلام السلف . توفي سنة ١٩٥ هـ (سير أعلام النبلاء ٧٣/٩) .

١١٤- محمد بن سقوة : أبو بكر الغنوي الكوفي ، إمام عابد من أعلام السلف ، وثبت أنه جادل مع الجهم بن صفوان . توفي سنة ١٤٠ هـ (سير أعلام النبلاء ١٣٤/٦) .

١١٥- محمد بن علي بن الطيب ، أبو الحسين البصري : شيخ المعتزلة في وقته ، وصاحب التصانيف الكلامية ، منها (المعتمد في أصول الفقه) . توفي سنة ٤٣٧ هـ (سير أعلام النبلاء ١٧/٥٨٧) .

١١٦- محمد بن كثر السجستاني : مؤسس الفرقة الكثرانية ، قال بأن الإيمان مجرد القول ، وكان من المحسمة في باب الصفات توفي سنة ٢٥٥ هـ (سير أعلام النبلاء ١١/٥٢٣) .

١١٧- محمد بن يوسف أطفيش : هو محمد بن يوسف بن عيسى الحفمي ، أطفيش الشهير بقطب الأئمة ، إمام من أئمة الإباضية المعاصرين ، بل هو أشهر عالمهم في العصور الحديثة على الإطلاق . توفي سنة ١٣٣٢ هـ (معجم أعلام الإباضية ٢/٣٩٩) .

١١٨- المزني : إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو ، أبو إبراهيم المزني . الإمام المشهور ، وأخص تلميذ الإمام الشافعي ، سلفي المعتقد . ألف (شرح السنة) وغيرها . توفي سنة ٢٦٤ هـ (سير أعلام النبلاء ٤٩٢/١٢) .

١١٩- المطرزي : ناصر بن عبد السعيد ، أبو الفتح برهان الدين الخوارزمي المطرزي الحنفي المعتزلي ، رأساً في الاعتزال . من مؤلفاته (المغرب في تعريب العرب) . توفي سنة ٦١٠ هـ (وفيات الأعيان ١٥١/٢) .

١٢٠- معبد الجهني : معبد بن عبدالله بن عويمر بن عكيم الجهني ، نزيل البصرة وأول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة . كان له علم مع بدعته . قتل مصلوباً بدمشق سنة ٨٠ هـ (تاريخ دمشق ٥٩/ ٣١٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٨٥/٤) .

١٢١- المفيد : محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ، الرافضي . عالم شيعي ، بلغت مؤلفاته مئتين . (سير أعلام النبلاء ٣٤٤/١٧) .

١٢٢- مكّي بن إبراهيم : مكّي بن إبراهيم بن بشير التميمي ، البلخي ، مسند خراسان ، علم من أعلام السلف ، من شيوخ البخاري والإمام أحمد . توفي سنة ٢١٤ هـ (سير أعلام النبلاء ٥٤٩/٩) .

١٢٣- ملا علي قاري : علي بن سلطان محمد ، أبو الحسن الهروي المكي ، الشهير بملا علي قاري . من أئمة الماتريديّة والحنفية . توفي سنة ١٠١٤ هـ (كشف الظنون ١٠٩٠/٢) .

١٢٤- الملطي : محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، أبو الحسين الملطي العسقلاني ، عالم في المقالات والقراءات ، سلفي المعتقد ، صاحب (التنبيه والرد) . توفي سنة ٣٧٧ هـ (طبقات الشافعية ٢/ ١١٢) .

١٢٥- موسى بن ميمون : ابن يوسف بن إسحاق أبو عمران القرطبي . طبيب ، فيلسوف ، يهودي . من أشهر علماء اليهود ، ومن محرّري مذهبهم . قيل إنّه حفظ القرآن وتفقه على مذهب الإمام مالك . وقد تأثر بالاعتزال فأدخل كثيراً من عقائدهم على اليهود . (الأعلام ٣٢٩/٨) .

(ن)

١٢٦- نجدة بن عامر بن الحنفي : رأس من رؤوس الخوارج ، ومؤسس فرقة النجدات . جادل مع ابن

عباس رضي الله عنه ، وقاتل المسلمين . كان في بداية أمره مع نافع بن أزرق ثم انشق عنه وأسس فرقة جديدة . قتل سنة ٦٩ هـ (تاريخ الإسلام للذهبي ٨٨/٣) .

١٢٧- النسفي : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، إمام من أئمة الماتريدية ، ويلقب عندهم بـ (حافظ الدين) . توفي سنة ٧١٠ هـ (هدية العارفين لإسماعيل باشا ٤٦٤/١) .

١٢٨- النسفي : عمر بن محمد ، أبو حفص ، إمام من أئمة الماتريدية ، المعروف عندهم بـ (مفتي الثقلين) ، وصاحب (العقائد النسفية) . توفي ٥٣٧ هـ . (الجواهر المضية ٦٥٧/٢) .

١٢٩- النسفي : ميمون بن محمد المكحولي ، أبو معين ، إمام من أئمة الماتريدية ، صاحب (التمهيد) و (تبصرة الأدلة) وغيرهما ، وهو من أبرز علماء الماتريدية . توفي سنة ٥٠٨ هـ (الجواهر المضية ٣/٥٢٧) .

١٣٠- النظام : إبراهيم بن سيار بن هاني البصري ، أبو إسحاق . أحد أئمة المعتزلة ، اشتغل بالفلسفة . توفي سنة ٢٣١ هـ (لسان الميزان ٦٧/١) .

(هـ)

١٣١- هارون بن معروف : المروذي ، أبو علي الخزاز ، إمام من أعلام السلف ومن حملة الأثر . توفي سنة ٢٣١ هـ (سير أعلام النبلاء ١٢٩/١١) .

١٣٢- الهروي : عبد الله بن محمد بن علي بن محمد ، الخزرجي ، الأزدي ، إمام سلفي وشوك على أهل البدعة وأصحاب الكلام ، صاحب (ذم الكلام وأهله) وغيرها . امتحن مرّات من أجل عقيدته ودعوته للسنة ، توفي سنة ٤٨١ هـ . (المنتظم ٢٧٨/١٦) .

١٣٣- ابن الهمام : كمال الدين محمد بن عبد الواحد ، المعروف بابن الهمام . إمام من أئمة الماتريدية . توفي سنة ٨٦١ هـ (الضوء اللامع ١٢٨/٨ ، والبدر الطالع ٢٠١/٢) .

١٣٤- هيراقليطس - Heracletus : فيلوسوف يوناني ، من أوئل فلاسفة اليونان . توفي ٥٠٤ ق . م . (Freeman ، Socratic Philsophers - The Pre ، ١٠٧ .) .

(و)

١٣٥- واصل بن عطاء الخزومي البصري، الغزال، أبو حذيفة. مؤسس المعتزلة، طرده الحسن البصري من مجلسه بسبب بدعه، له مؤلفات، منها كتاب في التوحيد وكتاب المنزلة بين المنزلتين. كان يلثغ بالراء، إلا أنه كان فصيحاً مفاوهاً. توفي سنة ١٣١ هـ (سير أعلام النبلاء ٤٦٤/٥).

١٣٦- ابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي، كان زدياً ثم رجع إلى السنة، وألف عدة كتب، منها: (العواصم والقواصم. توفي سنة ٨٤٠ هـ) (البدر الطالع ترجمة ٤٠٠).

١٣٧- الوليد بن المغيرة الخزومي: والد الصحابي الجليل وسيف الله خالد وزعيم من زعماء قريش، كان من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين وأنزل الله تعالى فيه آيات. سيرة ابن هشام ١٠٢/٢

١٣٨- وهب بن جرير: وهب بن جرير بن حازم بن زيد، أبو عبد الله الأزدي البصري، عالم من أعلام السلف ورواة الأحاديث. توفي سنة ٢٠٦ هـ (سير أعلام النبلاء ٤٤٢/٩)

(ي)

١٣٩- يحيى بن حمزة بن علي: الملقب بالمؤيد، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، من أعلام الزيدية في اليمن. توفي سنة ٧٠٥ هـ. (البدر الطالع ٨٤٩).

١٤٠- يحيى بن سعيد القطان: يحيى بن سعيد بن فروخ، التميمي، أبو سعيد القطان البصري، إمام جليل وعلم من أعلام السلف، الحافظ المسند. توفي سنة ١٩٨ هـ (سير أعلام النبلاء ١٧٥/٩).

١٤١- يزيد بن هارون: يزيد بن هارون بن زاذان السلمي مولا هم، أبو خالد الواسطي، عابد فقيه زاهد من أعلام السلف وحملته الأثر. توفي سنة ٢٠٦ هـ (التقريب ١٠٨٤).

١٤٢- يوحنا الدمشقي John of Damascus - يوحنا بن سرجيوس بن منصور بن سرجيوس الدمشقي النصراني. كان مستشاراً لدى بعض خلفاء بني أمية. كتب عدة كتب في تحرير عقائد النصراني، وفي الرد على المسلمين، وقيل إنه من أهم مصادر علم الكلام. وهناك احتمال كبير أن الجعد أخذ بعض مقالاته منه. توفي ١٣٠ هـ (John of Damascus on Islam, Sahas (pps. ٢١-٤٨).

الفهارس العامة لهذا الكتاب

- ١- فهرس الآيات
- ٢- فهرس الأحاديث
- ٣- فهرس الفرق والطوائف
- ٤- فهرس المصطلحات والغريب
- ٥- ثبت المصادر والمراجع

١- فهرس الآيات

سورة البقرة

- آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه ١٤٧
- هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء ٥٦٢
- وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل ٨٣٦
- قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا .. ٤٢٤
- قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم .. ٨٣٦
- فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم . ٤٢٧
- والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ٨٦٧
- من كان عدوا لله وملائكته ورسله .. ٨٥٦
- وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم ٨٣٤
- قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا .. ٢٥٧ ، ٢٢٠
- الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .. ٢٠٨ ، ٢٤٠
- يريد الله بكم اليسر .. ٧٧٢
- وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ٧٧٢
- يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة .. ١٤٩
- لا تكلف نفس إلا وسعها . ٧٦٦
- الله لا إله إلا هو الحي القيوم .. ٤٢٨ ، ٢٥٥ ، ٤٧١ ، ٥٠٨
- ٨٣٦

٧٦٨ ، ٧٤٩

لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ..

سورة آل عمران

٤٩٧

نزل عليك الكتاب بالحق ..

٢٣٧

إن الدين عند الله الإسلام .

٧٤٥

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ..

٢٣٧

ومن يتغ غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه ..

٧٦٤ ، ٧٤٨

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ..

٣٠

كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف

٨٦٤

واتقوا النار التي أعدت للكافرين .

٨٦٤

وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ..

سورة النساء

٧٦٤

ومن لم يستطع منكم طولا ..

٧٧٢

يريد الله ليبين لكم ويهديكم ..

١٤٧

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ..

٢٢٢

درجات منه ومغفرة ورحمة ..

٧٦٢

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ..

٥١٥ ، ٥٠٨

وكلم الله موسى تكليما .

٣٧٥ ، ٣٤٦

رسلا مبشرين ومنذرين ..

٧٦١

٨٦٨

إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ..

٥٠١

إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ..

سورة المائدة

- اليوم أكملت لكم دينكم .. ٢٣١ ، ٢٣٣
- ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج .. ٧٧٢
- من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس . ٧٥٧
- يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسرعون في الكفر .. ٢٢٠
- وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء . ٦٠٨
- يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك .. ٢٧
- وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول .. ٢٥٧
- قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنّ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . ٨٦٨

سورة الأنعام

- الحمد لله الذي خلق السموات والأرض .. ٥١٢
- وهو الله في السموات وفي الأرض . ٩١ ، ٤٣٠ ، ٤٥٥ ، ٤٧٤ ، ٥١٨ ، ٥٦٠
- ٥٦٣
- وهو القاهر فوق عباده .. ٤٦٥
- قل أي شيء أكبر شهادة .. ٥٠٤
- وكذلك فتنا بعضهم بعض .. ٧٥٨
- وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو .. ٧٤٤
- ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو .. ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤

٥٧٤ ، ٥٧٣

٧٤٦

١٣٥ ، ١٠٣

٤٥٥ ، ٤٣١

٥٢٧ ، ٥١٨

٥٧٧ ، ٥٢٨

٥٢٩

٧٥٢

٨٧٨

٧٦٨

٦٨١

٧٦٠

٧٦٢

٧٦٣

٤٧٩ ، ٤٩٥

٥١٥

٧٥٩

١٥٨

٧٥٧

٤٢٦

لا تدركه الأبصارُ وهو يدرك الأبصار .

سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ..

قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين .

لا نكلف نفساً إلا وسعها .

والوزن يومئذ الحق ..

وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا ..

وقالت أولهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما

كنتم تكسبون

وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته

ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ..

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي .

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ..

وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ..

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

سورة التوبة

وإن أحد من المشركين استجارك فأجره ..

٤٩٦

٩٢١

٢٥١

إنما النسيء زيادة في الكفر

٤٧٨

فإن رجعت الله إلى طائفة منهم ..

٦٦٧ ، ٦٦٩ ،

سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم

٦٩٤

٤٢٥

لقد جاءكم رسول من أنفسكم

سورة يونس

٣٣٣

وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه ..

٥٢١ ، ٥٣١ ،

للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

٥٣٤

٢٥٨

قل من يرزقكم من السماء والأرض ..

سورة هود

٤٧٠

وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ..

٧٦٥

ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون .

٧٦٧

إن ربك هو القوي العزيز .

خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال

٨٦٢ ، ٨٧٤ ،

لما يريد

٨٨٢

سورة يوسف

٤٢٦

إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون

٥١٥

قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا ..

سورة الرعد

- ٤٧١ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ..
 ١٤٩ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق ..
 ٨٦٨ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها .

سورة إبراهيم

- ٨٦٩ يتجرعه ولا يكاد يسيغه ..
 ٢٥٨ يُثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ..
 ٥١٢ وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ..
 ٦٧٨ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ..

سورة الحجر

- ٨٣٥ ولقد علمنا المستقدمين منكم ..
 ٢٥٨ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ..

سورة النحل

- ٧٥٦ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ..
 ٥٠٤ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون .
 ٦٣٠ ، ٤٦٥ يخافون ربهم من فوقهم ..
 ٤٢٧ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى ..
 ٤٢٧ فلا تضربوا لله الأمثال ..
 ٥١٢ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ..

سورة الإسراء

وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا . ٣٤٦ ، ٧٧٠
 ولا تقف ما ليس لك به علم .. ٤٢٨
 ومن الليل فتجهد به نافلة لك عسى أن يعثك ربك مقامًا محمودًا ٧٠٤
 قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربُّ السموات والأرض بصائر .. ٢٤٢ ، ٢٤٩

سورة الكهف

ما لهم به من علم ولا بآبائهم .. ٥
 ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربُّك أحداً ٧٦٨
 قال أرئيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا
 الشيطان أن أذكره ٧٥١
 الذين كانت أعينهم في عطاءٍ عن ذكرى ٧٦٥
 قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر .. ٤٩٥

سورة مريم

فإما نرين من البشر أحداً فقولي إني نذرتُ للرحمن صوما .. ٥٠٥
 وإن منكم إلا واردها .. ٦٧٥ ، ٦٧٦ ،
 ٦٩٧

سورة طه

الرحمن على العرش استوى ٩٦ ، ١٣٦ ،
 ٤٥٦ ، ٤٥٨ ،
 ٤٨١ ، ٥٥٩ ،
 ٥٦٠ ، ٥٦١ ،

٥٦٤ ، ٥٦٢

٥٦٥ ، ٦٢٤

٦٢٧ ، ٦٢٩

٤٩٨

وأنا اخترتك فاسمع لما يوحى .

٥١٥

إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ..

٥١٥

إن الساعة آتية أكاد أخفيها ..

٧٦٠

اذهب إلى فرعون إنه طغى .

٥٩٤

وألقيت عليك محبة مني ..

٨٤٣

فقلوا له قولاً لنا ..

٥٩٤

قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى .

٥٣٠

ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ..

٧٥١

قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري .

٦٨٦

يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً .

٤٢٨

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً .

٧٧٠

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً .

سورة الأنبياء

ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحدثٍ إلا استمثموا وهم يلعبون . ٥٠١ ، ٥٠٧

٥٧٠ ، ٥٧٣

٥٧٤ ، ٥٧٥

٦٥٢

٥٠٦

لأهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا ..

٧٠٤

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون ..

٦٨١ ، ٧٠٠

ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ..

قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم .

ففهمناها سليمان ..

سورة الحج

ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض ..

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ..

سورة المؤمنون

فتقطعوا أمرهم بينهم زُبْرًا ..

ما اتخذ الله من وَلَدٍ وما كان معه من إله ..

فتعالى الله الملكُ الحق ..

سورة الفرقان

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا .

قل أَذِلَّكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ..

الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على

العرش .

سورة الشعراء

فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون .

قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين .

سورة النمل

وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ..

إني وجدت امرأة تملكهم وأتيت من كل شيء .. ٨٧٦ ، ٥٠٣

سورة القصص

إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا ٧٦٠
ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كُلُّ شيءٍ هالكٌ إِلَّا وجهه
٨٧٤ ، ٨٦١ ، ٨٧٧ ، ٨٧٦

سورة الروم

فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطرَ الناس عليها لا تبديل
لخلق الله .. ٣٣١
الله الذي خلقكم من ضعيفٍ ثم جعل من بعد ضعيفٍ قوة .. ٧٤٨

سورة لقمان

إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام .. ٨٣٦

سورة السجدة

تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . ٤٩٦
الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما .. ٥٠١
قل يتوفاكم ملك الموت .. ٨٥٣ ، ٧٥١

سورة الأحزاب

يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن .. ٩٥ ، ١٣٨
إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا . ٨٦٨

سورة سبأ

ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له .. ٢٣٤

سورة فاطر

من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب .. ٤٦٥ ، ٥٦٠ ،
٦٢٩

سورة يس

إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . ٥٠٤ ، ٧٧١

سورة ص

ياداعود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق .. ٥١٢
جنات عدن مفتحة لهم الأبواب . ٨٦٩
إن هذا لرزقنا ما له من نفاد . ٨٦٨
خلقت يدي . ٥٩٥

سورة الزمر

إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر . ٧٧٢
الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني .. ٤٩٦
الله يتوفى الأنفس حين موتها .. ٧٥١

سورة غافر

يوم هم بارزن لا يخفى على الله منهم شيء .. ٤٨٧
اليوم تجزي كل نفس بما كسبت .. ٧٦٨
وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من

حميم ولا شفيح يُطاع .
النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ..
٧٠٥ ، ٧٠٤
٦٧٠ ، ٦٦٩

سورة فصلت

ثم استوى إلى السماء وهي دخانٌ ..
فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ..
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ...
وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا
مجلودكم .
ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دارٌ الخلد ..
٥١٣
٧٤٨
٥١٣
٨٤٤
٨٦٧

سورة الشورى

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
٩١ ، ١٣٥ ،
٤٢٨ ، ٤٣٠ ،
٤٥٥ ، ٥٠٤ ،
٥١٨ ، ٥٤٧ ،
٥٥٣ ، ٥٨٦ ،
٥٩٣ ، ٦٠٣ .
وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ..
وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ..
٥٣٤
١٥٧ ، ٥٠٢ .

سورة الزخرف

إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ..
٤٢٦ ، ٥٠٢ ،
٥٧١ ، ٥٧٤ .
سبحان رب السموات والأرض عما يصفون .
٤٧٠

سورة الأحقاف

- ٢٢٢ ولكل درجات مما عملوا ..
٥٠٣ تُدمر كُلُّ شيءٍ بأمر ربها ..

سورة محمد

- ٨٤٢ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم .

سورة الفتح

- ٢٢٢ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ..
٨٣٦ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ..
٤٧٨ محمد رسول الله .

سورة الحجرات

- ١٤٩ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ..
٢٢٠ قالت الأعراب آمنا ..
٢٣٧ يمينون عليك أن أسلموا ..

سورة ق

- ٧٦٨ ما يدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد

سورة الذاريات

- ٢٣٧ فما وجدنا فيها غير بيتٍ من المسلمين .
٧٥٨ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .

سورة الطور

- ٣٣٢ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون

وإن للذين ظلموا عذابًا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون . ٦٦٧ ، ٦٦٩ ،
٦٧٠ ، ٦٩٤

سورة النجم

ولقد رآه نزلةً أخرى . ٥٢٧
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا .. ٦٨٦

سورة القمر

حكمة بالغة فما تُننِ الثُّدُر . ٧٥٦
ففتحنأ أبواب السماء بجاءٍ مُنهمر . ٥٩٤

سورة الرحمن

الرحمنُ علم القرآن خلق الإنسان . ٤٩٧
كل من عليها فان . ٨٧٧ ، ٦٩٤

سورة الواقعة

لا مقطوعة ولا ممنوعة . ٨٦٨

سورة الحديد

هو الأول والآخر والظاهر والباطن .. ٨٦٦ ، ٨٦١
يوم يقول المنافقون والمنافقاتُ للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم .. ٥٧٩

سورة المجادلة

ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض . ٤٥٦ ، ٤٧٥ ،
٤٧٧ ، ٤٧٨ ،
٥٦٣ ، ٦٢٨

سورة الحشر

٤١٧

ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم

سورة التغابن

٧٤٨ ، ٧٤٩ ،

فاتقوا الله ما استطعتم ..

٧٦٤ ، ٧٦٧

سورة الطلاق

٧٥٦

الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ..

سورة التحريم

٥١٥

عسى ربّه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكُن ..

سورة الملك

٧٦١

تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج ..

٨٤١

ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

٦٢٥ ، ٦٣٠

أم آمنتُم مّن في السماء أن يُرسلَ عليكم حاصباً .

سورة القلم

٧٤٨

وغدوا على حردٍ قادرين .

٧٦٥

يوم يُكشف عن ساق ويُدعونَ إلى السجود فلا يستطيعون .

سورة الحاقة

٤٧٠

والملكُ على أرجائها ويحمل عرشَ ربك فوقهم يومئذِ ثمانية .

٧٦٢

كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية .

٦٤٧

فلا أقسم بما تُبصرون .

سورة المعارج

تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . ٤٦٥ ، ٦٢٩

سورة الجن

إلا بلاغًا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له ناز جهنم

٨٦٨

خالدين فيها أبدًا .

ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شي ٨٦١ ، ٨٧٤ ،

٨٧٥

سورة المزمل

٧٦٢

فعصى فرعون الرسول

إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وطائفة من الذين

٨٣٥

معك .

سورة المدثر

٤٨٩

إن هذا إلا قولُ البشر

سورة القيامة

٥٢٢ ، ٥٢١

وجوه يومئذٍ ناضرة .

٥٧٨ ، ٥٣٣

سورة الإنسان

٧٤٨

إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا .

سورة التكويد

٦٤٧

إنه لقول رسول كريم .

٩٣٣

٧٤٨

لمن شاء منكم أن يستقيم .

٧٥٢ ، ٧٤٨

وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين .

سورة الإنفطار

٨٤٩

وإن عليكم لحافظين .

سورة المطففين

٥٣٣ ، ٥٢٢

كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون .

سورة البروج

٤٧٠ ، ٤٥١

ذو العرش المجيد .

٤٥١

فعال لما يريد .

سورة البينة

٨٦٧

إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها .

* * * *

٢- فهرس الأحاديث

- ٧٤٥ أجعلتني لله عدلاً ؟ بل ما شاء الله وحده .
- ٢٩ أجل ! لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول . .
- ٢٣٤ إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ ...
- ٥٢١ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ ...
- ٨٥٤ إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ
- ٨٥٥ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ ...
- ٤٩٧ إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ : أَغُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ ...
- ٣٤٦ أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ شَيْئاً ...
- ٨٥٣ أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ...
- ٦٨٦ أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ...
- ٥١٤ أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا ...
- ٣٤٢ ، ٢٢٠ أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...
- ٢٣٦ ، ٢٢١ أَمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ : وَهَلْ تَذُرُونَ ...
- ٤٢٥ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ ...
- ٦٨٢ أَنَا فَاعِلٌ ...
- ٢٩ إِنَّ أَنْفَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا ...
- ١٦٩ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ...
- ٥٣٤ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ...
- ١٥٦ إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ ...
- ٢٣٨ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَقَّهُ مِنَ الزَّهْنِ ...
- ٧٤٦ إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ

- ٢٧ إنه لم يكن نبيّ قبلي إلا كان حقاً عليه
- ٢٢١ إِيْمَانٌ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ
- ١٥٩ احتج آدم وموسى
- ٨٦٥ اطلّعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء
- ٢٢٨ الإِيْمَانُ بِضَعٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا ...
- ٦٧١ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ...
- ٢٩ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرَّغْبِ ...
- ٢٣٦ نُبِيِّ الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...
- ٤٦٦ يَتَنَمَّ جَارِيَةٌ لِي تَزْعِي غُنَيْمَاتٍ لِي ...
- ٤٩٨ يَتَنَمَّ جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ ...
- ٦٧٧ ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَنَسِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ ...
- ٤١٨ حُبِّكَ إِثَّاها أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ
- ٥٧ حديث الرايات السود
- ٤٧ ، ٣١ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ ...
- ٧٣ رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ
- ٢٠٨ سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر
- ٦٨٧ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي
- ٦٧٠ صَدَقْنَا ، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا
- ٤١٨ ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُتُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ
- ٦٧٨ عَلَى الصِّرَاطِ
- ٣١ عَلَيْكُمْ بِشِئْتِي وَشِئَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّدِينَ عَضُوا
- ٧٤ غَلَطَ الْقُلُوبِ وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْإِيْمَانُ ...

- ٦٨٧ فَيُشْفَعُ الشَّيْطَانُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ
 ٦٧٧ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ ...
 ٢٥٨ قولوا لا إله إلا الله تفلحوا
 ٧٤٤ كتب الله مقادير الخلائق قبل أن ...
 ٣٣١ كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه ...
 ٨٣٨ ، ٧٤٤ كُلُّ يَقْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ
 ٦٨١ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ..
 ٨٣٩ لا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ
 ٦٧٥ لا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابٍ ...
 ٤٥ لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة ...
 ٢٨ لقد تركتم على البيضاء ، ليلها كنهارها
 ٦٨٩ لَيَصْبِينَ أَقْوَامًا سَفَعَ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً
 ٤٧١ مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ ...
 ٧٣ مِنْ هَا هُنَا جَاءَتْ الْفِتْنُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ
 ٧٣ هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا ، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا ، مِنْ حَيْثُ ...
 ٥٢٢ هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ...
 ٧٦٠ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ ...
 ٧٦٨ يَا عِبَادِي ! إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ...
 ٤٩٨ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاءَ غُرُلَا ...
 ٢٥٨ ، ٢٢٨ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ ..
 ٦٧٦ يَرُدُّ النَّاسُ النَّارَ ، ثُمَّ يَصُدُّونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ

٣- فهرس الفرق والطوائف

١٧٢	الإباضية
١٨١	الأشاعرة
٣٩٧	البراهمة
١٧٧	الرافضة
١٧٥	الزيدية
٨٥	الشمسية
٣٩٧	الصابئة
١٤٤	الفلاسفة
٢٦٩	الكلائية
١٩١	الماتريدية
١٦٨	المعتزلة
٣٩٨	الهندوس

* * * *

فهرس المصطلحات والغريب

٢٨٤	الزئار
٥٨٤	الصفات الاختيارية
٦٠٢	الصفات الاختيارية اللازمة
٦٠٢	الصفات الاختيارية المتعدية
٥٤٣	الصفات الذاتية
٥٨٤	الصفات المعنوية
٢٨٤	الغيار
٤٣٤	تعدد القدماء
٣٣١	جدعاء
٣٣١	جمعاء
١٢٦	خزاج
٦٧٧	خطاطيف
١٤١ ، ١٨٢ ،	دليل الأعراض وحدوث الأجسام
١٩٣ ١٨٤	
٢٢٧	سكنجين
٦١	سموراً
٨٠	صفات إضافية
٨٠	صفات سلبية
٨٠	صفات مركبة
٦٧٧	مذخضة

٩٣٩

٦٧٧

١١٤

٦٧٧

٦٧٧

١٢٦

١١٠

مُفْلَطَحَةٌ

نجم

وَحْسَكَةٌ

وَكَلَالِيْبُ

وَلَاجٌ

وَلَنَا

* * * *

ه ثبت المصادر والمراجع

(أ)

- ١- الآمدي وآراؤه الكلامية ، لحيسن الشافعي . دار السلام ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ .
- ٢- الإباضية عقيدة ومذهباً ، لصابر طعيمة . دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٣- الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . تحقيق : بشير محمد عيون . مكتبة المؤيد ، الرياض ، ١٤١٣ هـ .
- ٤- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، لعبيد الله بن محمد بن بطة العكبري . تحقيق : رضا بن نعيان المعطي ، وعثمان عبد الله الأثيوبي ، ويوسف بن عبد الله الوابل . دار الراية الرياض . ١٤١٥ هـ .
- ٥- الإبتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، وبهامشه : إعجاز القرآن للباقلاني . دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٦- اجتماع الجيوش الإسلامية لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية . تحقيق : عواد المعنق . مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٥ هـ .
- ٧- الإحكام في أصول الأحكام ، على بن أبي علي الآمدي . مطبعة صبيح ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .
- ٨- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥ هـ .
- ٩- الأربعين في أصول الدين ، لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي . مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حذر آباد دكن . ١٣٥٣ هـ .
- ١٠- الإرشاد لأبي المعالي عبد الملك الجويني . تحقيق : أسعد تميم . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- ١١- أساس التقديس في علم الكلام ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي . مؤسسة الكتب الثقافية ،

بيروت ، ١٤١٥ هـ .

١٢- الاستغاثة في الردّ على البكري ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية . تحقيق : عبد الله السهيلي . دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٧ هـ .

١٣- الاستقامة ، لأحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية . تحقيق : محمد رشاد سالم . دار الهدى النبوي ، مصر ، ١٤٢٠ هـ .

١٤- الأسماء والصفات ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي . مكتبة السوادي للتوزيع ، جدة ، ١٤١٣ هـ .

١٥- الإصالة في تمييز الصحابة ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني . تحقيق : عادل الموجود . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .

١٦- الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والردّ عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، لعبد القادر بن محمد صوفي . مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة ، ١٤١٨ هـ .

١٧- الأصول من الكافي ، لمحمد بن يعقوب الكليني . تعليق : علي أكبر الغفاري . دار الكتاب الإسلامية ، طهران ، ١٣٨٨ هـ .

١٨- أصول الدين ، لأبي يسر البزدوي . تحقيق : هانز ييترنس . مطبعة عيسى باي حلي ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .

١٩- أصول الدين ، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي . دار الصادر ، بيروت (مصورة من الطبعة التركية ، ١٣٤٦ هـ) .

٢٠- أصول السنة ، للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : الوليد بن محمد سيف النصر . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ .

٢١- أصول السنة ، لمحمد بن عبد الله ابن أبي زمنين . تحقيق : عبد الله بن محمد البخاري . مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة ، ١٤١٥ هـ .

٢٢- أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة ، لعائشة يوسف المناعي . دار الثقافة ، قطر ، ١٤١٢ هـ .

- ٢٣- أطلس الوطن العربي والعالم . الناشر : مؤسسة جيوبروجكتس ، بيروت ، ١٩٩١ م .
- ٢٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد أمين بن محمد مختار الشنقيطي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .
- ٢٥- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تحقيق : أحمد بن إبراهيم دار الفضيلة ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ .
- ٢٦- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي . مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة (بدون تاريخ) .
- ٢٧- الأعلام للزركلي . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- ٢٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . تحقيق : عبد الرحمن الوكيل . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (بدون تاريخ) .
- ٢٩- الاقتصاد في الاعتقاد ، لأبي حامد محمد الغزالي . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .
- ٣٠- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ، لمحمد بن الحسن الطوسي . تحقيق : جمعية منتدى النشر ، مطبعة الآداب ، النجف ، العراق . ١٣٩٩ هـ .
- ٣١- الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي ، لـ د . / محمد الحاج حسن الكمالي . دار الحكمة اليمانية ، صنعاء . ١٩٩١ هـ .
- ٣٢- الانتصار والردّ على ابن الروندي ، لعبد الرحيم بن محمد الحياط . تحقيق : د . / نبيرج . دار الندوة الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- ٣٣- الأنساب ، لعبد الكريم بن محمد السمعاني . تحقيق : محمد أحمد حلاق . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٩ هـ .
- ٣٤- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، لأبي بكر بن الطيب الباقلاني . تحقيق : عماد الدين حيدر ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .
- ٣٥- إثبات الحق على الخلق في ردّ الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد ، لمحمد بن المرتضى ابن

الوزير اليماني . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧ هـ .

٣٦- الإيمان ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . خرّج أحاديثه : محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .

(ب ، ث)

٣٧- بدائع الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

٣٨- البداية والنهاية ، لإسماعيل بن كثير . تحقيق : عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون . دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .

٣٩- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، لأبي البعاس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم . دار القاسم ، الرياض ، ١٤٢١ هـ .

٤٠- - ت -

٤١- تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ، لعبد اللطيف الحفظي . دار الأندلس ، جدة ، ١٤٢١ هـ .

٤٢- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي . تحقيق : عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

٤٣- تاريخ بغداد ، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان بدون تاريخ .

٤٤- تاريخ ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن خلدون . تحقيق : خليل شحادة . دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .

٤٥- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء الدين العمري . دار الطيبة ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ .

٤٦- تاريخ دمشق ، لعلي بن حسن ابن عساكر . تحقيق : محب الدين العمري . دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

٤٧- تاريخ الطبري ، المعروف بتاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . تحقيق : محمد إبراهيم . روائع التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

- ٤٨- تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن: الزيدية، لأحمد حسين شرف الدين. الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ (لم يذكر مكان الطبع).
- ٤٩- التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٠- تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ.
- ٥١- تبصرة الأدلة في أصول الدين، لأبي معين ميمون بن محمد النسفي. تحقيق: كلود سلامة. المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الإسلامية، دمشق، ١٩٩٣ م.
- ٥٢- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر. تحقيق: محمد زاهد الكوثري. دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- ٥٣- تجديد التفكير الديني في الإسلام، لمحمد إقبال. تعريب: عباس محمود. لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٥ م.
- ٥٤- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لمحمد بن أحمد البيروني. مطابع مجلس دائرة المعارف الإسلامية، هيدرabad، الهند. ١٣٧٧ هـ.
- ٥٥- التدمرية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. تحقيق: محمد السعوي. مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١ هـ.
- ٥٦- تذكرة الحفاظ، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٧- التسعينية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. تحقيق: محمد العجلان. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. ١٤٢٠ هـ.
- ٥٨- تفسير القرآن العظيم، لعلماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير. دار الخير، بيروت. ١٤١٢ هـ.
- ٥٩- تفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. الطبعة الثالثة. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٨ م.
- ٦٠- تفسير القرطبي: انظر (الجامع لأحكام القرآن).

- ٦١- التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي . مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ .
- ٦٢- تلخيص البايين في ذكر فرق أهل الأديان ، لعلي بن محمد الفخري . تحقيق : رشيد البندر . دار الحكمة ، لندن ، ١٤١٥ هـ .
- ٦٣- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني . تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت . ١٤١٤ هـ .
- ٦٤- التمهيد في أصول الدين ، لأبي معين النسفي . تحقيق : د . عبد الحي القبابل . دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .
- ٦٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر بن عبد البر . تحقيق : سعيد أحمد أعرب . طار الطبية ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ .
- ٦٦- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي . تحقيق وتعليق : محمد زاهد الكوثري . مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة . ١٣٧٨ هـ .
- ٦٧- تهذيب الآثار ، لمحمد بن جرير الطبري . تحقيق : ناصر الرشيد . مكة .
- ٦٨- تهذيب التهذيب ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني . تحقيق : إبراهيم الزريق . مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- ٦٩- الثلاثون مسألة ؛ مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم .

(ج ، ح ، خ)

- ٧٠- الجانب الاعتزالي عند الجاحظ ، لبلقاسم الغالي . دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
- ٧١- الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد القرطبي . تحقيق : عبد الرزاق المهدي . دار الكتاب العربي بيروت . ١٤١٨ هـ .
- ٧٢- جامع بيان العلم وفضله ، ليوסף بن عبد الله ابن عبد البر . تحقيق : أبوالإشبال الزهيري . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ .
- ٧٣- جامع الرسائل ، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية . تحقيق : محمد رشاد سالم . دار العطاء

الرياض ، ١٤٢٢ هـ .

٧٤- جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية ، لمحمد أحمد لوح . دار ابن عفان ، الخبر ١٤١٨ هـ .

٧٥- جهنم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي ، لخالد العسلي . المكتبة الأهلية ، بغداد . ١٩٧٥ م .

٧٦- الجوهر النظام في علمي الأديان والأحكام ، لعبد الله بن حميد سلوم السالمي الإباضي . مطبعة النصر ، عمان ، ١٣٩٤ هـ .

٧٧- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . تحقيق : يوسف علي بدوي . دار ابن كثير ، دمشق . ١٤٢٠ هـ .

٧٨- حاشية الإمام البيهقوري على جوهرة التوحيد ، لإبراهيم البيهقوري . تحقيق : علي جمعة الشافعي دار السلام ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ .

٧٩- حاشية الدسوقي على أم البراهين ، لمحمد الدسوقي . مطبعة دار إحياء الكتب العربي ، لبنان ، بدون تاريخ .

٨٠- الحجة في بيان المحجة ، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التميمي الإصبهاني . تحقيق : محمد المدخلي ومحمد أبو رحيم . دار الراية ، الرياض ، ١٤١٩ هـ .

٨١- الحموية ، أو: الفتاوى الحموية الكبرى ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تحقيق : حمد التويجري . دار الصميعي ، الرياض ، ١٤١٩ هـ .

٨٢- الحور العين ، لنشوان بن سعيد بن نشوان الحميري . تحقيق : كمال مصطفى . مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٨٣- الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار ، لـ د . / غالب بن علي العواجي . دار لينة للنشر والتوزيع ، دمنهور ، ١٤١٧ هـ .

٨٤- الحيوان ، لعمر بن بحر الجاحظ . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . دار إحياء التراث ، لبنان ، ١٩٦٩ هـ .

٨٥- الخطط للمقرئزي ؛ المواعظ والاعتبار .

- ٨٦-؟ خلق أفعال العباد والردّ على الجهمية وأصحاب التعطيل ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .
تحقيق : سالم بن أحمد بن عبد الهادي السلفي . مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ .
٨٧- الخوارج أول فرقة في تاريخ الإسلام ، لـ د . / ناصر بن عبد الكريم العقل . دار الوطن ، الرياض ،
١٤١٧ هـ .

(د ، ذ ، ر)

- ٨٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف سمين الحلبي . تحقيق : أحمد الخراط ،
دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٦ هـ .
٨٩- درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تحقيق : محمد رشاد
سالم . تفاصيل الطبع غير موجودة .
٩٠- دراسات في الأواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ، لـ د . / ناصر بن عبد الكريم العقل . دار
اشبيليا ، الرياض ، ١٤١٨ هـ .
٩١- دراسات في الفكر العربي ، لماجد فخري . دار التهاد للنشر ، بيروت لبنان ١٩٧٧ م
٩٢- الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم . المكتب الإسلامي ، بيروت ،
١٣٨٥ هـ .
٩٣- ذمّ الكلام وأهله ، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي . تحقيق : عبد الله بن محمد
الأنصاري . مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة . ١٤١٩ هـ .
٩٤- الردّ على الجهمية والزنادقة ، للإمام أحمد بن حنبل . تحقيق : عبد الرحمن عميرة . دار اللواء ،
الرياض ، ١٤٠٢ هـ .
٩٥- الردّ على الجهمية لابن بطة ؛ الإبانة له .
٩٦- الردّ على الجهمية ، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي . تحقيق : بدر بن عبد الله البدر . دار ابن
الأثير ، الكويت . ١٤١٦ هـ .
٩٧- الردّ على ابن الراوندي ، أو : كتاب الانتصار ، لأبي الحسين عبد الرحيم الخياط . تحقيق : دكتور

- نيرج . مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
- ٩٨- الردّ على من قال بفناء الجنة والنار ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تحقيق : محمد بن عبد الله السمهري . دار بلنسية ، الرياض ، ١٤١٥ هـ .
- ٩٩- رسائل الجاحظ ، تحقيق : حسن السندوي . المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٣٣ م .
- ١٠٠- رسائل العدل والتوحيد ، جمع وتحقيق : محمد عمارة . دار الهلال ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ١٠١- الرسالة إلى أهل الثغر ، لأبي الحسن الأشعري . تحقيق : محمد السيد الجليلند . دار اللواء ، الرياض ، ١٤١٠ هـ .
- ١٠٢- رسالة السجزي إلى أهل زيد في الردّ على من أنكر الحرف والصوت ، لأبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي . تحقيق ودراسة : محمد باكريم باعبدالله . دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٤ هـ .
- ١٠٣- رسالة في أنّ القرآن غير مخلوق ، لإبراهيم بن إسحاق الحربي . تحقيق : علي بن عبد العزيز الشبل . دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٦ هـ .
- ١٠٤- الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني . تحقيق : محمد بن سعيد القحطاني . دار ابن الجوزي ، الدمام ، ١٤١٩ هـ .
- ١٠٥- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ، لحمد بن إسماعيل الصنعاني . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي ، بيروت . ١٤٠٥ هـ .
- ١٠٦- زاد المسير في علم التفسير ، لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٠٧- الزيدية : نشأتها ومعتقداتها ، للقاضي إسماعيل الأكوخ دار الفكر المعاصر بيروت (١٤١٣ هـ)

(س ، ش)

- ١٠٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض . ١٤١٢ هـ .
- ١٠٩- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، لمحمد ناصر الدين الألباني . مكتبة المعارف ، الرياض .

١٤١٢ هـ .

١١٠- سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . تحقيق : أحمد شاكر . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ .

١١١- سنن أبي دواد ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . دال لإحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

١١٢- سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه . تحقيق : خليل مأمون الشياح . دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .

١١٣- سنن النسائي ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي . تحقيق : مكتب تحقيق التراث الإسلامي . دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .

١١٤- السنة ، لأبي بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم . تحقيق وتخریج : د . / باسم بن فيصل الجوابرة . دار الصميعي ، الرياض ، ١٤١٩ هـ .

١١٥- السنة ، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال . تحقيق : د . / عطية بن عتيق الزهراني . دار الراية للنشر ، الرياض ، ١٤١٥ هـ .

١١٦- السنة ، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد ابن حنبل . تحقيق : د . / محمد بن سعيد القحطاني . دار الرمادي للنشر ، الدمام ، ١٤١٦ هـ .

١١٧- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ١٤١٧ هـ .

١١٨- الشامل في أصول الدين ، لأبي المعالي عبد الملك الجويني . تحقيق : د . / علي نشار . دار المعارف الاسكندرية ، ١٩٦٩ م .

١١٩- الشفاعة عند أهل السنة ، لـ د . / ناصر بن عبد الرحمن الجديد . دار أطلس للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٧ هـ .

١٢٠- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . تحقيق : مصطفى الشلبي . مكتبة السوادي ، جدة ، ١٤١٥ هـ .

- ١٢١- شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد . تحقيق : عبد الكريم عثمان . مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ .
- ١٢٢- شرح السنن ، لحسين بن مسعود البغوي . تحقيق : زهير الشاويش . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٢٣- شرح السنة ، لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري . تحقيق : د . / محمد بن سعيد القحطاني . مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ .
- ١٢٤- شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتزاني . تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد . المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٤٢١ هـ .
- ١٢٥- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي . خرّج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي ، بيروت . الطبعة التاسعة ، ١٤٠٨ هـ .
- ١٢٦- شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، لملا علي قارئ . تحقيق : مروان محمد الشعار . دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .
- ١٢٧- شرح المقاصد ، لسعود بن عمر التفتزاني . تحقيق : إبراهيم شمس الدين . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ .
- ١٢٨- شرح المواقف ، لعلي بن محمد الجرجاني . تحقيق : عبد الرحمن عميرة . دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .
- ١٢٩- الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر ، المنسوين لأبج حنيفة النعمان بن ثابت . د . / محمد بن عبد الرحمن الحميس . مكتبة الفرقان ، عجمان ، ١٤١٩ هـ .
- ١٣٠- الشريعة ، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري . تحقيق : الوليد بن محمد الناصر . مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ .

(ص ، ض)

١٣١- الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة . تحقيق :

عصام فارس الحرساني . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٤ هـ .

١٣٢- صحيح البخاري = فتح الباري .

١٣٣- صحيح مسلم = المنهاج .

١٣٤- صحيح الوايل الصّيب من الكلم الطيّب ، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية .

حقّقه ونقّحه : سليم بن عيد الهلالي . دار ابن الجوزي ، دمام ، ١٤١٦ هـ .

١٣٥- الصفدية لأحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية . تحقيق : محمد رشاد سالم . دار الهدى النبوي ،

القاهرة ، ١٣٢١ هـ .

١٣٦- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . تحقيق : علي

دخيل الله . دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٨ هـ .

١٣٧- صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام ، لجلال الدين السيوطي . تعليق : علي سامي النشار

دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

(ط ، ظ)

١٣٨- طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى . دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

١٣٩- طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهّاب بن علي السبكي . تحقيق : محمود محمد

الطناحي . مطبع عيسى بابي حلبي وشركاه ، مصر ، بدون تاريخ .

١٤٠- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد . دار لإحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .

١٤١- ظاهرة الإرجاء ، لسفر الحوالي . دار الكلمة ، هولاند ، ١٤٢٠ هـ .

(ع ، غ)

١٤٢- العقائد ، لعزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام . تحقيق : بشار عبد الوهّاب الجاني . دار البشائر

الإسلامية ، الأردن ، ١٤١٤ هـ .

١٤٣- عقائد الثلاث والسبعين فرقة ، لأبي محمد اليميني . تحقيق : محمد بن عبد الله الغامدي . مكتبة

العلوم والحكم ، ١٤٢٢ هـ .

١٤٤- العقائد النسفية ؛ انظر : شرح العقائد النسفية ، للتفتزاني .

١٤٥- عقيدة السلف أصحاب الحديث ، لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني . تحقيق : بدر بن عبد الله البدر . مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة ، ١٤١٥ هـ .

١٤٦- العقيدة النظامية ، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني . تحقيق : محمد زاهد الكوثري . المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٤١٢ هـ .

١٤٧- الغنية في أصول الدين ، لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري ، المعروف بالمتولي الشافعي . تحقيق : عماد الدين حيدر . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .

١٤٨- الغنية لطالبي طريق الحق ، لعبد القادر الجيلاني . تحقيق : عبد الكريم العجم . دار الصادر ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .

(ف ، ق ، ك)

١٤٩- فتح الباري بشرح البخاري ، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني . المكتبة السلفية ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ .

١٥٠- الفتح الإسلامي عبر العصور ، لعبد العزيز بن إبراهيم العمري دار إشبيلية ، الرياض ، ١٤١٩ هـ .

١٥١- الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي . تحقيق : إبراهيم رمضان . دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .

١٥٢- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، لغالب بن علي العواجي . دار لينة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ .

١٥٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري . تحقيق : محمد إبراهيم نصر ، وعبد الرحمن عميرة . دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

١٥٤- الفصول المهمة في أصول الأئمة ، للحرّ العاملي . تفاصيل الطبع غير موجودة .

١٥٥- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، للقاضي عبد الجبار ، وأبي القاسم البلخي . جمع وتحقيق : فؤاد

- سيد . الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٤ م .
- ١٥٦ . الفقه الأبسط ، لأبي حنيفة : انظر الشرح الميسر .
- ١٥٧ . الفقه الأكبر ، لأبي حنيفة : انظر الشرح الميسر .
- ١٥٨ . في علم الكلام ، لأحمد صبحي . مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ م .
- ١٥٩ . فيصل التفرقة بين الأيمان والزندقة ، لأبي حامد محمد الغزالي . مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ .
- ١٦٠ . القاموس المحيط للفيروزبادي . دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٩ م .
- ١٦١ . القدرية والمرجئة : نشأتها وأصولها ، لـ د . د . / ناصر بن عبد الكريم العقل . دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨ هـ .
- ١٦٢ . قصة الفلسفة لـ (ويل ديوارنت) ، ترجمة أحمد الشيباني دار القارئ العربي بيروت ، ١٤١٤ هـ
- ١٦٣ . القضاء والقدر في الإسلام ، لفاروق الدسوقي . دار الدعوة ، الإسكندرية ، ١٩٨١ م .
- ١٦٤ . القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ، لعبد الرحمن بن صالح المحمود . دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨ هـ .
- ١٦٥ . قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، لجلال الدين السيوطي . تحقيق : خليل الميس . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
- ١٦٦ . القول المسدّد في الذبّ عن المسند للإمام أحمد ، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ .
- ١٦٧ . الكامل في ضعفاء الرجال ، لعبد الله بن عدي . دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ١٦٨ . كبرى اليقينيات ، لمحمد سعيد رمضان البوطي . دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ١٤١٩ هـ .
- ١٦٩ . كتاب الاعتقاد ، لمحمد ابن القاضي أبي يعلى الحنبلي . تحقيق : محمد الخميس . دار الأطلس الخضراء ، الرياض ، ١٤٢٣ هـ .
- ١٧٠ . كتاب الانتصار والرّد على ابن الروندي الملحد ، لأبي الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط .

- تحقيق : د . / نبيرج . دار الندوة الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- ١٧١- كتاب الإيمان ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلام ، بيروت . ١٤٠٩ هـ .
- ١٧٢- كتاب الإيمان ، لأبي عبيد القاسم بن سلام . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٧٣- كتاب التوحيد ، لأبي منصور الماتريدي . تحقيق : فتح الله خليف . دار الجامعات المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ١٧٤- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة . دراسة وتحقيق : د . / عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان . مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٤ هـ .
- ١٧٥- كتاب الحيدة ، لعبد العزيز بن يحيى الكناني . تحقيق جميل صليبا دار صادر بيروت ، ١٤١٢ هـ .
- ١٧٦- كتاب السنة ، لعبد الله بن أحمد : انظر السنة له .
- ١٧٧- الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن ، لعمر بن أحمد بن شاهين . تحقيق عبد الله بن محمد البصيري . مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة ، ١٤١٦ هـ .
- ١٧٨- كتاب المحصل لأفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين ، لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي . تحقيق : د . / حسين أتاوي . مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٣١١ هـ .
- ١٧٩- الكشف ، لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري . تحقيق : عبد الرزاق المهدي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .

(ل)

- ١٨٠- اللباب في تهذيب الأنساب ، لعز الدين ابن الأثير الجزري . دار الصادر ، بيروت .
- ١٨١- لسان العرب ، لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور . دار الصادر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ .
- ١٨٢- لسان الميزان ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . تحقيق : غنيم بن عباس غنيم . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ .

١٨٣. لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة ، لعبد الملك الجويني . تحقيق : فقيه حسين محمود .
المؤسسة المصرية لعامة التأليف والأنباء والنشر ، دار المصرية . ١٣٨٥ هـ .
١٨٤. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، لأبي الحسن الأشعري . تحقيق : حمودة غرابة . المكتبة
الأزهرية للتراث ، القاهرة (بدون تاريخ) .
١٨٥. لمعة الاعتقاد والهادي إلى سبيل الرشاد ، لعبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي . تحقيق : بدر البدر
دار ابن الأثير ، الكويت ، ١٤١٦ هـ .
١٨٦. لوامع الأنوار البهية ، لمحمد السفاريني الحنبلي . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١١ هـ .

(م)

١٨٧. الماتريدي وموقفهم من الأسماء والصفات ، لشمس السلفي الأفغاني . تفاصيل الطبع غير
موجودة ، ١٤١٩ هـ .
١٨٨. متشابه القرآن ، لعبد الجبار بن أحمد الهمذاني . تحقيق : عدنان زر زور . دار التراث ، القاهرة .
١٨٩. المحصول في علم الأصول ، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي . تحقيق : طه جابر العلواني .
مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٣٠١ هـ .
١٩٠. مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي ، لمحمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي ، بيروت ،
١٤١٣ هـ .
١٩١. مختصر المنتهى ، لابن الحاجب . مطبعة العالم ، إستانبول . بدون تاريخ .
١٩٢. مسائل الإمام أحمد ، لأسحاق بن إبراهيم . تحقيق : زهير شاويش . المكتب الإسلامي بيروت .
١٩٣. مسند الإمام أحمد ، للإمام أحمد بن حنبل . تحقيق : عبد المحسن التركي . مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، ١٤١٦ هـ .
١٩٤. مسند أبي داود الطيالسي . دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .
١٩٥. مشكاة الأنوار لأبي حامد الغزالي . تحقيق : أبو العلا العفيفي . القاهرة ، ١٩٦٤ م .

- ١٩٦- مشكل الحديث وبيان، لأبي بكر بن فورك . تحقيق : موسى محمد علي . دار الكتاب الحديثية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ١٩٧- معارج القدس ، لأبي حامد الغزالي . مطبعة عزت الحسيني ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ .
- ١٩٨- المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ١٩٩- المعجم الوسيط ، لجماعة من العلماء تحت إشراف حسن علي عطية ، ومحمد أمين . المكتبة الإسلامية ، إستانبول ، بدون تاريخ .
- ٢٠٠- المحصّل ، للرازي ، انظر : كتاب المحصّل لأفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين .
- ٢٠١- محنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي . تحقيق : د . / عبد الله التركي . هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .
- ٢٠٢- مجموعة التوحيد ، لنخبة من العلماء . المكتبة السلفية ، المدينة (بدون تاريخ) .
- ٢٠٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد . ١٤١٨ هـ .
- ٢٠٤- المحلى ، لعلي بن محمد بن حزم . تحقيق : أحمد شاكر . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٢٠٥- المحيط بالتكليف ، للقاضي عبد الجبار . تحقيق : عمر سيد عزمي . الدار المصرية للتأليف والترجمة (بدون تاريخ) .
- ٢٠٦- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن القيم ، لإبراهيم الموصلي . تحقيق : سيد إبراهيم . دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٢ هـ .
- ٢٠٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . تحقيق : محمد المعتصم البغدادي . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .
- ٢٠٨- مذاهب الإسلاميين ، لـ د . عبد الرحمن بدوي . دال العالم للملايين ، بيروت . ١٩٩٧ م .

٢٠٩. مسائل الإمام أحمد ، رواية أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني . الناشر : محمد أمين دمج ، بيروت ، لبنان (بدون تاريخ) .
٢١٠. المسامرة شرح المسامرة ، للكمال بن أبي شريف ابن الهمام مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .
٢١١. المستصفى من علم الأصول ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي . تحقيق : محمد سليمان الأشقر . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .
٢١٢. مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
٢١٣. مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم (المعروف بـ : الثلاثين مسألة) ، لأحمد بن الحسن الدضايف الزبيدي . تحقيق : محمد عبد السلام كفاقي . جامعة بيروت العربية ، ١٩٧١ م .
٢١٤. معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين ، لـ محمد بن عبد الوهاب العقيل . أضواء السلف ، الرياض ، ١٤٢٢ هـ .
٢١٥. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، للحافظ بن أحمد الحكمي . تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر . دار ابن القيم ، الدمام ، ١٤١٥ هـ .
٢١٦. معجم أعلام الإباضية ، تأليف جماعة من الباحثين . دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
٢١٧. المغني في أبواب العدل والتوحيد ، للقاضي عبد الجبار . تحقيق : عبد الحليم المحمود . طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٢١٨. المطالب العالية من العلم الإلهي ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي . تحقيق : محمد عبد السلام الشاهين . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
٢١٩. المعتزلة ، لزهدي جار الله . مؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٤١٠ هـ .
٢٢٠. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، لعواد بن عبد الله المعتق . مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٧ هـ .
٢٢١. معجم البلدان ، لياقوت بن عبد الله الحموي . تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي . دار إحياء

التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧ هـ .

٢٢٢- المغرب في ترتيب المغرب ، لأبي الفتح ناصر الدين المطرزي . تحقيق : محمود فاخوري . مكتبة أسامة بن زيد ، حلب .

٢٢٣- مفردات ألفاظ القرآن ، للحسين بن محمد بن مفضل ، المعروف بالراغب الأصبهاني . تحقيق : صفوان عدنان داودي . دار القلم ، دمشق ، ١٤١٨ هـ .

٢٢٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . تحقيق : هلموت رتير . دار النشر فرانز شتاينر ، فيسبادن (ألمانيا) ، ١٤٠٠ هـ .

٢٢٥- مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها ، لجابر إدريس علي . أضواء السلف الرياض ، ١٤٢٢ هـ .

٢٢٦- مقالة التعطيل والجعد بن درهم ، لمحمد بن خليفة التميمي . أضواء السلف الرياض ، ١٤١٨ هـ .

٢٢٧- الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني . تحقيق وتعليق : أحمد فهمي محمد . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ .

٢٢٨- المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة . مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، ١٤١٤ هـ .

٢٢٩- مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة ، لموفق بن أحمد المكي . مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدرآباد دكن ، الهند ، ١٣٢١ هـ .

٢٣٠- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي . تحقيق : محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١ هـ .

٢٣١- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لأحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني . تحقيق : محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ .

٢٣٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، لمحيي الدين النووي . تحقيق : خليل مأمون شيحا . دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .

٢٣٣- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ، لخالد بن عبد اللطيف بن

- محمد نور . مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة ، ١٤١٦ هـ .
- ٢٣٤- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ، لعثمان بن علي حسن . مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٨ هـ .
- ٢٣٥- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، لمحمد أمين الشنقيطي . طباعة الجامعة الإسلامية .
- ٢٣٦- المهدي المنتظر في ضوء الآحاديث والآثار الصحيحة ، لـ د . / عبد العليم عبد العظيم البستوي . المكتبة المكية ، مكة ، ١٤٢٠ .
- ٢٣٧- المنية والأمل ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى . تحقيق : توما أرثلوا . طبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣١٦ هـ .
- ٢٣٨- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، لأحمد بن علي المقرئ . مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة بدون تاريخ .
- ٢٣٩- المواقف في علم الكلام ، لعبد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي . عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٢٤٠- موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، لعبد الرحمن بن صالح المحمود . مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٦ هـ .
- ٢٤١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . تحقيق : علي محمد البجاوي . دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٦٣ م .

(ن)

- ٢٤٢- نشأة الفكر الفلسفي ، لعلي سامي النشار . دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧ م .
- ٢٤٣- نقض تأسيس الجهمية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، انظر : بيان تلبيس الجهمية .
- ٢٤٤- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد ، لعثمان بن سعيد الدارمي . تحقيق : منصور بن عبد العزيز السماري . أضواء السلف ، ١٤١٩ هـ .
- ٢٤٥- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ، لمحمد الحمود النجدي . مكتبة الإمام الذهبي ،

الكويت، ١٣١٧ هـ .

٢٤٦- نهاية الأقدام في علم الكلام ، لعبد الكريم الشهرستاني . تحقيق : ألفرد جيوم . مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٤٧- النهاية في الفتن والملاحم ، لإسماعيل بن كثير . تحقيق : خليل مأمون شيحا . دار المعرفة ، بيروت ١٤٢٠ هـ .

(و)

٢٤٨- الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي . تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى . بيروت ، ١٤٢١ هـ .

المقالات

٢٤٩- رؤية النبي ﷺ لربه ، لأ. د. / محمد بن خليفة التميمي . في (مجلة الجامعة الإسلامية) ، العدد ١١٣ ، سنة ١٤٢١ ، ص ١١٣-٢٠٧ .

٢٥٠- الصفات الإلهية : تعريفها وأقسامها ، لأ. د. / محمد بن خليفة التميمي ، في (مجلة الجامعة الإسلامية) ، العدد ١١٢ ، سنة ١٤٢١ ، ص ٧٣-١٤٥ .

الكتب الأجنبية

* Great Books of the Western World Series . Editor-in-chief : Robert Macnair Hutchins . Encyclopaedia Britannica, inc . ١٩٧٧ CE .

* History of Philosophy, by F . Copleston . Image Books, Doubleday . New york . ١٩٧٤ .

* Introducing Philosophy, by Robert C . Solomon . Harcourt Brace and Company, Florida, USA ١٩٩٧ . CE .

* The Pre-Socratic Philosophers. b y Kathleen Freeman .
Oxford Press. London ١٩٤٦ . CE .

* The Laws of Plato . Translated and Edited b y Trevors J .
Saunders. Penguin Classics . London ١٩٧٩ . CE .

* Motion and Motion's God. b y Michael Buckle y . Princeton
Universit y Press. New Jersey ١٩٧٩ . CE .

* Orthodox Faith. b y Saint John of Damascus . Ed . B y
Frederic H . Chase. Jr) . The Fathers of the Church Series. v ٣٨ .
(New york . ١٩٥٨ .

* The Philosoph y of the Kalam. b y Harr y A . Wolfson .
Harvard Uni . Press. Cambride . ١٩٧٦ .

* Proofs for Eternity. Creation and the Existence of God in
Medieval Islamic and Jewish Philosophy. b y Herbert A .
Davidson . Oxford Universit y Press. New york . ١٩٨٧ .

* * * * *

فَهْرَسْتُ مَوْضُوعًا
الْجُزْءُ الثَّانِي

٥٣٧	الفصل الثاني : أثر هذه المقالات في الفرق الإسلامية
٥٣٩	المبحث الأول : أثرها على المعتزلة ومن وافقهم
٥٤٠	المطلب الأول : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بها في الصفات عموماً
٥٥٧	الخلاصة
٥٥٩	المطلب الثاني : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بها في صفتي العلوّ
٥٦٧	والاستواء
٥٦٩	الخلاصة
٥٦٩	المطلب الثالث : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بها في صفة الكلام
٥٧٦	الخلاصة
٥٧٧	المطلب الرابع : مدى تأثير المعتزلة ومن وافقهم بها في صفة الرؤية
٥٨٢	الخلاصة
٥٨٣	المبحث الثاني : أثرها على الأشاعرة والماتريدية
٥٨٤	المطلب الأول : مدى تأثير الأشاعرة والماتريدية بها في الصفات عموماً
٦١٣	الخلاصة
٦٢١	المطلب الثاني : مدى تأثير الأشاعرة والماتريدية بها في صفتي العلوّ
٦٤١	والاستواء
٦٤٢	الخلاصة
٦٤٢	المطلب الثالث : مدى تأثير الأشاعرة والماتريدية بها في صفة الكلام
٦٦٠	الخلاصة
٦٦٣	الباب الخامس : أثر مقالاته في مسائل يوم القيامة في الفرق الإسلامية

٦٦٥	الفصل الأول : مقالاته في مسائل يوم القيامة
٦٦٧	المبحث الأول : مقالته في عذاب القبر
٦٦٧	المطلب الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك
٦٦٩	المطلب الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها
٦٧٤	المبحث الثاني : مقالته في الصراط
٦٧٤	المطلب الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك
٦٧٥	المطلب الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها
٦٨٠	المبحث الثالث : مقالته في الميزان
٦٨٠	المطلب الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك
٦٨١	المطلب الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها
٦٨٤	المبحث الرابع : مقالته في الشفاعة
٦٨٤	المطلب الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك
٦٨٦	المطلب الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها
٦٩١	الفصل الثاني : أثر هذه المقالات في الفرق الإسلامية
٦٩٣	المبحث الأول : أثر مقالته على المعتزلة ومن وافقهم في عذاب القبر
٦٩٦	المبحث الثاني : أثر مقالته على المعتزلة ومن وافقهم في الصراط ...
٦٩٩	المبحث الثالث : أثر مقالته على المعتزلة ومن وافقهم في الميزان ...
٧٠٢	المبحث الرابع : أثر مقالته على المعتزلة ومن وافقهم في الشفاعة ...
٧٠٧	الخلاصة
٧٠٩	الباب السادس : أثر مقالته في القدر في الفرق الإسلامية .
٧١١	الفصل الأول : مقالته في القدر
٧١٣	المبحث الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك

٧١٣	المطلب الأول : بيان مقالة جهنم في القدر
٧١٨	المطلب الثاني : المسائل التي أثرت على جهنم في قوله في القدر ..
٧١٩	أولاً : إنكار الحكمة والتعليل
٧٢٢	ثانياً : التحسين والتقبيح العقليين
٧٢٤	ثالثاً : إنكار الأسباب والطبائع
٧٢٥	رابعاً : معنى الاستطاعة
٧٢٦	خامساً : جواز تكليف ما لا يطاق
٧٢٦	سادساً : تفسير الظلم المنزه عن الله
٧٢٩	سابعاً : الإرادة الإلهية هل تستلزم الرضا والمحبة ؟
٧٣١	المطلب الثالث : نشأة القول بالقدر في الإسلام
٧٣٦	المطلب الرابع : منشأ قول جهنم في القدر
٧٤١	المطلب الخامس : أدلة قول جهنم في هذه المسألة
٧٤٣	المبحث الثاني : نقد هذه المقالة والرد عليها
	المطلب الأول : عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر ونسبة
٧٤٣	أفعال العباد إليهم
٧٤٤	القسم الأول : ما يتعلق بالله جلا وعلا
٧٤٧	القسم الثاني : ما يتعلق بجانب العبد
	المطلب الثاني : عقيدة أهل السنة والجماعة في المسائل التي أثرت على
٧٥٥	جهنم في هذا الباب
٧٥٥	عقيدتهم في الحكمة والتعليل
٧٥٩	عقيدتهم في التحسين والتقبيح العقليين
٧٦١	عقيدتهم في الأسباب والطبائع

٧٦٤ عقيدتهم في الاستطاعة
٧٦٦ عقيدتهم في جواز تكليف ما لا يطاق
٧٦٨ عقيدتهم في تفسير الظلم
٧٧٠ عقيدتهم في الإرادة الإلهية
٧٧٤ المطلب الثالث : موقف أهل السنة من لفظ (الجبر)
٧٧٨ المطلب الرابع : تناقضات جهم بن صفوان في مقالته في الجبر
٧٧٩ الفصل الثاني : أثر هذه المقالة في الفرق الإسلامية
٧٨٢ المبحث الأول : أثر مقالة جهم في القدر على الأشاعرة
٧٨٣ المطلب الأول : قول الأشاعرة في القدر
٧٨٦ المطلب الثاني : تطور الأشاعرة في هذا المجال
٧٩١ المطلب الثالث : حقيقة (الكسب) عند الأشاعرة
 المطلب الرابع : أثر قولهم في (أخصّ وصف لله تعالى) على مقالاتهم
٧٩٣ في القدر
٧٩٤ المطلب الخامس : قولهم في المسائل المتعلقة بالقدر
٨٠٩ المطلب السادس : شهادات الأشاعرة على أنفسهم في ميلهم إلى الجبر
٨١١ المطلب السابع : الفرق بين الماتريدية والأشاعرة في هذا الباب
٨١٤ الخلاصة
٨١٧ المبحث الثاني : أثر هذه المقالة على بعض الفرق الأخرى
٨٢١ الباب السابع : مقالاته التي لم تتأثر بها الفرق الإسلامية .
٨٢٥ الفصل الأول : مقالته في علم الله
٨٢٧ المبحث الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك
٨٣٥ المبحث الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها

٨٣٥	المطلب الأول : إثبات علم الله تعالى الأزلي
٨٤٢	المبحث الثاني : الردّ على أدلة جهنم بن صفوان في هذه المسألة ..
٨٤٧	الفصل الثاني : مقالته في الملائكة
٨٤٩	المبحث الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك
٨٥٣	المبحث الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها
٨٥٧	الفصل الثالث : مقالته في الجنة والنار
٨٥٩	المبحث الأول : نشأة هذه المقالة وحقيقتها وقوله في ذلك
٨٦٤	المبحث الثاني : نقد هذه المقالة والردّ عليها
٨٦٤	المطلب الأول : الأدلة على وجود الجنة والنار
٨٦٧	المطلب الثاني : الأدلة على أبدية الجنة والنار
٨٧٢	المطلب الثالث : الردّ على أدلة جهنم في قوله بفناء الجنة والنار ..
٨٨٥	الخاتمة
٨٩٣	التوصيات
٨٩٥	ملحق التراجم
٩١٥	الفهارس العامة للكتاب
٩١٧	١- فهرس الآيات
٩٣٤	٢- فهرس الأحاديث
٩٣٧	٣- فهرس الفرق والطوائف
٩٣٨	٣- فهرس المصطلحات والغريب
٩٤٠	٤- ثبت المصادر والمراجع
٩٦٣	فهرس موضوعات الجزء الثاني